تراث وشخصيَّات من الأندلُس

www.al-maktabeh.com
مكتبة المهتدين

الأُستاذ الدكتور
عبد الواحد ذنون طه

دار المدار الإسلامي

تراث وشخصيات من الأندلس

الدكتور عبد الواحد ذنون طه

© دار المدار الإسلامي 2009

جميع الحقوق محفوظة للناشر بالتعاقد مع المؤلف

الطبعة الأولى

حزيران/يونيو/الصيف 2009 إفرنجي

موضوع الكتاب تاريخ أندلسي

تصميم الغلاف دار المدار الإسلامي

الحجم 17 × 24 سم

التجليد برش

ردمك ISBN 9959-29-338-6

(دار الكتب الوطنية/بنغازي ـ ليبيا)

رقم الإيداع المحلي 2005/6846

دار المدار الإسلامي

الصنائع، شارع جوستينيان، سنتر أريسكو، الطابق الخامس،

هاتف 04 03 75 1 961 + **خليوي** 39 39 93 3 961 +

05 03 75 1 961 + **فاكس** 07 03 75 1 961 +

ص.ب. 14/6703 بيروت ـ لبنان

بريد إلكتروني szrekany@inco.com.lb

الموقع الإلكتروني www.oeabooks.com

All rights reserved. No part of this book may be reproduced, or transmitted in any form or by any means, electronic or mechanical, including photocopyings, recording or by any information storage retrieval system, without the prior permission in writing of the publisher.

جميع الحقوق محفوظة للدار، لا يسمح بإعادة إصدار هذا الكتاب، أو جزء منه، أو نقله بأي شكل أو واسطة من وسائط نقل المعلومات، سواء أكانت إلكترونية أو ميكانيكية، بما في ذلك النسخ أو التسجيل أو التخزين والاسترجاع، دون إذن خطّي مسبق من الناشر.

توزيع دار أويا للطباعة والنشر والتوزيع والتنمية الثقافية

زاوية الدهماني، شارع أبي داود، بجانب سوق المهاري، طرابلس ـ الجماهيرية العظمى

هاتف وفاكس: 013 07 34 21 218 + **نقّال** 463 45 21 91 218 +

بريد إلكتروني: oeabooks@yahoo.com

http://al-maktabeh.com

الإهـــداء

إلى ولدي المُهندس المِعْماريّ أحمد

الذي أحبَّ مكتبتي التراثية الأندلسية

وعَشِقَها على الرغم من تخصّصه في المجال العلمي

www.al-maktabeh.com
مكتبة المهتدين

www.
al-maktabeh
.com
مكتبة
المهتدين

المُقَدِّمة

هذه مجموعة مختارة من علماء الأندلُس في تخصصات متعددة، تنتمي إلى عصور مختلفة من تاريخ الوجود العربي الإسلامي في الفردوس المفقود. دأبتُ منذ حقبة من الزمن، على دراستها، والتركيز على إنجازاتها العلمية، وقد نشرتُ بحوثاً مُفصّلة عن بعض أعلامها، لكنني ارتأيتُ أن أجمعها هنا، لتشير إلى مدى تواصل المعرفة والتقدّم، في هذا الإقليم البعيد من الدولة العربية الإسلامية. وتوجد ضمن هذه المجموعة نخبة من الشخصيات العلمية المعروفة جداً، لكن الغالبية هي ممن لم تُسلَّط عليهم الأضواء في كتابات المُحدثين. لهذا فإن عرضهم في هذا الكتاب يمثّل تعريفاً مهمًّا، قد لا نجده في كثير من المؤلفات الأندلُسية الحديثة. وهذا هو أحد الدوافع التي دفعتني للعمل في هذا الاتجاه.

يضمّ مجموع الشخصيات المدروسة في هذا الكتاب إحدى وستين شخصية أندلُسية، منهم أربعة أطباء من القرن الرابع للهجرة/ العاشر للميلاد، وهم: محمّد ابن تمليخ التميمي، يحيى بن إسحاق، عُمَر بن بريق، وأحمد بن يونس الحرّاني، وكيميائي واحد، هو محمّد بن بَشْرون المَجريطيّ، وفلكي واحد، هو إبراهيم بن يحيى النقّاش المعروف بالزَّرقالي، وكلاهما من رجال القرن الخامس للهجرة/ الحادي عشر للميلاد. ولقد جاء تركيزنا على هؤلاء العلماء، للإشارة إلى أهمية العلوم العقلية التي سادت الأندلُس، ولاسيما في القرنين الرابع والخامس للهجرة، وهؤلاء الأطباء الأربعة، ما هم إلا نماذج محدودة، للتدليل على هذه الأهمية. وكذلك الكيميائي ابن بَشْرون والفلكي الزَّرقالي، هما أيضاً مثالان على الاهتمام، بهذين العلمين، اللذين يدخلان ضمن العلوم الصرفة، والتي بلغت شأواً كبيراً في الأندلُس. ويضاف إلى هؤلاء أحد عشر عالماً من الشعراء والأدباء والكُتّاب، هم

عُثمان بن سعيد الصَّيْقَل، المشرقي الأصل، المغربي النشأة والإقامة، ثم الأندلُسي المهجر والوفاة، ولهذا فهو يُعدُّ من الأندلُسيين، بحسب تصنيف ابن حَزْم، الذي أشار إلى إجماع الأئمة السالفين «على أن ينسبوا الرجل إلى مكان هجرته التي استقرّ بها، ولم يرحل عنها، رحيل تركٍ لسكناها إلى أن مات...». (**رسائل ابن حَزْم الأندلُسي**، تحقيق، إحسان عَبّاس، بيروت، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، 1981: 175). ثم صاعد بن الحسن بن عيسى الربعي البغدادي، الموصلي الأصل، الذي أقام ببغداد، وفيها تفقّه باللغة والأدب، ثم رحل إلى الأندلُس، ودخلها في حدود سنة 380 هـ/ 990م. وكذلك أبو الطيب عبد المنعم بن منّ اللّه القروي، الذي عاش في القيروان، ثم هاجر إلى الأندلُس، وتوفي فيها. وتضمُّ هذه المجموعة من الكُتّاب أيضاً أحمد بن الدودين البَلَنْسي صاحب الرسالة المشهورة التي ردّ فيها على الكاتب الشعوبي ابن عامر أحمد بن غرسيه. ومنهم أيضاً أبو القاسم محمّد بن عبد اللّه بن الجد الفِهْري الذي كتب لبني عبّاد، ثم للمرابطين، ومحمّد بن مسعود بن خالصة المعروف بابن أبي الخصّال، الذي كتب لبعض أُمراء المرابطين، ولاسيما في ديوان الأمير عليّ بن يوسف بن تاشِفين، والكاتب الأديب أبو جعفر أحمد بن جعفر بن محمّد القضاعي المعروف بابن عطيّة، الذي كتب لبعض الأمراء المرابطين، والخليفة عبد المُؤْمن بن عليّ الموحدي، ثم الأديب محمّد بن أحمد بن عامر السالمي البَلَوي، الذي كان من العلماء الموسوعيين الذين زخر بهم العالم الإسلامي في المشرق والمغرب. وكذلك عبد الملك بن عياش الأَزْدي، من كُتّاب الدولة الموحدية، وأبو الحَجّاج يوسف بن محمّد البَلَوي المالكي، صاحب كتاب ألف باء المشهور، الذي هو من كتب الثقافة العامة. وآخر هؤلاء الكُتّاب الأدباء، هو أبو بكر بن هشام الأَزْدي القُرطُبي، الذي كان، بحسب وصف ابن سعيد المغربي له: «شيخ الكُتّاب في أوانه».

ولقد عُرفت الأندلُس بتميزها على مستوى التدوين التاريخي، وفي هذا الكتاب ستة عشر أنموذجاً لهذا التميُّز. بعض هذه النماذج معروف جداً ومشهور، أمثال أُسرة الرَّازي التي تضمّ بشكل خاص أحمد الرّازي وابنه عيسى، اللذين تميّزا في القرن الرابع للهجرة، وأعطيا الدراسات التاريخية زخماً قوياً، في بداية تكوينها في الغرب الإسلامي. وكذلك ابن صاحب الصلاة في أواخر القرن السادس للهجرة/ الثاني عشر للميلاد. لكن التركيز كان على شخصيات تميّزت باهتماماتها

بالتاريخ، وعلوم أُخرى، مثل محمّد بن يوسف الوراق، والعُذْري المحسوبَيْن على علم الجغرافية، وعَريب بن سعد، العالم الموسوعي، الذي كان التاريخ أحد اهتماماته، بالإضافة إلى الطب والفلك. وكذلك ابن الفَرَضي، الذي هو بالأصل مُحدّث وأديب وشاعر، لكنه دخل حقل التاريخ بكتابه **تاريخ علماء الأندلُس**، الذي يُعدُّ أول كتاب تراجم أندلُسي، عَرَّفنا على أبرز علماء هذا القطر ونشاطاتهم العلمية ورحلاتهم إلى أواخر القرن الرابع للهجرة. أما بقية الشخصيات التي تناولها هذا المحور التاريخي، فهي ليست على درجة كبيرة من الشهرة ولم تنل حظاً وافراً من اهتمام الدارسين المُحدثين. لهذا فقد تمَّ التركيز عليها، ولا سيما ابن الحُكَيِّم الأزْدي، وابن أبي الفيّاض، وابن عَلْقَمة الصدفي، وابن الصيرفي، واليسع الغافقي، وهشام بن عبد اللّه الأَزْدي، والحُسين بن رشيق التَغلِبي. ومن الجدير بالذكر أن هذه القائمة لا تشمل عدداً كبيراً من المؤرخين المتميِّزين الذين جرت حولهم دراسات وأبحاث كثيرة معروفة، أمثال ابن حَيّان، وابن حَزْم، وابن الخطيب، وغيرهم، ممن لن نتطرق إليهم، ليس غَمْطاً لحقهم، بل تجنُّباً للتكرار، ولأنهم نالوا قسطاً وافراً من التعريف من قِبل الآخرين.

أما المجموعة الأخيرة، فتضم نماذج من العلماء الأندلُسيين الذين، تميّزوا بالعلوم الدينية، التي يأتي في مُقَدِّمتها علوم القران الكريم، والحديث النبوي الشريف، والفِقه، واللغة العربية. وهي تتألف من ثمان وعشرين شخصية، تتوزع على خمسة قرون هجرية، ابتداءً من الخامس إلى التاسع. وقد تمَّ التركيز على اثنين من هؤلاء يُمثِّلان القرن الخامس، هما سُليمان بن محمّد بن بطّال، وعليّ بن خلف بن بطّال. أما القرن السادس، فكان نصيبه علماء هم: الأنصاري الجَيّاني، وابن الصقر الخَزرجي، ويحيى بن سعدون الأَزْدي القُرطُبي. وقد كان للأول رحلة إلى المشرق، حيث استقرّ به المقام أخيراً في حلب التي توفي فيها، أما الثالث، فاستقرّ أخيراً في الموصل التي توفي فيها أيضاً. ويتميّز القرن السابع للهجرة، بظهور عدد كبير من هؤلاء العلماء، اقتصرنا على الترجمة لتسعة علماء منهم، رحل بعضهم إلى المشرق، ثم عاد إلى الأندلُس بعلم وفير، وبقي بعضهم الآخر في المشرق إلى نهاية حياته، أمثال: عليّ بن محمّد بن جميل المعافري، الذي توفي في القدس الشريف، ومحمّد بن أحمد بن سُليمان الزهري، الذي استُشهد على أيدي التتار في المشرق، والبرزالي الإشبيلي، الذي توفي في الشام،

ومحمّد بن عبد اللّه الأنصاري الداني، الذي توفي في القاهرة، ومحمّد بن أحمد بن عبد اللّه بن سجمان الشريشي المالكي الذي توفي في دمشق. وقد اخترنا ثلاثة عشر عالماً أُخر، يمثّلون القرن التاسع للهجرة، أي من عصر مملكة غَرناطة، آخر معاقل المسلمين في الأندلُس. وقد تميز هؤلاء جميعاً بتبحُرهم في العلوم الدينية، وبكثرة جولاتهم بين الأندلُس والمغرب، بل إن بعضهم غادر الأندلُس إلى المشرق للاطّلاع والدراسة، والرجوع بحصيلة جيّدة من العلم وروايات الشيوخ أمثال: محمّد بن يحيى الأشعري المالقي. في حين تخلّف بعضهم الآخر، وقضى بقية حياته في المشرق، حيث عُرف هناك، وتناولته كتب التراجم المشرقية، وأثنت عليه وعلى دوره في الثقافة، ولاسيما في بلاد الشام التي توفي فيها مثل أحمد بن سعد الأَنْدَراشي العسكري. ويُمثّل عليّ بن أحمد بن داود، آخر هؤلاء العلماء الذين ينتمون إلى القرن التاسع للهجرة، وهو أيضاً دليل على العالِم الباحث المتنقل، طلباً للمعرفة والاستزادة من ملاقاة الشيوخ. ولعل ظروف العصر الصعبة التي عاش فيها هذا العالِم، والتي كانت تُمثّل الحقبة الأخيرة من حياة مملكة غَرناطة الإسلامية الممتلئة بالمآسي، وهجمات الممالك الإسبانية، هي التي دفعت به، لعدم الاستقرار، والتنقل من مكان إلى آخر. وقد شدّ الرحال إلى المغرب، ولا سيما مدينة تِلِمْسان، والتي غادرها أيضاً إلى تونس، ومن ثمّ توجّه بحراً إلى القُسطنطينيَّة. لكنه لم يصلها وتوفي وهو في بحر إيجه. وقد واصلت أُسرته التقدم بمن فيهم ابنه أحمد بن عليّ البَلَوي، الذي كان أيضاً على درجة كبيرة من المعرفة والعلم، وهو يمثل الشخصية الأخيرة التي تناولتها هذه التراجم من أعيان القرن العاشر للهجرة. وقد اتصل هذا العالم بعلماء المشرق الإسلامي، وقضى عُمْره متفرغاً للتأليف والبحث حتى وفاته سنة 938 هـ/ 1532 م.

وسيلاحظ القارئ الكريم، أن منهجنا في كتابة هذه التراجم، اعتمد الملاحظات الدقيقة المُركّزة عن كل شخصية، مبيّناً الكلام عن بيئتها الاجتماعية والثقافية، ونُبذة عن حياتها. ومن ثمَّ التركيز على الإنجازات العلمية التي اشتهرت بها. وقد حاولنا تثبيت بعض المصادر والمراجع والصفحات للتوثيق في المتن، داخل قوسين، وذلك في حالات الضرورة والأهمية. وتركنا بقية التوثيق في آخر الترجمة، لمن يريد الاطّلاع على معلومات أكثر من المصادر والمراجع، التي رُتّبت على سنوات وفيات وقِدَم مؤلّفيها، مع ذكر الطبعة ودار النشر، والأجزاء

والصفحات، على طريقة الموسوعات العلمية، ودوائر المعارف. ونرجو أن نكون بهذا العمل قد سهّلنا على القارئ، وعلى الباحث في تاريخ العلوم، أن يجد ضالّته في ما قدّمنا، ومن اللّه التوفيق.

عبد الواحد ذنون طه

الموصل في 2007/1/1

www.al-maktabeh.com
مكتبة المهتدين
http://al-maktabeh.com

المبحث الأول

العلوم العقليَّة الصرفة

al-maktabeh

أ ـ الطب

1 ـ محمّد بن تمليخ التميمي (361هـ/971م):

أبو عبد اللّه محمّد بن تمليخ (ورد ذكر هذا الاسم أيضاً) بالحاء، طبيب، وله اهتمامات بالنحو واللغة والشعر، ورواية الحديث. أندلُسي من سكان ربض مسجد طاهر في مدينة قُرطُبَة Cordoba. سمع **المُوَطَّأ** عن أستاذه عبيد اللّه بن يحيى، وحدَّث عنه. وكان رجلاً بهيًّا رصيناً ذا وقار وسكينة. عاش في زمن الخلافة الأموية بالأندلُس، وعمل طبيباً لكل من الخليفة عبد الرحمن الناصر لدين اللّه (300 ـ 350هـ/ 912 ـ 961م)، وابنه الحَكَم المستنصر باللّه (350 ـ 366هـ/ 961 ـ 976م). ويبدو أنه كان لابن تمليخ نفوذ قوي، ودعم في بلاط الخليفة الناصر لدين اللّه، أوصله إلى ما هو عليه من شهرةٍ، وتماسٍّ بالخليفة. فقد كان أحمد بن إلياس القائد، وهو من وزراء وقادة الخليفة، هو «المقيم لرئاسته». والظاهر أن هذا الدعم كان لابُدَّ منه لبعض الأطباء في قُرطُبَة من قِبل شخصيات سياسية قوية، ليصلوا إلى درجة عالية من النفوذ والترأس في هذه المهنة.

ولقد أثبت ابن تمليخ للخليفة الناصر لدين اللّه كفاءة عالية، في مجالات أخرى إدارية، غير الطب، حملته على استخدامه فيها. منها مثلاً أنه ولاّه خطّة الردّ، والشرطة، والخطّة الأولى من الوظائف التي تجري على يد صاحبها الأحكام، ويُسمّى صاحب الردّ، بما رُدّ عليه من الأحكام، وكان يحكم في القضايا التي يستريب بها الحكام، ويردّوها عن أنفسهم. وكان متولّي هذه الخطة أيضاً يقوم بجولات خارج العاصمة في مهمات استطلاعية وتحقيقية للتعرف على أحوال

الناس، والاستماع إلى شكاوى المواطنين على ولاة أمورهم، وإنصافهم منهم. ولم تكن خطّة الردّ هي الوحيدة التي أُنيطت بهذا الطبيب المتميّز، فقد ولاّه الخليفة الناصر لدين اللّه أيضًا قضاء مدينة شذونة Medina Sidonia، كما ائتمنه على تفريق الصدقات. وتولّى في عهد الخليفة الحَكَم المستنصر باللّه الإشراف على بنيان زيادة المسجد الجامع في قُرطُبَة، فتمّت بإشرافه وأمانته. واسمه ظاهر في هذه الزيادة إلى جانب المحراب (ابن جُلْجُل، **طبقات الأطباء**: 109). وقد رأى صاعد بن أحمد الأندلُسي المتوفى سنة 462هـ/ 1070م اسم محمّد بن تمليخ مكتوباً بالذهب وقُطع الفسيفساء على حائط المحراب، لكنه وهم في قراءة سنة الإنجاز، فجعلها 358هـ بدلاً من 354هـ، كما هو مكتوب في لوحة التأسيس. والنقش مازال موجوداً إلى اليوم في مسجد قُرطُبَة الجامع، وقد قرأه كاتب هذه السطور في أثناء زيارته للمسجد سنة 1396هـ/ 1976م. وينظر: عنه أيضاً: (عنان، **الآثار الأندلُسية**: 31).

وقد تولّى ابن تمليخ أيضاً الإشراف على دار السكة، أي ضرب النقود، وكان اسمه يُكتب على الدينار. وشغل كذلك منصب الإشراف على الأمانات، ما يدلّ على ثقة الناصر لدين اللّه، وابنه الحَكَم به. ومع كل هذه الأعباء الإدارية كان ابن تمليخ عضواً فعّالاً في ديوان المتطببين، في عهد الحَكَم المستنصر باللّه. وكان الطبيب الذي لا يحظى بتأييد السلطة، أو أحد رجالها، أو يقوم بعمل منافٍ للمهنة، يُسقَط اسمه من هذا الديوان.

لم تذكر المصادر لابن تمليخ سوى كتاب واحد في الطب، قال عنه ابن جُلْجُل: إنه تأليف حَسَن، سمّاه كتاب **الأشكال**. أما ابن أبي أُصيبعة الذي نقل ترجمة ابن تمليخ عنه، فحوَّر في النص قليلاً، وذكر أن له في الطب «تأليف حسن الأشكال». وبالنظر إلى عدم وصول هذا الكتاب إلينا، فلا يمكن الجزم بعنوانه، أو محتوياته. توفي ابن تمليخ في شهر رمضان من سنة 361هـ/ 971م.

المصادر والمراجع:

ابن جُلْجُل، **طبقات الأطباء والحكماء**، تحقيق، فؤاد سيّد، القاهرة، مطبعة المعهد الفرنسي للآثار الشرقية، 1955: 108 ـ 109؛ ابن الفَرَضي، **تاريخ علماء الأندلُس**، القاهرة، الدار المصرية للتأليف والترجمة، 1966: ق2/ 71 ـ 72؛ صاعد الأندلُسي، **طبقات الأُمم**، تحقيق، حياة بوعلوان، بيروت، دار الطليعة،

1985: 190؛ ابن أبي أُصيبعة، **عيون الأنباء في طبقات الأطباء**، تحقيق، نزار رضا، بيروت، دار مكتبة الحياة، 1965: 491؛ عنان، **الآثار الأندلُسية الباقية في إسبانيا والبرتغال**، ط2، القاهرة، مؤسسة الخانجي، 1961: 31؛ عبد الواحد ذنون طه، «ابن جُلْجُل: قراءة حضارية في النص المغربي والأندلُسي»، بحث أُلقي في المؤتمر السنوي الثالث والعشرين لتاريخ العلوم عند العرب، معهد التراث العلمي العربي، جامعة حلب بالتعاون مع جامعة البعث في حمص للفترة من 22 ـ 24 تشرين الأول/ أكتوبر 2002: 7 ـ 8.

2 ـ يحيى بن إسحاق (القرن الرابع للهجرة/القرن العاشر للميلاد):

يحيى بن إسحاق، طبيب أندلُسي، وهو ابن الطبيب إسحاق النَّصْرَانِي النحلة الذي كان يعيش في قُرطُبة Cordoba في عصر الأمير عبد اللّه بن محمّد (275 ـ 300هـ/ 888 ـ 912م). وقد اعتنق ابنه يحيى هذا الإسلام، وأتقن مهنة الطب على يد والده، وحذق فيها، وعلا نجمه في عهد الخليفة عبد الرحمن الثالث الناصر لدين اللّه (300 ـ 350هـ/ 912 ـ 961م). ولم يكتفِ هذا الخليفة بالاعتماد عليه في الطب فحسب، بل ولاّه الولايات العديدة، والوظائف العالية، فأصبح أحد وزرائه في صدر خلافته. ثم ولاّه قيادة مدينة بَطَلْيوس Badajoz في غرب الأندلُس، وهو ما يدلّ على شدّة اعتماده عليه. وبالنسبة إلى الطب، كان الخليفة الناصر يثق به كثيراً، ويأتمنه على بناته وحريمه، ويبعث في طلبه من بَطَلْيوس لعلاج الحالات الطارئة.

ويعرض أبو داود سُليمان بن حسان الأندلُسي المعروف بابن جُلْجُل في ترجمته لهذا الطبيب إلى ذكر بعض الشواهد التي تدلّ على قوة ملاحظته الطبية، وعلاجه لبعض الحالات المُستعصية التي تدلّ على حدس صحيح، وقريحة صادقة حسنة. وكان ابن إسحاق لا يكتفي بعلمه وخبرته فحسب، بل يطلب في بعض الأحيان مشورة من هو أدرى بعلاج بعض الحالات، من ذلك مثلاً استشارته لرهبان بعض أديار النَصارَى لهذا الغرض، ما يدلّ على عناية خاصة بالبحث والاستقصاء، والمواصلة الدؤوبة لزيادة خبرته.

وليحيى بن إسحاق كتاب كبير في الطب، أشار إليه ابن جُلْجُل، على أنه كُنّاش من خمسة أسفار، ألّفه على مذهب الروم، يُسمّى **الإبريشم**. وهذا الأمر يدلّ على أنه كان على اطّلاع على المؤلفات الطبية الإغريقية واللاتينية. وكذلك

ينسب إلى ابن إسحاق «نادر»، أي وصفة طبية، في علاج الخليفة عبد الرحمن الناصر. وقد فُقِدت كتبه، وكذلك لم تُشر المصادر المتوافرة إلى تاريخ وفاته.

المصادر والمراجع:

ابن جُلْجُل، **طبقات الأطباء والحكماء**، تحقيق، فؤاد سيّد، القاهرة، مطبعة المعهد الفرنسي للآثار الشرقية، 1955: 100؛ صاعد الأندلُسي، **طبقات الأُمم**، تحقيق، حياة العيد بوعلوان، بيروت، دار الطليعة، 1985: 187؛ الضَّبّيّ، **بُغية المُلتَمِس**، نشر، فرانسسكو كوديرا، مدريد، 1884: 483؛ القِفطيّ، **إخبار العلماء بأخبار الحكماء**، لايبسيك، 1903: 359 ـ 360؛ ابن أبي أُصيبعة، **عيون الأنباء في طبقات الأطباء**، تحقيق، نزار رضا، بيروت، دار مكتبة الحياة، 1965: 488 ـ 489؛ كحالة، **مُعجَم المؤلفين**، دمشق، مطبعة الترقي، 1957: 13/ 186.

3 ـ عُمَر بن بريق (القرن الرابع للهجرة/العاشر للميلاد)

أبو حفص عُمَر بن بريق، طبيب أندلُسي، لا نعرف شيئاً عن نشأته الأولى، إلا أن سُليمان بن حسان الأندلُسي المعروف بابن جُلْجُل، يشير إلى أنه كانت له رحلة إلى القيروان، حيث لازم طبيبها المشهور أبي جعفر أحمد بن إبراهيم بن أبي خالد الجزّار (ت 369هـ/ 980م) لمدة ستة أشهر، درس خلالها على يديه الطب، واطّلع على كتابه الموسوم بـ **زاد المسافر وقوت الحاضر**، وهو كتاب في الطب والعلاج والمفردات. وعند رجوعه إلى الأندلُس، أخذ معه هذا الكتاب، الذي أصبح من الكتب الطبية الشهيرة في الأندلُس، وحُفِظ من الضياع هناك، ولاسيما بعد أن تمّت ترجمته فيما بعد إلى اللغة العبرية من قِبل موسى بن طيبون بعنوان: **تزداد دارشم**. وقد نُشرت حول هذا الكتاب دراسات متعددة في الوقت الحاضر.

اشتُهر ابن بريق بعد عودته إلى الأندلُس، وعُرِف بنبله وفضله، وخدم بالطب الخليفة عبد الرحمن الناصر لدين اللّه (300 ـ 350هـ/ 912 ـ 961م). وكان على اتصال بكبار رجالات القصر والدولة، أمثال نجم بن طرفة، الذي كان يتولّى منصب صاحب البيازة. وقد شاركه الأخير في أعماله، واستخلصه لنفسه، ما يدلّ على قوة علاقاته في المجتمع القُرطُبي آنذاك. وقد اتّخذ ابن بريق من داره في قُرطُبة

Cordoba عيادةً له، ومحلاًّ لمعالجة المَرضى ووصف الدواء لهم. وكانت هذه العيادة من الاتساع، بحيث يقوم على خدمتها ستة عشر صبياً من فتيان الصقالبة التابعين له. وفضلاً عن ممارسته للطب، فقد كان ابن بريق قارئاً للقرآن الكريم، مُطرِب الصوت، لكنه لم يُعمّر طويلاً، وتوفي في خلافة الناصر لدين اللّه.

المصادر والمراجع:

ابن جُلْجُل، **طبقات الأطباء والحكماء**، تحقيق، فؤاد سيّد، القاهرة، نشر المعهد الفرنسي للآثار الشرقية، 1955: 107؛ صاعد الأندلُسي، **طبقات الأُمم**، تحقيق، حياة العيد بو علوان، بيروت، دار الطليعة، 1985: 189؛ ابن أبي أُصيبعة، **عيون الأنباء في طبقات الأطباء**، تحقيق، نزار رضا، بيروت، دار مكتبة الحياة، 1965: 490 ـ 491 (وقد تصحَّف اسمه لديه إلى عُمَر بن جعفر بن بريق).

4 ـ أحمد بن يونس الحرّاني (أواخر القرن الرابع للهجرة / القرن العاشر للميلاد):

أحمد بن يونس بن عُمَر الحرّاني، طبيب أندلُسي، رحل هو وأخوه عُمَر إلى المشرق سنة 330هـ/ 941م في خلافة الناصر لدين اللّه، وأقاما هناك مدة طويلة، حدّدها ابن جُلْجُل بأنها عشرة أعوام. لكنه عاد وذكر بأنهما رجعا إلى الأندلُس في بداية خلافة الحَكَم الثاني المستنصر باللّه سنة 351هـ/ 962م، فتكون مدة رحلة الحرّاني في المشرق ما يقارب الواحد والعشرين عاماً. ولعل لقب الحرّاني الذي عُرف به أحمد وأخيه، يرجع إلى أنهما رحلا إلى المشرق وأخذا عن ابن وصيف الصابي الحرّاني (كان حيًّا سنة 350هـ/ 961م)، وثابت بن سنان بن قرَّة الحرّاني (ت 365هـ/ 975م)، وقد قرأ أحمد على ابن سنان كتب جالينوس في الطب.

التحق أحمد وأخوه فور وصولهما الأندلُس بخدمة الحَكَم المستنصر باللّه، ورافقاه في إحدى غزواته إلى الممالك الإسبانية. وبعد رجوعهما أسكنهما الخليفة في مدينة الزهراء، وتفرّغا لخدمته بالطب، مُستخلصاً إياهما لنفسه دون غيرهما من أطباء ذلك الزمن. وقد توفي عُمَر في وقت مبكر، وظل أحمد في خدمة الحَكَم. ويبدو أن الخليفة قد استلطف الحرّاني، وقرّبه منه كثيراً، حيث كان يقعد بين يديه في غلالة في الصيف، ويُرتّب أكله، ويُشرف عليه، ولاسيما أن الحَكَم كان

http://al-maktabeh.com

يحتاجه لعمل بعض الأدوية الهاضمة التي بَرَعَ فيها الحرّاني. وكان أحمد رجلا أميناً، اطمأن إليه الحَكَم لمعالجة عياله وبناته. وفضلاً عن ذلك فقد كان صحيح العقل حليماً، عالماً بما شاهد علاجه ورآه عياناً بالمشرق.

وبالإضافة إلى الطب، كان الحرّاني بصيراً بالأدوية المُفردة، وصانعاً للأشربة والمعجونات، معالجاً لِما وقف عليه. وكان يداوي العين مداواة نفيسة، وله بقُرطُبة في ذلك آثار حميدة. وقد تولّى إقامة خزانة فريدة للطب في القصر، ورتّب لها اثني عشر صبيًّا من الصقالبة لعمل الأشربة والمَعاجين العلاجية. وقد استغلّ الحرّاني منزلته من الخليفة، فاستأذن منه أن يُعطى من خزانة القصر الأدوية للفقراء والمحتاجين من المساكين والمرضى، فأباح له ذلك. لكنه في الوقت نفسه، لم يكن يتساهل مع الأغنياء في حالة علاجه لهم، فكان لا يعذرهم في الإرسال إليه بالمال، لهذا فقد جمع ثروة كبيرة قدّرها ابن أبي أُصيبعة بأكثر من مائة ألف دينار. (**عيون الأنباء**: 487). ومع ذلك، فقد كان الحرّاني إنساناً بمعنى الكلمة، لأنه كان يواسي بعلمه، أصدقاءه، وجيرانه، والمساكين من الناس. لكن علمه لم يكن يتعدّى مهنة الطب، فقد كان بكيء اللسان، رديء الخط، لا يُقيم هجاء حروف ما يكتبه. (ابن جُلْجُل، **طبقات الأطباء**: 113)

ولا يعني هذا أن الحرّاني لم يكن على درجة عالية من الثقافة والخبرة الممتازة التي اكتسبها في رحلته المشرقية. ولا شك في أن المدة الطويلة التي قضاها في هذه الرحلة قد أكسبته خبرةً وعلماً، ليس في مجال اختصاصه في الطب فحسب، بل في مختلف المجالات الاجتماعية والثقافية. ويدلّ على ذلك ما نقله ابن جُلْجُل عنه في وصفه للخليفة الحَكَم المستنصر باللّه عن مدى إتقان ونظافة، وحسن ترتيب الأطعمة في حوانيت الطباخين بالبصرة، ولاسيما «الغضاير»، أي صِحَاف الأكل المُتّخذة من الخزف المعمول من الطين الحر اللاّزب الأخضر، والمغطاة بأغطية زجاجية. وكانت هذه الحوانيت مُسطّحة ومفروشة بالرخام الملوّن الفائق الحسن، وكان القائمون عليها يقفون بالمناديل والأباريق لخدمة الزبائن. وقد أُعجب الخليفة بهذا الوصف، وحاول في إحدى جولاته من مدينة الزهراء إلى قُرطُبَة، أن يقارن بين هذه الأسواق، وبين أسواق الطباخين في قُرطُبة، وما يتخذونه من «قُلَل» (جمع قلّة)، وهي مواضع الجمر والرماد الحار المخصصة لإنتاج الطعام، وكانت تحتوي على شحوم وأطراف. فقال الحَكَم للطبيب أحمد

الحرّاني معلّقاً عليها : «يا أحمد... أين هذه القُلَل من تلك الغضائر التي بالبصرة وضحك على ذلك... وعجب بـه...». (**طبقات الأطباء**: 113)

تولّى أحمد الحرّاني في عهد خليفة الحَكَم ابنه هشام الثاني المؤيَّد باللّه، خطة الشرطة، وخطة السوق. وهي من الوظائف المهمة في الدولة، حيث تقابل الأولى منهما ما يُعرف في الوقت الحاضر بالمُحافظ، الذي وظيفته المحافظة على الأمن والنظر في الحدود، والضرب على أيدي المُفسدين. وكانت ولايتها لا تُعطى إلا للأكابر من رجالات الدولة، ما يُشير إلى مكانة الحرّاني. أما الثانية، فيُعرف مُتولّيها بصاحب الحسبة، لأن أكثر نظره إنما كان يجري في الأسواق من غش وخديعة، وتفقد المكاييل والموازين. ولابُدّ من أن الحرّاني قد استمر بممارسة اختصاصه في الطب في عهد الخليفة هشام، حتى وفاته في أواخر القرن الرابع للهجرة/ العاشر للميلاد.

المصادر والمراجع:

ابن جُلْجُل، **طبقات الأطباء والحكماء**، تحقيق، فؤاد سيّد، القاهرة، المعهد الفرنسي للآثار الشرقية، 1955: 112 ـ 114؛ صاعد الأندلُسي، **طبقات الأُمم**، تحقيق، حياة العيد بو علوان، بيروت، دار الطليعة، 1985: 190 ـ 191؛ ابن الأبّار، **التكملة لكتاب الصلة**، نشر، عزت العطار الحسيني، القاهرة، مكتبة الخانجي، 1955 ـ 1956: 1/ 15؛ ابن أبي أُصيبعة، **عيون الأنباء في طبقات الأطباء**، تحقيق، نزار رضا، بيروت، دار ومكتبة الحياة، 1965: 487.

ب ـ الكيمياء

محمّد بن بَشْرون (كان حيًّا عام 450هـ/1058م):

أبو بكر محمّد بن بَشْرون المَجريطيّ، عالم في الكيمياء، عاش في الأندلُس، وتَلْمذ لأستاذه أبي مَسلمة محمّد بن إبراهيم بن عبد الدائم المَجريطيّ، شيخ الأندلُس في علوم الكيمياء، ومؤلف كتاب رتبة الحكيم ومدخل التعليم، وهو غير الفلكي المشهور بأبي القاسم مَسلمة بن أحمد المَجريطيّ. وقد عاش أبو مَسلمة في النصف الأول من القرن الخامس للهجرة / الحادي عشر للميلاد، لهذا

فإن ابن بَشْرون كان حيًّا إذن حتى عام 450هـ/ 1058م. أي إنه عاصر حقبة ملوك الطوائف في الأندلُس.

ولا تتوافر معلومات كثيرة عن حياة ابن بَشْرون، لكن يمكن استخلاص بعض الحقائق من رسالة كتبها إلى زميل له في الدراسة دعاه بأبي السمح، (من المحتمل أنه أبو القاسم أصبغ بن محمّد بن السمح الهواري، المتوفى سنة 426هـ/ 1034م، وهو أيضاً تلميذ الفلكي مَسلمة بن أحمد المَجريطيّ). وتتضمن هذه الرسالة أجوبة عن أسئلة أبي السمح له حول بعض المسائل المتعلّقة بعلم الكيمياء. وفي هذه الرسالة يعرض ابن بَشْرون التقنية الخيمائية الأساسية قائلاً: «... أُبيّن لك من هذه الصفة ما يُحتاج إليه، فتبدأ بمعرفته، فقد قالوا ينبغي لطلاب هذا العلم أن يعلموا أولاً ثلاث خصال؛ أولها هل تكون؟ والثانية من أيٍّ تكون؟ والثالثة من أي كيفٍ تكون؟ فإذا عَرَفَ هذه الثلاث وأحكمها فقد ظفر بمطلوبه، وبلغ نهايته من هذا العلم ...».

ويبدو أن صلة ابن بَشْرون كانت أقوى بأُستاذه أبي مَسلمة من زميله أبي السمح، فكان يسأله عن بعض الأجوبة التي سأله عنها زميله، وبعد أن يستوعب حلول المسائل، يحاول أن يبرهن على صحة ما قاله الأُستاذ، بإقامة أشكال هندسية، ضمنها الرسالة المبعوثة إلى أبي السمح، مع تبسيطها بأمثلة عملية. ثم اختتم الرسالة بقوله: «فهذا جميع ما سألتني عنه وقد بعثتُ به إليك مفسراً ونرجو بتوفيق اللّه أن تبلغ أملك والسلام». لكن ابن خَلدون الذي أورد نص هذه الرسالة كاملاً، يعلّق عليها بقوله: «... وأنت ترى كيف صرف ألفاظهم كلها في الصناعة إلى الرمز والألغاز التي لا تكاد تَبين ولاتُعَرف، وذلك دليل على أنها ليست بصناعة طبيعية...». ورأي ابن خَلدون هذا يأتي في سياق موقفه من هذه الصناعة، والعاملين فيها، والمصنّفين في حقلها، فهو يشير مثلاً إلى جابر بن حَيّان الذي وضع سبعين رسالة كلها شبيهة بالألغاز، بحيث لا يملك مفاتيحها إلا من أحاط بكل العلم الموجود فيها (**المُقَدِّمة** : 525).

آثار ابن بَشْرون:

1 - **سرُّ الكيمياء**، وهي **الرسالة** التي أوردها ابن خَلدون كاملة في مُقَدّمته، وتوجد مخطوطة في بعض المكتبات التي أشار إليها سزكين، منها : **بشير أغا**

505 (86 أ ـ 92 أ، 756هـ)؛ ينظر : **مجلة معهد الدراسات الإسلامية** Isl. Tetk. Enst Derg. في إستانبول م2، 2 ـ 4/ 1960/ 238؛ طهران، كلية الآداب 98 د (غير كاملة. انظر : فهرس ص311) ؛ طهران : خانقاه نعمة اللّه 145 (164ب ـ 168ب، القرن الحادي عشر للهجرة) Petersburg : جامعة 1192؛ (وانظر : Zap. Koll. Vost م1، ص360؛ وانظر : بروكلمان : ملحق م2، ص1034، رقم 10).

2 ـ **مختصر لرتبة الحكيم ومدخل التعليم**، وهو بالأصل كتاب أُستاذه أبي مَسلمة المَجريطيّ، اختصره في رسالة موجودة في مكتبة جامعة إستانبول. أ 6247 (126ب ـ 191أ).

المصادر والمراجع :

ابن خلدون، **المُقَدِّمة**، بيروت، دار إحياء التراث العربي : 505 ـ 513، 525؛ سزكين، **تاريخ التراث العربي**، ترجمة محمود فهمي حجازي، السعودية، 1983 : 4/ 439، 440، 445؛ جورج قنواتي، «الخيمياء العربية»، بحث ضمن كتاب **موسوعة تاريخ العلوم العربية**، بيروت، مركز دراسات الوحدة العربية ومؤسسة عبد الحميد شومان، 1997 : 3/ 123 ـ 124.

ج ـ الفَلَك

إبراهيم بن يحيى الزَّرقالي النقّاش (420 ـ 493هـ/ 1029 ـ 1099م):

أبو إسحاق إبراهيم بن يحيى التُّجيبي النقّاش، يُعرف بالزَّرقالي، أو بولد الزَّرقيل، أو ابن الزَّرقالة، فَلَكي أندلُسي. من أهل مدينة طُليطُلة Toledo، وكان يعمل نقاشاً، ما أتاح له التفنن في صنع الأجهزة الفلكية. قام بأرصاده في مدينة طُليطُلة أيام حُكم بني ذي النون لها، ثم انتقل إلى قُرطُبَة Cordoba، واستقرّ فيها حتى وفاته يوم الجمعة الثامن لذي الحُجّة سنة ثلاث وتسعين وأربعمائة. ويبدو أنه كان يقوم بجولات في مدن أخرى في الأندلُس، ويتصل بُحكّامها، مثل إشبيلية Sevilla، التي أهدى لحاكمها المُعْتَمِد بن عَبّاد (461 ـ 484هـ/ 1068 ـ 1091م) أحد مؤلفاته.

اشتهر الزَّرقالي بأبحاثه في علم الفلك ونبوغه في هذا المجال، فقد وصفه معاصره صاعد بن أحمد الأندلُسي (ت 462هـ/ 1070م)، بأنه أبصر أهل زمانه «بأرصاد الكواكب وهيئة أفلاكها، وحساب حركاتها، وأعلمهم بعلل الأزياج». أما أبو عبد اللّه محمّد بن الأَبّار (ت 658هـ/ 1260)، فقد قال عنه بأنه: «واحد عصره في علم العدد، والرصد، وعلل الأَزياج. ولم تأتِ الأندلُس بمثله منذ فتحها المسلمون إلى وقتنا هذا، مع ثقوب الذهن وإحكام ما يتناول ويستنبط من الآلات النجومية». ويمكن أن نلخّص عمله في علم الفلك بالمجالات الآتية: الإبداع بصنع الآلات الفلكية، ولاسيما الأَسْطُرْلاب، والاهتمام بالرصد الفلكي، وتأليف الكتب، والجداول الفلكية المعروفة بالأَزياج، التي تختصّ بحركات الكواكب وأوقات ظهورها وسرعتها ومواضعها في أفلاكها.

أدخل الزَّرقالي تحسينات على الأَسْطُرْلاب السطحي، الذي يُستخدم في الرصد النظري للنجوم والكواكب، والذي يحتوي عادةً على صفائح يبلغ عددها تسعاً، تصلح كل واحدة منها لخط واحد من خطوط العَرْض الأرضية. ومن ثمّ يكون لِزاماً وجود عدد كبير من الصفائح لكي يتيسر استخدام تلك الأداة لكل خطوط العَرْض. ولقد وُفّق الزَّرقالي في التغلّب على هذه الصعوبة، فاستطاع أن يحوّل الأَسْطُرْلاب من خاص إلى عام، باستبداله من المسقط القطبي الأستريوجرافي إلى المسقط الأُفقي الأستريوجرافي. وبمقتضى هذا التحويل يكون موضع عين الراصد في نقطتين من خط الأُفق، إحداهما شرقية، والأخرى غربية، أي في نقطتي الاعتدالين. «ويكون مستوى المسقط هو بعينه مستوى الدائرة الكبرى المارّة بنقطتي الانقلابين...». وقد سُمّي هذا الأَسْطُرْلاب في شكله النهائي بـ «العَبّادية» نسبةً إلى المُعْتَمِد بن عَبّاد مَلِك إشبيلية. وأصبح يتكوّن من صفيحة واحدة وقطعتين أخريين تتصلان بها، ويقوم بتعيين أي خط من خطوط العَرْض الأرضية، فضلاً عن مقامه مقام الشبكية في الأَسْطُرْلابات الأخرى. وقد أضاف الزَّرقالي إلى هذا الأَسْطُرْلاب أيضاً دائرة القمر التي تسمح بتتبع حركات هذا الجرم التابع للأرض في مجراه، كما أضاف إليه مربعاً لحساب المثلثات، يبيّن للباحث على الفور الأظلال المبسوطة والمنكوسة للزوايا المقيسة منسوبةً إلى نصف قطر مقسم إلى ثلاثة عشر جزءاً. وقد سُمّي هذا الأَسْطُرْلاب البسيط المنقح بـ «الصفيحة الزَّرقالية»، وهو الذي ذاع في أوروبا، واشتُهر باسم Saphaea. (نلّينو، د.م.أ: 6/ 114 ـ 118).

http://al-maktabeh.com

ولقد كرّس الزّرقالي نحو خمس وعشرين سنة من عمره لرصد الشمس، الذي بدأه أولاً من طُليطْلة، وأكمله في قُرطُبَة. ودوّن نتيجة أبحاثه على هذه الأرصاد التي بلغت نحو 402 رصداً، معتمداً عليها وعلى مواد أخرى مشرقية، منها زيج الممتحن، الذي ألّفه أحمد بن عبد اللّه البغدادي المعروف بحبش. ولعل من المفيد الإشارة إلى بعض نتائج أرصاد الزّرقالي، فقد قام مثلاً بأرصاد لتعيين نقطة أوْج الشمس (أي نقطة البُعد الأبعد عن الشمس من الأرض)، وتبيّن له أن هذا الأوْج متساوٍ عند طلوع النهار وهبوط الليل (هونكة، **شمس العرب**: 152). وكان هذا الفلكي هو الأول الذي استطاع أن يُثبت بوضوح أن حركة أَوْج الشمس السنوية بالنسبة إلى النجوم الثوابت تبلغ 04 . 12 في السنة (في حين أن الرقم الصحيح هو 8 .11). فضلاً عن إشارته إلى ميل دائرة البروج عن خط الاستواء السماوي. وتوصّل إلى أنها تراوح ما بين 33 .23 و 53 .23 درجة. وقد توصّل نتيجة أرصاده إلى حساب حركة مبادرة الاعتدالين السنوية بدقة، فرآها تتذبذب بين 5 .49 و 50 ثانية، أي ما يعادل ما جاء في الأزياج الحديثة بالضبط (50 ثانية). (سيديو، **تاريخ العرب**: 44). وبالنسبة إلى قياسات الأطوال، أجرى تصحيحاً لتقدير اليونان لطول البحر المتوسط وفقاً لبطليمُوس، الذي قدَّر طوله باثنتين وستين درجة، فاختزله الزّرقالي في جداول طُليطُلة إلى اثنتين وأربعين درجة، وهو ما يعادل طوله الحقيقي بالتقريب. واستمرّ الزّرقالي في أرصاده، فكان آخر رصد له بقُرطُبَة في نهاية سنة 480هـ/ 1087م (ابن الأبّار، **التكملة**: 1/ 138). واستفاد من أرصاده فلكيّون آخرون، وبنوا عليها، ومنهم ابن الحماد الأندلُسي، الذي أنجز عمل ثلاثة أزياج ضمن هذا المجال.

أما بالنسبة إلى عمله في الأزياج، فقد قام بتحرير بعض الجداول التي سُمّيت بـ «زيج الزّرقالي»، أو «الجداول الزّرقالية»، أو «جداول طُليطُلة»، إشارة إلى خط الزوال المعتمد في هذه الجداول. وقد ألّفها في زمن المأمون بن ذي النون (435 ـ 467هـ/ 1043 ـ 1075م) صاحب طُليطُلة أيام حكم الطوائف بالأندلُس، الذي كان يرغب في اقتفاء خطى سَميّه الخليفة المأمون العبّاسي، فاعتزم أن يكون راعياً لعلماء الفلك في عصره. ويبدو أن العمل في هذه الجداول قد تمّ بشكل جماعي، وربما كان بإشراف القاضي صاعد الأندلُسي المذكور أعلاه. وقد يكون الزّرقالي أدخل عناصر تعتمد على أرصاده الخاصة، أو على أرصاد فريق القاضي صاعد.

لكن أغلبية أعماله حول النظرية الشمسية يحتمل أن يكون قد قام بها بعد أن تمّ تجميع الجداول. وقد أظهر تومير J. Toomer في تحليله لهذه الجداول، أن الأصل فيها فقط هو ذلك المتعلّق بالحركة المتوسطة، في حين أن الباقي اشتُقّ إما من زِيْج محمّد بن موسى الخُوارزميّ (ت 232هـ/ 846م)، وإما من زِيْج محمّد بن خالد بن جابر بن سنان البَتّاني (ت 317هـ/ 929م).

وقد حظيت جداول الزَّرقالي الفلكية باهتمام بالغ من قِبل الأوروبيين، فترُجمت إلى اللغة اللاتينية من قِبل جيرارد الكرموني Gerardo of Cremona (ت583هـ/ 1187م). وعُرفت باسم **الجداول الطليطلية** Tabula Toletana، كما عُرف الزَّرقالي أيضاً في اللاتينية باسم A rzachel. كذلك تُرجمت انطلاقاً من اللاتينية إلى اللغة اليونانية. ومن المؤسف أن الأصل العربي لهذه الجداول قد اختفى، لكن الترجمة اللاتينية بقيت في أكثر من خمس عشرة مخطوطة، الأمر الذي يدلّ على سعة انتشارها. (كراتشكوفسكي، **تاريخ الأدب الجغرافي**: 124). وقد أثّرت ترجمة **زِيْج الزَّرقالي** إلى اللاتينية في التطور التالي لعلم الفلك في العالَم اللاتيني، فاعتمد عليه كل فلكيي أوروبا. وقد ثبت أن كوبرنيكوس Copernicus (ت 950هـ/ 1543م) اطّلع على جداول الزَّرقالي، ونقل منها أشياء كثيرة دون ذكر المصدر، لكنه يذكر اسم الزَّرقالي بصورة عَرَضية بمناسبة حساب الزَّرقالي لحركة أَوْج الشمس. (سزكين، **محاضرات**: 80).

ويرى عدد من العلماء أن العالِم الشهير كبْلِر Keppler (ت 1040هـ/ 1630م) قد تأثّر بكتاب الزَّرقالي، ولاسيما بنظريته حول الشكل البيضوي لمدار كوكب المريخ، وإهليلجيَّة مدارات الكواكب. وأوحت إليه هذه النظريات أن يكتشف الحكم الأول من أحكامه الثلاثة المشهورة، وهو إهليلجيّة فلك السيارات. ومن الطريف قيام شخص مجهول من مدينة مارسيليا الفرنسية بصنع زِيْج لاتيني، هو عبارة عن نسخ **لزِيْج الزَّرقالي**، باستثناء تغيير التواريخ الخاصة بأصله العربي، أي السنوات الهجرية إلى السنوات الميلادية. وقد وصل هذا الزِيْج إلى يد أحد الفلكيين الإنكليز، ويُدعى وليم Guillaume، فطبعه معدّلاً على ظروف مدينة لندن، وقد عُرف بزِيْج لندن، واحتفظ بمكانته مدة طويلة أساساً للحسابات الفلكية هناك. كذلك أثّرت جداول طُليطُلة على الزِيْج المعدّ لمدينة مونبلييه في فرنسا لسنة 700هـ/ 1300م، وما يليها من السنين، الذي وضعه بروفاتيوس Profatius (ت نحو

707هـ/ 1307م)، وهو الذي قال إنه قد أخذ أصوله من جداول طُليطُلة. (روش، «**تأثير علم الفلك العربي**»، **موسوعة تأريخ العلوم**: 1/ 246 ـ 248).

وبالإضافة إلى جداول الزَّرقالي، فقد بقي كتابه الآخر الموسوم بـ **رسالة في حركة النجوم**، في ترجمته العبرية، بعد أن فقد أصله العربي. وقام بهذه الترجمة صموئيل يهودا المارسيلي في القرن السادس للهجرة/ الرابع عشر للميلاد. (مايرز، **الفكر العربي**: 131). وقد وجد ميلياس فاليكروسا Millas Vallicrosa قُطعاً من هذا الكتاب في بعض المكتبات العربية. وفي إحدى هذه القطع يقول الزَّرقالي: «. . . اعلم أنه لمّا كان الفلك أرفع المحسوسات شأناً وأوسعها مكاناً، وأعظمها على الحوادث سلطاناً، صار من الواجب أن يُبادَر إلى البحث عن أصول الكواكب السيارة. . .». ومن كتبه الأخرى: **طريقة عمل أَسْطُرْلاب لرصد الكواكب السبعة وأفلاكها**، و**رسالة في العمل بالصفيحة**، الذي أهداه إلى المُعْتَمِد بن عَبّاد، ويقول في «فاتحته»: «. . . أما بعدُ حمد اللّه الذي لا يُحاط بمعلوماته، ولا يُدرك كنه ذاته، فإني رأيت الناس في القديم والحديث قد أعدّوا آلات علمية لمعرفة الأوقات واختلاف الليل والنهار في الطول والقصر على كل أُفق من الآفاق وساير ما يتصل بهذا... رأيت أن أرسم صفيحة واحدة رسومها مشتركة، لمعرفة جميع تلك العروض في كل أُفق. . .». (**مجلة الأندلُس**: 163 ـ 164).

المصادر والمراجع:

صاعد الأندلُسي، **طبقات الأُمم**، تحقيق، حياة العيد بوعلوان، بيروت، دار الطليعة، 1985: 181؛ القِفطيّ، **إخبار العلماء بأخبار الحكماء**، لايبسيك، 1903: 57؛ ابن الأبّار، **التكملة لكتاب الصلة**، نشر، عزت العطار الحسيني، القاهرة، مكتبة الخانجي، 1955 ـ 1956: 1/ 138 ـ 139؛ المَقّري، **نَفح الطِّيب من غصن الأندلُس الرطيب**، تحقيق، إحسان عَبّاس، بيروت، دار صادر، 1968: 6/ 105؛ حاجي خليفة، **كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون**، إستانبول، 1941 ـ 1943 أعادت مكتبة المُثَنّى في بغداد نشره بالأوفست: 1/ 870؛ نلينو، **علم الفلك تاريخه عند العرب في القرون الوسطى**، روما، 1911 أعادت مكتبة المُثَنّى في بغداد نشره بالأوفست: 170، 176، 188، 235 ـ 236؛ نلينو، مادة: «أَسْطُرْلاب»، **دائرة المعارف الإسلامية**، ط1، الترجمة العربية: 6/ 114 ـ 118؛ كراتشكوفسكي، **تاريخ**

الأدب الجغرافي العربي، ترجمة، صلاح الدين عُثمان هاشم، ط2، بيروت، دار الغرب الإسلامي، 1987: 99، 124؛ غوستاف لوبون، **حضارة العرب**، ترجمة، عادل زعيتر، بيروت، دار إحياء التراث العربي، 1979: 558؛ **مجلة الأندلس**، العدد الأول/ المجلد الأول، 1933: 163 ـ 164؛ بالنثيا، **تاريخ الفكر الأندلسي**، ترجمة، حسين مؤنس، القاهرة، مكتبة النهضة المصرية، 1955: 16، 451 ـ 453، 576؛ سيديو، **تاريخ العرب العام**، ترجمة، عادل زعيتر، القاهرة، دار إحياء الكتب العربية، 1948: 404 ـ 405، 432؛ ول ديورانت، **قصة الحضارة**، ترجمة، جماعة، لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، 1965: 3/ 308؛ زيغريد هونكة، **شمس العرب تسطع على الغرب**، ط4، ترجمة، فاروق بيضون وكمال دسوقي، بيروت، دار الآفاق الجديدة، 1980: 136 ـ 137، 157؛ خوان بيرنيت، **فضل الأندلس على ثقافة الغرب**، ترجمة، نهاد رضا، دمشق، إشبيلية للدراسات والنشر والتوزيع، 1997: 214؛ يوجين مايرز، **الفكر العربي والعالم الغربي**، ترجمة، كاظم سعد الدين، بغداد، دار الشؤون الثقافية العامة، 1986: 106 ـ 107، 131؛ فؤاد سزكين، **محاضرات في تاريخ العلوم**، الرياض، جامعة الإمام محمّد ابن سعود الإسلامية، 1979: 79 ـ 80، 81؛ قدري طوقان، **تراث العرب العلمي في الرياضيات والفلك**، ط3، القاهرة، دار القلم، 1963: 135؛ طوقان، **العلوم عند العرب**، القاهرة، دار مصر للطباعة، 1960: 67؛ عُمر فروخ، **تاريخ العلوم عند العرب**، بيروت، دار العلم للملايين، 1970: 171 ـ 172؛ عبد الأمير المُؤمِن، **التراث الفلكي عند العرب والمسلمين وأثره في علم الفلك الحديث**، حلب، منشورات معهد التراث العلمي العربي، 1992: 203؛ إدريس الخرشاف، «عطاءات علماء الإسلام بالأندلس في مجال البحث العلمي»، منشور ضمن كتاب: **الأندلس في الزمان والمكان**، المحمّدية، جامعة الحسن الثاني، 1993: 233 ـ 234؛ كحالة، **مُعجَم المؤلّفين**، دمشق، مطبعة الترقي، 1957: 1/ 128؛ خوان فيرني وخوليو سامسو، «تطورات العلم العربي في الأندلس»، نشر ضمن: **موسوعة تاريخ العلوم العربية**، بيروت، مركز دراسات الوحدة العربية ومؤسسة عبد الحميد شومان، 1997: 1/ 181، 379 ـ 380؛ هنري هوغار روش، «تأثير علم الفلك العربي في الغرب في القرون الوسطى»، نشر ضمن: **موسوعة تاريخ العلوم العربية**، بيروت، مركز دراسات الوحدة العربية ومؤسسة عبد الحميد شومان،

Millas Vallicrosa, *Estudios sobre Azraquiel*, Madrid- ؛248 _ 246/1:1997 Granada, 1943-1950: p. 480; G. Sarton, *Introduction to the History of Science*, Baltimore, The Willams and Wilkings Company, 1962, Vol. I. p. 758-759; J.Toomer, " A Survey of Toledan Tables", *Osiris*, Vol. 15, 1968: pp. 174-175; *Encyclopaedia Britannica*, 15th edition, USA, 1980, Vol. V. p. 766; S.M.Ahmad, *A History of Arab Geography*, Amman, Al- al- Bayt University, 1995: 144-145; David.A.King, " Islamic Astronomy", in: *Astronomy Before The Telescope*, edited by: Christopher Walker, London, British Museum Press, 1999, P. 164.

http://al-maktabeh.com

www.al-maktabeh.com
مكتبة
المهتدين

المبحث الثاني

الأدب والشعر والكتابة

al-maktabeh

1 ـ عُثمان بن سعيد الصَّيْقَلْ (ت في حدود سنة 330هـ/941م)

أبو سعيد عُثمان بن سعيد الصَّيْقَلْ، شاعر، أديب، ومهتم بصناعة الآلات الرياضية. مولى الأمير زيادة اللّه بن الأغلب. لا نعلم شيئاً عن أصله ونشأته، ويُحتمل أنه جاء من المشرق مع بعض السفارات الأغلبية الراجعة من بغداد. وقد دَرَسَ في شبابه في عاصمة الخلافة العَبّاسية، وحضر مجالس تدريس اللغة والآداب. وسمع من أبي العبّاس ثَعلَب إمام اللغويين في عصره.

ولمّا وصل إلى إفريقيّة، اتصل بخَدَمة البلاط الأَغلبي في رَقّادة، واختص بالأمير زيادة اللّه الثاني الأصغر في مدة ولايته (249 ـ 250 هـ/ 863 ـ 864 م). ويبدو أنه تُلْمذ لرئيس الدواوين الأغلبية أبي اليُسر الشَيبانيّ، وتلقّى عنه فنون الأدب، وحضر مجالسه في «بيت الحكمة»، وصحبه طويلاً، وكان من ألصق الطلبة به، وسمع منه دواوين شعر المُتقدِّمين، وكتب عنه **أدب المولّدين** الذي يرويه الشَيبانيّ عن مؤلفه، مثل شعر أبي تَمّام بن حبيب بن أوس الطائي وغيره، (عبد الوهاب، **ورقات**: 1/ 249).

ويبدو أن أبا سعيد، كان يُتقن صنع الآلات الرياضية، وغيرها من الصناعات اليدوية الرقيقة، ولهذا فقد لُقّب بالصَّيْقَل لأنه كان يُجيد سنَّ السيوف وجلاءها وصقلها. وفضلاً عن ذلك فقد كان يَقرض الشعر الجيّد، ويكتب الرسائل البليغة بالخط البديع. ويبدو أنه كان أول من أدخل النوع المُسمَّى (بالمُعَمَّى) في الشعر إلى المغرب، ولم يكن معروفاً قبله، حيث يقول عنه أبو عبد اللّه محمّد بن الأبّار، كان حكيماً صاحب مُعمَّى.

وقد ظل الصَّيْقَل يخدم في بلاط الدولة الأغلبية، حتى سقوطها سنة 296 هـ/ 909 م عندها انضمَّ هو وأُستاذه أبو اليُسر الشيبانيّ إلى خدمة الخليفة الفاطمي عبيد اللّه المَهْدي (297 ـ 322 هـ/ 910 ـ 934م)، وقد ظلّ ملازماً لأُستاذه حتى وفاته. وحينذاك فكر في مغادرة إفريقيّة إلى الأندلُس. ويبدو أن ولي العهد في قُرطُبَة، الحَكَم بن عبد الرحمن الناصر لدين اللّه، كان يرغب في مجيئه إليها. ويحتمل أنه راسله في ذلك، لأنه وبحسب رواية المالكي، كان يتمنّى أن يكون الصَّيْقَل ضمن الأشخاص الذين يعملون معه في بلاط قُرطُبَة بالأندلُس. (**رياض النفوس** : 2/ 477). وقد رحل الصَّيْقَل بالفعل إلى الأندلُس في أوائل القرن الرابع للهجرة/ العاشر للميلاد، واستقرّ في كَنَف ولي العهد الحَكم المستنصر باللّه في خلافة والده عبد الرحمن الناصر لدين اللّه (300 ـ 350 هـ / 912 ـ 961م).

ونال الصَّيْقَل حظوة كبيرة في البلاط الأُموي. وازدادت ثقافته بالاتصال مع علماء ونوابغ الأندلُس والأخذ عنهم، أمثال أبي بكر الزُّبيدي، إمام اللغويين والنحاة في قُرطُبَة، وغالب بن عُمَر التيّاني الأديب المشهور، وغيرهما. وقد رووا عنه في الأندلُس شعر أبي تَمّام وغيره. وخلاصة القول، كما يقول ح.ح عبد الوهاب فإن أبا سعيد الصَّيْقَل «يُعَدُّ بحقّ في طليعة الأدباء الذين حملوا الرواية لشعر المولّدين في المغرب ونشروها به». (**ورقات**: 1/ 250). وقد توفي بالأندلُس ودُفن فيها في حدود سنة 330 هـ/ 941.

المصادر والمراجع :

المالكي، **رياض النفوس**، تحقيق، بشير البكوش، بيروت، دار الغرب الإسلامي، 1983: 2/ 477 (وهامش 94) ؛ ابن الأبّار، **التكملة لكتاب الصلة**، نشر الأركون وكونثاليث بالنثيا (ملحق لطبعة كوديرا)، مدريد، 1915: 190 وطبعة عزة العطار، القاهرة : 1/ 174؛ الصفدي، **الوافي بالوفيات**، ج 20، الورقة 38 ظ، (مخطوط المكتبة الأحمدية بجامع الزيتونة، ملحق حالياً بدار الكتب الوطنية بتونس) ؛ المَقَّري، **نفح الطّيب من غصن الأندلُس الرطيب**، تحقيق، إحسان عَبّاس، بيروت، دار صادر، 1968: 3/ 135.؛ ح.ح عبد الوهاب، **ورقات عن الحضارة العربية بإفريقيّة التونسية**، تونس، مكتبة المنار، 1965: 1/ 249 ـ 250.

2 ـ صاعد بن الحسن البغدادي (ت 417هـ/1026م):

أبو العلاء صاعد بن الحسن بن عيسى الربعي البغدادي، لغوي، يرجع بأصله إلى ديار ربيعة في الموصل. روى في المشرق عن القاضي أبي سعيد الحسن بن عبد اللّه السّيرافيّ، وأبي عليّ الحَسَن بن أحمد الفارسي، وأبي بكر بن مالك القطيعي، وأبي سُليمان الخطابي. وقد تفقّه في اللغة والأدب، وأقام ببغداد مدّة، ثم بلغه أن اللغة في الأندلُس مطلوبة، والآداب هناك مرغوب فيها من أمرائها ورعَيتها، فرحل إلى الأندلُس، ودخلها في حدود سنة 380هـ/ 990م، أيام الخليفة هشام الثاني بن الحكم المستنصر باللّه (366 ـ 399هـ/ 976 ـ 1008م). وكان المهيمن على السلطة في الأندلُس آنذاك هو الحاجب المَنصور محمّد بن أبي عامر. فأكرمه المنصور، وزاد في الإحسان إليه، والإفضال عليه، وأراد أن يعفي به آثار أبي عليّ القالي البغدادي، الذي كان قد وفد على الأندلُس في عهد خليفتها عبد الرحمن الناصر لدين اللّه (300 ـ 350هـ/ 912 ـ 961م).

وكان صاعد عالماً باللغة والأدب والأخبار، سريع الجواب، حسن الشعر، طيب المعاشرة. فنال حُظْوَةً لدى المنصور. وجمع له كتاباً أسماه بكتاب **الفصوص**، نحا فيه منحى أبي عليّ القالي في **النوادر**، وهو يحتوي على آداب وأشعار وأخبار. وقد أثابه المنصور عليه بخمسة آلاف دينار، وأمره أن يُسمعه للناس بالمسجد الجامع في مدينة الزاهرة. فاحتشد له جماعة من أهل الأدب ووجوه الناس. ولقد اتُّهم صاعد بالكَذِب في نقله، لهذا رفض الناس كتابه. لكن رواية ابن خَيْر الإشبيلي عن هذا الكتاب التي يوصلها إلى شاهد العيان، حَيّان بن خلف بن حَيّان القُرطُبي المتوفى سنة 469هـ/ 1079م، ربما تدحض ما يتُّهم به، وليس فيها ما يشين الكتاب. وقد قرأ ابن حَيّان هذا الكتاب على مؤلفه في داره سنة 399هـ/ 1008م. (ابن بسّام، **الذخيرة**: ق4 / م1: 9 هامش (1)). وعن ابن حَيّان اتصلت روايته بابن خيْر، بواسطة أبي محمّد بن عتّاب المتوفى سنة 531هـ/ 1136م. وكان صاعد البغدادي قد بدأ تأليف هذا الكتاب في ربيع الأول سنة 385هـ، وانتهى منه في رمضان من العام نفسه. ويوجد في مكتبة القرويين بمدينة فاس، نسخة جيدة منه.

وصنّف صاعد البغدادي أيضًا كتابَيْن آخرَيْن للمنصور بن أبي عامر، أحدهما

كتاب **الهَجَفْجَفْ بن غَيْدقان بن يَثْربي مع الخِنّوت بنت مخرمة بن أنيف**، وهو على طراز كتاب أبي السري سهل بن أبي غالب الخَزرَجي. والثاني يُعرف بكتاب **الجواس بن مَعْطل المذحجي مع ابنة عمه عفراء**. ويشير أبو محمّد عليّ بن أحمد بن حَزْم الأندلُسي، كما ينقل عنه الحُمَيْدي، إلى أن هذا الكتاب، هو كتاب مليح جدًا، وأن الحاجب المَنصور كان كثير الشغف به، حتى إنه رتّب له من يخرجه أمامه في كل ليلة ويقرؤه له (**جَذوة المُقتبِس** : 204). ويذكر ياقوت أيضًا بأن هذا الكتاب «لطيف ممتع جدًا انخرم في الفتن التي كانت بالأندلُس، فسقطت منه أوراق لم توجد بعدُ». (**مُعجَم الأدباء**: 11/ 284).

وتروي كتب التراجم الكثير من المفارقات والنوادر التي أحاطت بوجود صاعد البغدادي في بلاط المَنصور بن أبي عامر، وحضوره لكثير من المناظرات التي تحاول التأكد من قابليته اللغوية والشعرية والأدبية، والتي كانت غالبًا ما ترجح كفته فيها على الرغم من شكوك المَنصور والحاضرين، ويرجع ذلك إلى سرعة بديهيته، وأجوبته الحاضرة، وقابليته للردّ. وعلى الرغم من كثرة حُسّاده ومُنافسيه الذين عملوا على الإيقاع به، واتّهموه بانتحال الشعر، وتلفيق الأخبار، ورموا كتابه في النهر، فلا يمكن إنكار دوره الحضاري والثقافي في الأندلُس. وعن طريقه وصلها الكثير من الكتب والمؤلفات من المشرق.

وبعد موت الحاجب المَنصور، لم يحظ صاعد البغدادي مجلس أحد ممن وُلّي الأمر بعده، وتعلل لهذا الغرض، بمرض لحق بساقه. وقد غادر قُرطُبَة بسبب الفتنة واتجه إلى مدينة دانية Dania شرق الأندلُس، وحضر مجلس أميرها مُجاهِد العامري، ونال فيه حظوة. ثم انتقل إلى جزيرة صِقِلّيّة، حيث توفي فيها سنة 417هـ/ 1026م.

المصادر والمراجع:

الحُمَيْدي، **جَذوة المُقتبِس**، القاهرة، الدار المصرية للتأليف والترجمة، 1966: 240 ـ 244؛ ابن بَسّام، **الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة**، تحقيق، إحسان عَبّاس، بيروت، دار الثقافة، 1979، ق4/ م1: 8 ـ 56؛ ابن خير، فهرسة ما **رواه عن شيوخه**، نشر، فرانسثكة قدارة زيدين وخليان ربارة طرعَوة، سرقُسطة،

1893، أعادت دار الآفاق نشره في بيروت: 326، 406؛ ابن بَشْكُوَال، كتاب **الصِّلة**، القاهرة، الدار المصرية للتأليف والترجمة، 1966: 1/ 237 ـ 238؛ الضَّبّيّ، بُغية المُلتَمِس، نشر، فرانسسكو كوديرا، مدريد، 1884: 306 ـ 311؛ ياقوت، **مُعجَم الأدباء**، بيروت، طبعة دار المستشرق: 11/ 281 ـ 286؛ عبد الواحد المَرَّاكُشي، **المُعجِب في تلخيص أخبار المَغرِب**، ط7، تحقيق، محمّد سعيد العريان ومحمّد العربي العلمي، الدار البيضاء، دار الكتاب، 1978: 50 ـ 60؛ القِفطيّ، **إنباه الرواة على أنباه النحاة**، تحقيق، محمّد أبو الفضل إبراهيم، القاهرة، دار الكتب المصرية، 1950: 2/ 85؛ ابن خَلِّكان، **وَفيات الأعيان**، تحقيق، إحسان عَبّاس، بيروت، دار الثقافة، 1968: 2/ 488 ـ 489؛ ابن حَجَر، **لسان الميزان**، ط2، بيروت، مؤسسة الأعلمي، 1971: 3/ 160؛ السُّيوطي، **بُغية الوُعاة في طبقات اللّغويين والنُّحاة**، تحقيق، محمّد أبو الفضل إبراهيم، بيروت، المكتبة العصرية، 1964: 2/ 7 ـ 8؛ المَقَّري، **نَفح الطِّيب من غصن الأندلُس الرطيب**، تحقيق، إحسان عَبّاس، بيروت دار صادر، 1968: 3/ 75 ـ 84، 95 ـ 98؛ ابن العماد الحنبلي، **شذرات الذهب**، ط2، بيروت، دار المسيرة، 1972: 3/ 206؛ بلاشير، كتب عنه بحثاً في **مجلة** Hesperis، العدد العاشر، 1930: 28؛ ألبير حبيب مطلق، **الحركة اللغوية في الأندلُس**، بيروت، ـ صيدا، المكتبة العصرية، 1967: 94 ـ 102.

3 ـ عبد المنعم بن منّ اللّه القروي (ت 493/1099)

أبو الطّيّب عبد المنعم بن منّ اللّه بن أبي بحر الهواري القروي، أديب، شاعر، ومحدّث. أصله من قبيلة هوارة البربرية، وكان يسكن مدينة القيروان، ثم هاجر منها إلى الأندلُس، واستقرّ في القسم الشرقي من البلاد. وحدّث هناك عن أبي محمّد بن عليّ بن الحسن بن عبد البر التميمي. وقد خصّه أبو القاسم خلف بن عبد الملك بن بَشْكُوَال بترجمة مختصرة، أشار فيها إلى هذه المعلومات، وإلى أنه توفي يوم الثلاثاء لاثنتي عشرة ليلة بقيت من صفر سنة ثلاث وتسعين وأربعمائة.

ولا تتوافر لدينا معلومات أخرى مفصلة عنه، باستثناء اشتهاره في الردّ على الكاتب الشعوبي أبي عامر أحمد بن غرسيه، الذي كتب **رسالة** ذم فيها العرب، وفخر بقومه العجم، ووجّهها إلى الأديب أبي جعفر الخراز. وكان ابن غرسيه من

أقوى الأصوات الشعوبية في الأندلُس، وعاش في بلاط الأمير مجاهد العامري في عصر الطوائف. ولم يكن أبو الطَّيِّب هو الوحيد الذي ردَّ على ابن غرسيه، فقد نالت **رسالة** ابن غرسيه ردود فعل كثيرة عنيفة، وإجابات مختلفة، توالت على مدى عقود عديدة من الزمن في المَغرِب والأندلُس.

أعطى أبو الطَّيِّب عنواناً طويلاً لرسالته، فأسماها: «**حديقة البلاغة ودوحة البراعة المورقة أفنانها، المثمرة أغصانها، بذكر المآثر العربية ونشر المفاخر الإسلامية، والردّ على ابن غرسيه فيما ادعاه للأمم الأعجمية**». وقد ابتدأ هذا الردّ بذكر فضائل العرب على ابن غرسيه، حيث ربّوه صغيراً، وعلّموه لغتهم، وثقّفوه بثقافتهم، لكنه أنكر هذا الجميل، واستعمل هذه اللغة للهجوم عليهم، فهو يخاطبه قـائلاً: «فأخبرني عنك أما كانت للعرب يدٌ تشكرها، أو مِنَّة تذكرها. أما جَبَرتْ نَقيصَتَكَ، أو رفعَتْ خَسِيسَتَكَ... ألمْ تُرَبِّكَ فيها وليداً، أما أنْطَقَتْكَ بعد العُجمة، أما أسْلَقَتكَ بعد اللكنة، حتى إذا اشتد كاهلك، وعَلِمَ جاهِلُكَ، وقوي ساعِدُكَ، ورقي صاعِدُكَ، كفرت نعمتها لديك، ونثرت عصمتها من يديك، وأخذت تطاولها بأرسانها، وتقاولها بلسانها...». (**نوادر المخطوطات**: 3/ 310 ـ 311).

ويتناول أبو الطَّيِّب في ردّه على رسالة ابن غرسيه، كل القضايا التي أثارها الأول ضِدَّ العرب، ويحاول أن يفنّد اتّهاماته ويصدّها، وينفذ إلى أمور دقيقة في هجومه على العَجَم، كالقول بعدم وجود أسماء للسخاء بالرومية، ولا رسم للوفاء بالعَجَمِيَّة. ويفخر بشجاعة العرب وبأسهم، ويطلب من ابن غرسيه ألاّ يفاخرهم بالطعام والشراب، بل بالطِعَان والضِرَاب. وهنا يجد مجالاً رحباً للإشارة إلى أمجاد العرب في فتوحهم، ووصولهم إلى بلاد ما وراء النهر، وقهرهم للساسانيين والبيزنطيين، ومهاجمتهم للقُسطنطينيَّة. كذلك يغمز أبو الطَّيِّب ابن غرسيه بالإشارة إلى عدم وضوح معاني النخوة والشرف والغيرة لدى قومه بقوله: «لا تُغيرون ولا تغارون ولا تمنعون ولا تمتنعون، قلوبكم قَوَاء وأفئدتكم هواء، وعقولكم سواء، قد لانت جلودكم، ونهدت نهودكم، واحمرّت خدودكم، تحلقون اللّحى والشوارب، وتتهادون القُبَلَ في المشارب... والمباضعة عندكم كالمراضعة، ما في السُكْر عندكم نُكْر. تُبيحون ولوج العُلُوج على بُدور الخُدور...».

ثم يكرّس أبو الطَّيِّب صفحات عديدة من رسالته في الردّ على اتهامات ابن

غرسيه التي تتضمّن عدم معرفة العرب للعلوم، فيشير إلى فضلهم ومآثرهم في كثير من المعارف، وعدم نبوغ الأعاجم فيها. ويختتم رسالته بالهجوم على ما ادعاه ابن غرسيه من مدح الرسول صلّى اللّه عليه وسلّم، مبيّناً كَذِبه وافتراءه، ومحاولته المكشوفة لتغطية موقفه المعادي للعروبة والإسلام.

المصادر والمراجع:

أبو الطَّيِّب بن منّ اللّه القروي، **حديقة البلاغة ودوحة البراعة**، مخطوط الإسكوريال رقم (538)، هارون، **نوادر المخطوطات**، ط2، القاهرة، 1972، نص الرسالة منشور عن المخطوط أعلاه: 3/ 310 ـ 330؛ ابن بَشْكُوَال، كتاب **الصِّلة**، القاهرة، الدار المصرية للتأليف والترجمة: 2/ 392 الترجمة رقم (840)؛ ابن بَسّام، **الذَخيرة في محاسن أهل الجزيرة**، تحقيق، إحسان عَبّاس، بيروت، دار الثقافة، 1979: ق3 / م2: 722 ـ 746؛ البَلَوي، كتاب **ألف باء**، بيروت، عالم الكتب، (د.ت): 1/ 350؛ حاجي خليفة، **كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون**، إستانبول، 1941 ـ 1943، أعادت نشره بالأوفست مكتبة المُثَنّى في بغداد: 1/ 644؛ J. T. Monroe, *The Shu'ubiyya in al- Andalus*, Berkeley, 1970 فاروق عُمَر، «طبيعة الحركة الشعوبية»، فصل ضمن كتاب: **التاريخ الإسلامي وفكر القرن العشرين**، ط2، بغداد، مكتبة النهضة، 1985: 201؛ عبد الواحد ذنون طه، «الدس الشعوبي بالأندلُس وموقف العرب في مجابهته»، **مجلة دراسات أندلُسية**، العدد 4، تونس، 1990: 20 ـ 21.

4 ـ أحمد بن الدَّوْدين البَلَنْسي
(النصف الثاني للقرن الخامس للهجرة/الحادي عشر للميلاد)

أبو جعفر أحمد بن الدَّوْدين البَلَنْسي، أديب وشاعر أندلُسي من مدينة بَلَنْسِية Valencia. كان معاصراً لأبي الحسن عليّ بن بَسّام الشَّنْتَريني المتوفى سنة 542هـ/ 1147م، صاحب كتاب **الذَخيرة في محاسن أهل الجزيرة**. وقد التقاه ابن بَسّام سنة 477هـ/ 1084م في مدينة لشبونة Lisboa في غرب الأندلُس، حيث أملى ابن الدَّوْدين عليه بعضاً من نظمه ونثره. كما أخبره أيضاً برسالته التي ردَّ فيها على الكاتب الشعوبي أبي عامر أحمد بن غرسيه، الذي كتب رسالة ذمَّ فيها العرب،

وفخر بقومه العَجَم، وجَّهها إلى الأديب أبي جعفر بن الخراز. وقد اشتهر صاحب هذه الرسالة، الذي عاش في بلاط مجاهد العامري، بأنه من أقوى الأصوات الشعوبية في الأندلُس في عصر ملوك الطوائف.

والحقيقة أن شهرة ابن الدَّوْدين البَلَنْسي ترجع إلى موقفه الصارم من هذه الرسالة المُعادية للعرب، وردِّه عليها. وقد نقل لنا ابن بَسّام بعض الفصول منها (**الذخيرة** :ق1/ م2: 715 ـ 722)، لكنها حُفظت لنا كاملة ضمن أحد مخطوطات مكتبة دير الإسكوريال في إسبانيا. وقد جاءت رسالة ابن الدَّوْدين في لهجة قوية، تبتدئ بإضفاء أشنع الصفات وأخزاها على ابن غرسيه، الذي يستحق برأيه الصلب جزاءً على ما فعله بحقِّ العرب. لكنه يأسف لعدم وجود رجال ذوي حميّة وهمَّة ليعاقبوه على ما تورط فيه. وبعد هذا يبدأ ابن الدَّوْدين بمناقشة ابن غرسيه نقطة نقطة، وصرف المعايب والأوصاف التي ألصقها بالعرب، ودَفْعها وإرجاعها إلى العَجَم. من ذلك مثلاً قوله : «وأما وصفُك قومَك أنهم مُجُد، نُجُد شُمُخ، بُذُخ، عُرُقٌ غُرقٌ فهيهات هيهات ذلك منهم !! تلك صفات قومنا العرب ذوي الأنساب والأحساب، والعُلوم والحُلُوم، أولي اللَسَن والبيان واللَّحن، والإسهاب في الصواب، والحكمة وفصل الخطاب، فرسان العِرَاب، وأرباب القِبَاب، و مُعْمِلي الصوارم والحِراب. . . ».

كذلك يسخر ابن الدَّوْدين مما أشار إليه ابن غرسيه، عن العلوم التي نسبها إلى العَجَم، فيقول: «وأما فخرك بعلمهم الشرائع، فمن أبدع البدائع . . . وجهلهم بذلك أوضح من أن يُشرح، وأبين من أن يُبيَّن. . . ». ثم يصحح له بعض المفاهيم فيما نسبه إلى العرب، وينزع عن قوم ابن غرسيه صفات الفروسية التي ألحقها بهم، ويُسهب في ذلك، إذ يجد المجال واسعاً للحديث عن تراث العرب وتاريخهم في الفروسية : «مجالسهم السُّروج، وريحانهم الوشيج، وموسيقاهم رنّات حداك الرُّدينيات. . . ». ويختتم ابن الدَّوْدين رسالته بتقريع ابن غرسية وجهله وعصبيّته التي كشفت عورات قومه الأعاجم : «وكان أغناك يا كشاجم، عن كشف عورات آلك الأعاجم، لكن ضعف نظرك إلى هذرك، وسوء أدبك أوفى بك على عطبك، نسأل الله ستراً يمتدّ ووجهاً لا يُسَوَّد».

أما عن شعره، فقد احتفظ لنا ابن بَسّام، وابن سَعيد المغربي، ببعض الأبيات،

معظمها في الغزل، منها ما أنشده ابن الدَّوْدين بنفسه لابن بَسّام: **[مخلّع البسيط]**

عـلّـمـنـي فـي الـهـوى عـلـيٌّ كـيـف الـتَّـصـابـي عـلـى وَقـار

أطـلـعَ لـي مـن دُجـاهُ بـدْراً لـم يـدرِ مـا لـيـلـةُ الـسِّـرار

فـحـادَ بـي عـن طـريـق نُـسْـكـي وظَـلْـتُ مُـسْـتـأهـلاً لـنـار

المصادر والمراجع:

رسالة ابن الدَّوْدين في الرد على ابن غرسيه، مخطوط الإسكوريال رقم (538)؛ هارون، **نوادر المخطوطات**، ط2، القاهرة، 1972: نص الرسالة منشور عن المخطوط أعلاه: 302 ـ 308؛ ابن بَسّام، **الذَّخيرة في محاسن أهل الجزيرة**، ط2، تحقيق، إحسان عبّاس، بيروت، دار الثقافة، 1979، ق3/ م2: 703 ـ 704، **وفصول من رسالة ابن الدَّوْدين** (715 ـ 722)؛ ابن سعيد المغربي وأسرته، **المُغرِب في حلى المَغرِب**، ط2، تحقيق، شوقي ضيف، القاهرة، دار المعارف، 1964: 2/ 322 ـ 323؛ ابن فضل اللّه العُمَري، **مسالك الأبصار**، مخطوط مصور بدار الكتب المصرية: 11/ 449 J.T. Monroe, *The Shu'ubiyya in al-Andalus*, Berkeley, 1979؛ فاروق عُمَر، «طبيعة الحركة الشعوبية»، فصل ضمن كتاب: **التاريخ الإسلامي وفكر القرن العشرين**، ط2، بغداد، مكتبة النهضة المصرية، 1985: 200 ـ 201؛ عبد الواحد ذنون طه، «الدس الشعوبي بالأندلُس وموقف العرب في مجابهته»، **مجلة دراسات أندلُسية**، العدد 4، تونس، 1990: 19 ـ 20.

5 ـ محمّد بن عبد اللّه بن الجد الفِهْري (ت 515هـ/ 1121م):

أبو القاسم محمّد بن عبد اللّه بن يحيى بن فرح بن الجد الفِهْري، يُعرف بالأحدب. محدِّث، أديب، عالم بالأنساب، من كُتّاب الدولة المرابطية. ينتمي إلى أسرة بني الجد الأعيان في لبلة Niebla وإشبيلية Sevilla، والتي تعود أصولها إلى حاكم الأندلُس في عهد الولاة عبد الملك بن قطن الفِهْري. وقد برز من هذه الأسرة كُتّاب وشعراء، ووزراء مشهورون بالأندلُس. ابتدأ ابن الجد حياته مشتغلاً بالحديث، والفقه، والأدب، والأنساب، حتى تبحر فيها. وزر ليزيد الراضي بن المُعْتَمِد بن

http://al-maktabeh.com

عَبّاد، الذي كان يتقلّد مدينة الجَزيرة الخَضراء Algiceras، ثم رُندة Ronda وظلّ مقرّباً من بني عَبّاد حتى خلعهم الأمير يُوسُف بن تاشِفين. فبقي ابن الجد في بلده معتزلاً لمناصب الحكم. إلى أن ألح عليه أهل بلده لأن يتولّى خطة الشورى في لبلة، وألقوا إليه مقاليد الفتوى، فاضطر إلى قبولها بعد امتناع وكراهية. ثم استدعاه الأمير عليّ بن يُوسُف ابن تاشِفين لتولّي الكتابة في «ديوان» رسائله، فأجاب إلى ذلك، وبقي في هذا المنصب حتى وفاته سنة 515هـ/ 1121م.

كان ابن الجد فاضلاً حَسَنَ العشرة، وقد أشاد معاصروه بنباهته، وعبقريته في النظم والنثر. يقول عنه أبو الحسن عليّ بن بَسّام الشَّنْتَريني (ت 542هـ/ 1147م): «. . .فإن تكلم فأبو بحر، أو نظم فكلثوم بن عمرو، حتى إذا أخذ في الجدال، أو تفقّه في علم الحرام والحلال، فرويدك حتى ترى الصبح كيف يُسفِر، وثَبَج البحر كيف يَزْخَر. . .». (الذَخيرة: ق2/ م1: 285). وقال عنه أبو نصر الفتح بن خاقان (ت 529هـ/ 1134م): «راضع ثدي المعالي، المتواضع العالي، آية الإعجاز في الصدور والأعجاز، الذي جمع طبع العراق، وصنعة الحجاز، وأقطع استعارته جانبَي الحقيقة والمجاز. . .». (**قلائد العِقيان**: 1/ 322). وقد نقل عنه مجموعة من رسائله التي كتبها عن أمير المسلمين عليّ بن يُوسُف، والتي تلقي الضوء على تاريخ الأندلُس في عهد دولة المرابطين. منها رسالته إلى أهل إشبيلية، التي كُتبت لست بقين من جُمَادى الأولى سنة 512هـ، يحثّهم فيها على إصلاح ذات البَيْن، والامتناع عن التباعد والتباين والتحاسد والتضاغن بين أعيانها. ورسالة أخرى إلى أهل سَبتة، يُعْلمهم فيها بتولية الأمير أبي زكريا يحيى ابن الأمير أبي بكر سَبتة وفاس. ورسالة إلى القائد أبي محمّد عبد اللّه بن فاطمة، عامله على إشبيلية، يحضُّه فيها على إقامة الحق، والتزام الرِفق بالرعيّة، وإقامة العدل، ورفع الحجاب عن المظلومين. وقد أورد هذه الرسالة أيضاً ابن عِذاري المَرّاكُشي. كذلك أشار ابن خاقان إلى رسالة أخرى لابن الجد عن لسان الأمير عليّ بن يُوسُف، موجّهة إلى أهل غَرناطة Granada، يَنْعَى فيها عليهم اختلافهم وتنازعهم، ومطالبتهم لعامله على المدينة، ويأمرهم بالانقياد له والطاعة. وقد كُتِبت هذه الرسالة يوم الجمعة التاسع عشر من رمضان سنة 507هـ، ومن جملة ما جاء فيها: «. . .فإذا وصل إليكم خطابنا هذا، فاتركوا متابعة الهوى، واسلكوا معه الطريقة المُثلى، ودعوا التنافس على حُطام الدنيا، وليُقْبِلْ كل واحد منكم على ما يعنيه، ولا يشتغل بما

يُنْصِبُهُ ويُعْيِيهِ. ولابد لكل عمل من أجل، ولكل ولاية من غاية، ولن يسبق شيْ أناه، وإذا أراد اللّه أمراً سَنَّه ﴿وَعَسَىٰٓ أَن تَكْرَهُوا۟ شَيْـًٔا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۖ وَعَسَىٰٓ أَن تُحِبُّوا۟ شَيْـًٔا وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: 216]. وفقكم اللّه لِما فيه صون أديانكم، وأعراضكم، وسداد أنحائكم وأغراضكم بمنّه». (**قلائد العِقيان**: 1/ 333 ـ 334). وقد أورد العماد الأصفهاني الكاتب (ت 597هـ/ 1200م) معظم هذه الرسائل نقلاً عن ابن خاقان. كما نُشرت الرسالتان الأخيرتان أيضاً ضمن مجموعة الوثائق التاريخية الجديدة عن عصر المرابطين، التي حققها محمود عليّ مكي، ونشرها في مدريد عام 1959 ـ 1960م. وجاء في هذا المجموع أيضاً بعض الرسائل الأخرى التي كتبها ابن الجد عن الأمير عليّ بن يُوسُف. منها الرسالة الرابعة عشرة إلى الكاتب ابن أزرق، يستدعيه للكتابة في ديوانه، وهي صادرة عن مَرَّاكُش بتاريخ الثالث عشر من محرم سنة 514هـ/ 1120م، والرسالة السابعة عشرة، إلى شخص، لم يُذْكَر اسمه، لتوليته على جزيرة مَيورقة سنة 510هـ/ 1116م.

وأورد له ابن بَسّام الشَّنْتَريني مجموعة كبيرة من رسائله في أوصاف شتّى (**الذخيرة**: ق2/ م1: 286 ـ 318)، ذكر فيها فصولاً عن رسالة أنشأها على لسان من صَدَرَ من بيت اللّه الحرام، وزيارة قبر نبيّه عليه السلام، وأخرى خاطب بها بعض من قَدِمَ من الحجاز، وأخرى في صفة مطرٍ بعد قَحْط، وأخرى يُهنّئ فيها بمولود. كذلك أورد له رسائل في التعزيات، منها واحدة إلى الوزير الفقيه أبي القاسم الهوزني (ت 512هـ/ 1118م) يعزّيه عن أخيه. كما أشار إلى بعض قصائده الشعرية، نورد منها الأبيات الآتية: **[الطويل]**

لئن راق مرأىً للحسانِ ومسمعُ ... لَحَسْناؤكَ الغرّاءُ أبهى وأمتعُ

عروسٌ جلاها مطلعُ الفكر فانثنتْ ... إليها النجومُ الزاهرات تطلّعُ

زَفَفْتَ بها بكراً تأرَّجَ طيبها ... وما طيبها إلاّ الثناء المضوَّعُ

لها من طرازِ الحُسْنِ وشيٌ مُهَلْهَلٌ ... ومن صنعة الإحسان تاجٌ مُرَصَّعُ

المصادر والمراجع:

بعض رسائل ابن الجد الفِهْري، نشرها محمود عليّ مكي ضمن: «وثائق تاريخية جديدة عن عصر المرابطين»، **صحيفة معهد الدراسات الإسلامية في**

مدريد، المجلد السابع والثامن، 1959 ـ 1960: 156، 182 ـ 186 (**الرسائل**: 14 و15 و16 و17)؛ ابن خاقان، **قلائد العِقيان ومحاسن الأعيان**، تحقيق، حسين يُوسُف خريوش، الأردن، الزرقاء، مكتبة المنار، 1989: 1/ 322 ـ 336؛ ابن بَسّام، **الذَخيرة في محاسن أهل الجزيرة**، تحقيق، إحسان عَبّاس، بيروت، دار الثقافة، 1978، ق2/ م1: 285 ـ 322؛ ابن بَشْكُوَال، كتاب **الصِلة**، القاهرة، الدار المصرية للتأليف والترجمة، 1966: 2/ 574 الترجمة (1267)؛ العماد الأصفهاني، **خَريدة القصر وجريدة العصر**، تحقيق، آذرتاش آذرنوش، تونس، الدار التونسية للنشر، 1972: 3/ 393 ـ 401؛ ابن دِحْيَة، **المُطرب في أشعار أهل المَغرب**، تحقيق، مصطفى عوض الكريم، الخرطوم، مطبعة مصر، 1954: 174 ـ 175؛ عبد الواحد المَرّاكُشي، **المُعجِب في تلخيص أخبار المَغرِب**، ط7، تحقيق، محمّد سعيد العريان ومحمّد العربي العلمي، الدار البيضاء، دار الكتاب، 1978: 255: ابن سعيد وأسرته، **المُغرِب في حلى المَغرِب**، ط2، تحقيق، شوقي ضيف، القاهرة، دار المعارف، 1964: 1/ 341 ـ 343؛ ابن عبد الملك المَرّاكُشي، **الذيل والتكملة لكتابَي الموصول والصِلة**، تحقيق، إحسان عَبّاس، بيروت، دار الثقافة، 1973: 6/ 323؛ ابن عِذاري المَرّاكُشي، **البيان المُغرِب في أخبار الأندلُس والمَغرِب**، نشر، أمبروسي هويسي ميرندة، تطوان، 1960، أعادت دار الثقافة نشره في بيروت، 1967: 4/ 63 ـ 64؛ العُمَري، **مسالك الأبصار في ممالك الأمصار**، مخطوط دار الكتب المصرية، رقم (2568 تاريخ): ج8، الورقة 223؛ ابن عبد الغفور الكَلاعيّ، **أحكام صَنْعَة الكلام**، تحقيق، محمّد رضوان الداية، بيروت، دار الثقافة، 1966: 185 ـ 186؛ عبد الواحد ذنون طه، «موارد تاريخ ابن عِذاري المَرّاكُشي عن المرابطين والموحدين في المغرب والأندلُس»، **مجلة المجمع العلمي العراقي**، ج3 و 4 / م40، 1989: 423.

6 ـ محمّد بن مسعود بن خالصة المعروف بابن أبي الخصّال (465 ـ 540هـ/ 1072 ـ 1145م):

أبو عبد اللّه محمّد بن مسعود بن خالصة بن فرح بن مجاهد بن أبي الخصّال الغافقي الشقوري، مُحدّث، لغوي، شاعر، نسابة، مؤرخ، أديب، وكاتب في ديوان الإنشاء المرابطي. ولد سنة 465هـ/ 1072م. في قَرْغَليط Gorgolitas، في

ناحية شقورة Segura في منطقة جَيّان Jaen في الأندلُس، وفيها نشأ، ومنها تردّد في طلب العلم والأدب، فأخذ بأُبدة Úbeda عن أبي الحسن بن مالك اليعمري القاضي. وكذلك عن شيوخ آخرين في مناطق مختلفة من الأندلُس، مثل قُرطُبَة Córdoba، وغَرناطة Granada. ومن جُملة هؤلاء الشيوخ الذين سمع منهم : أبو الحُسين بن سراج، وأبو محمّد بن عتّاب، وأبو بحر الأسدي، وأبو بكر بن أبي الدوس، وأبو تميم العزّ بن بقنة، وأبو بكر غالب بن عطيّة، وأبو الحسن عليّ بن أحمد بن الباذش، وأبو عمران بن تليد، وأبو عبد اللّه النفزي. كما لقي في مدينة المَريّة Almería أبا عليّ حسين بن محمّد الصدفي، فقرأ عليه **صحيح مسلم**، و**جامع التّرمذيّ**. وحدّث عن ابن أبي الخصّال نحو خمسين شيخاً، منهم تلميذه أبو القاسم خلف بن بَشْكُوَال، صاحب كتاب **الصِّلة**، وأبو القاسم بن حُبَيْش، وأبو جعفر أحمد بن مضاء اللخمي، وابن خير الإشبيلي، الذي قرأ عليه بعض كتبه في منزله، وفي مدينة طَريف Tarifa. وقد روى الناس عنه سيرة الرسول عليه السلام، لمحمّد بن إسحاق، و**الشمائل** للتّرمِذيّ، وغيرها من الكتب.

وبالنظر إلى علم ابن أبي الخصّال، ولمكانته العالية، فقد اشتهر هو وأخوه أبو مروان عبد الملك بن مسعود، وكتبا لبعض أمراء المرابطين في المغرب والأندلُس. وتقلد أبو عبد اللّه بن أبي الخصّال وظيفة عسكرية مدنية عالية، ولُقّب بذي الوزارتين من قِبَل أبي يحيى بن أبي بكر بن أبي عبد اللّه بن الحاج. ثم عمل هو وأخوه في «ديوان الإنشاء المرابطي»، وكان يقيم في بلاط الأمير عليّ بن يُوسُف بن تاشفين، حيث اتصل به منذ سنة 503هـ/ 1109م، حين كان الأمير في إشبيلية، ورحل معه إلى المغرب. لكن وقع من أحد الأخوين، ما أوجب غضب عليّ بن يُوسُف عليهما، وإقصاءهما، بسبب رسالة كُتبت من قِبَل أحدهما على لسان الأمير إلى جند بَلَنْسِية Valencia من المرابطين، الذين تخاذلوا، وتواكلوا حتى هزمهم الإسبان. وقد أفحش فيها الكاتب على المرابطين، وأغلظ لهم القول أكثر من المطلوب، وعيّرهم بتخاذلهم وتقاعسهم، حسبما يقول عبد الواحد المَرّاكُشي، الذي نقل بعض فقرات هذه الرسالة، التي نورد منها ما يأتي: «. . .أي بني اللئيمة، وأعيار الهزيمة، إلى مَ يزَيّفكم الناقد، ويردكم الفارس الواحد؟ فليت لكم بارتباط الخيول ضأناً لها حالب قاعد؛ لقد آن أن نُوسِعكم عقاباً، وألاّ تَلُوثوا على وجه نقاباً؛ وأن نعيدكم إلى صحرائكم، ونطهّر الجزيرة من رحضائكم. . .». فأَحْنَقَ ذلك عليًّا بن يُوسُف،

وعزل ابن أبي الخصّال وأخاه عن كتابته (**المُعجِب**: 259 ـ 260).

ويبدو من كلام عبد الواحد المَرّاكُشي، أن الرسالة كُتِبَت من قِبَل أبي مروان، لكنها، وكما يرى حسين مؤنس، أنها لأخيه أبي عبد الله بن أبي الخصّال. وهي تكشف الضغن الخفي الذي امتلأت به قلوب الكثيرين من الأندلُسيين على المرابطين. وقد أسرف ابن أبي الخصّال في ذلك إسرافاً جاوز حدَّ الإشارة والتعريض إلى الذم الصريح. وقد توفي أبو مروان في مَرّاكُش سنة 539هـ/ 1144م، أما أبو عبد الله، فغادر إلى قُرطُبَة، حيث لم يكن حظه أحسن من حال أخيه، فقد ثار صاحبه أبو يحيى بن الحاج على المرابطين. ولمّا استقلّ وَوُلّيَ بعض أعمال المغرب اتصل به ابن أبي الخصّال، ثم انتقل معه إلى سَرَقُسطة Zaragoza، ثم استشهد ابن الحاج، فلزم ابن أبي الخصّال داره خائفاً. فلما كانت فتنة ابن حمدين، ودخلت قوات المصامدة من البربر قُرطُبَة عُنوةً، كان ابن أبي الخصّال واقفاً على باب داره بدرب الفرعوني بالقرب من باب عبد الجبار في قُرطُبَة، يَنْهَى جند المصامدة عن العيث والنهب، لِما له من دالة عليهم. فتصدّى له أحدهم، واسمه تيفوت، وقتله، وذلك في يوم السبت الثاني عشر من ذي الحجة سنة 540هـ. وقد حُملت جثته إلى الرَّبض الشرقي، حيث غُسِّل وكُفِّن، ودُفن في اليوم التالي في مقبرة ابن عَبّاس.

أثنى على ابن أبي الخصّال الكثير من أعلام عصره، فقد قيل إنه لم يُطلَق اسم كاتب في الأندلُس على رجل مثل ابن أبي الخصّال. وأشار تلميذه ابن بَشْكُوَال، إلى أنه: «كان آخر رجال الأندلُس عِلماً وحِلماً، وفَهماً ومعرفةً، وذكاءً وحكمةً ويقظةً... وكان جزل القول، عذب اللفظ، حلو الكلام، عذب الفكاهة، فصيح اللسان، بارع الخط... جميل التواضع، حَسَن المعاشرة لأهل العلم... واسع الصدر، حَسَن المجالسة والمحادثة، كثير المذاكرة، جمّ الإفادة. «(**الإحاطة**: 2/ 417). أما معاصره وصديقه، أبو عليّ بن بَسّام الشَّنْتَريني، فيقول عنه بأنه: «أحد أعيان كُتّاب الزمان، وحامل جملة الإحسان، بحر معرفة لا تعبره السفن...». في حين يصفه أبو نصر الفتح بن خاقان بأنه: «حامل لواء النباهة»، ويقول عنه أبو جعفر أحمد بن الزبير: «كان من أهل المعارف الجمّة، والإتقان لصناعة الحديث، والمعرفة برجاله، والتقييد لغريبه، وإتقان ضبطه، والمعرفة بالعربية واللغة والأدب، والنسب والتاريخ...». (**الإحاطة**: 2/ 388 ـ 389).

http://al-maktabeh.com

كتب ابن أبي الخصّال مؤلفات كثيرة، ورسائل عديدة، وقصائد شعرية مختلفة، بقي بعضها، وفُقد بعضها الآخر، ومن جملة مؤلفاته:

1 ـ كتاب **ظِلُّ السحاب: عن نساء النبي وأقربائه**، مخطوط المتحف البريطاني (أول 888: 5)؛ وبعنوان **ظِلُّ الغمامة وطوق الحمامة**: الإسكوريال (ثان 1787)؛ ونظم شعراً، في الإسكوريال: (ثان 1745: 3)

2 ـ «معراج المناقب ومنهاج الحب الثاقب»: قصيدة في مدح النبي وصحابته، مخطوط المتحف البريطاني (أول 888: 6)، والإسكوريال (ثان 404: 1).

3 ـ **مناقب العشرة وعمّي رسول الله**: مخطوط الإسكوريال (ثان 1745: 2).

4 ـ **تقليد (ملقى السبيل) لأبي العلاء المَعَرّي**، مُرتّب على حروف المُعجَم، لكل حرف حكمة وبيت من الشعر: مخطوط المتحف البريطاني (أول 188: 11).

5 ـ «رسائل ومقامات وتقليد (ملقى السبيل) في معنى الزهد الرفيع»: الإسكوريال (ثان 519).

6 ـ «رسائل إلى عبد بن حبيب عن الدين»: الإسكوريال (ثان 306: 2).

7 ـ «رسائل باسم يُوسُف بن تاشِفين إلى فقهاء بَلَنْسِية»: الإسكوريال (ثان 538: 2).

8 ـ «رسالة إلى أبي الحُسين بن السراج»: الإسكوريال (ثان 538: 9).

9 ـ «رسالة عن العبور من سبتة إلى الجزيرة»: الإسكوريال (ثان 538: 3).

10 ـ **سراج الأدب: على نهج النوادر لأبي عليّ بن سعيد** (ذكره المَقّري: **نَفح الطِّيب**: 3/ 184).

11 ـ «أُرجوزة في الأنواء»: يقول عنها ابن خير، إنها بديعة (فهرسة ما رواه عن شيوخه: 420).

12 ـ كتاب **المنهج في معارضة المبهج** (قرأه عليه ابن خير، فهرسة: 386).

13 ـ «رسالة خطف البارق وقذف المارق في الرد على ابن غرسيه الفاسق في تفضيله العَجَم على العرب وقرعه النبغ بالغرب»، (عرّفنا بها البَلَوي، **ألف باء**: 1/ 35).

وقد نشر محمود عليّ مكي ضمن بحثه وثائق تاريخية جديدة عن عصر المرابطين، مجموعة من رسائل ابن أبي الخصّال، صادرة عن الأمير عليّ بن يُوسُف، نشير إلى ما يأتي منها:

1 ـ «رسالة موجهة إلى قاضي مالقة أبي محمّد عبد اللّه بن أحمد بن عُمَر القيسي المالقي»، مؤرخة في (خمس بقين من ذي الحجة سنة 523هـ) / 28 ديسمبر 1129.

2 ـ «رسالة من عليّ بن يُوسُف إلى ابنه أبي بكر»، مؤرخة بيوم الأربعاء 27 صفر سنة 520هـ / 24 مارس/ آذار 1126م.

3 ـ «رسالة من عليّ بن يُوسُف إلى أهل الأندلُس كافةً يُعلّمهم فيها استعداده للتوجه إلى الجهاد في سبيل الدفاع عن الإسلام»، صادرة في منتصف شوال سنة 507هـ/ 25 مارس/ آذار 1114م.

4 ـ «رسالة موضوعها وفود الفقيه المشاوَر ابن رشد (الجَد) إلى المغرب، ولقاؤه لأمير المسلمين، وما وصفه من سوء أحوال الأندلُس». ونورد منها فقرة للاطّلاع على أسلوب ابن أبي الخصّال:

«كتابنا أبقاكم اللّه، وأكرمكم بتقواه... وقبلُ ما وفد إلينا وورد علينا الفقيه الأَجَلّ المشاوَر أبو الوليد ابن رشد ـ أعزّه اللّه بطاعته ـ فبسط لدينا شأن تلك الجزيرة ـ كلأها اللّه ـ وجلاّه، ووصف من حالها ما أصخنا له حتى استوفاه، وجال بميدان البيان أفصح مجال، وعرض الأمور في معرضها بأبلغ مقال، فأشفقنا ـ علم اللّه ـ كل الإشفاق، وتضاعف ما كان عندنا وكيداً لصلة النظر والاشتياق...». (مكي، وثائق: 167).

وقد أشار ابن عِذاري المَرّاكُشي إلى رسالة أخرى، صادرة عن عليّ بن يُوسُف، إلى ابنه تاشِفين سنة 526هـ/ 1131م، يخبره فيها، أنه يجمع له ولاية قُرطُبَة إضافة إلى ولايتَي غَرناطة والمَريّة (**البيان المغرب**: 4/ 87). ولم ترد هذه الرسالة في المجموع الذي نشره حسين مؤنس ومحمود عليّ مكي.

وأورد ابن بَسّام الشَّنْتَريني فصولاً كثيرة من نثره، ومراسلاته معه، ومقطوعات من شعره، وجّه بها ابن أبي الخصّال إليه، منه قوله يصف ليلة أُنس

مع أحد ظباء بني مروان: [المنسرح]

ولـيـلـةٍ عـنـبـريّـةِ الأُفُـقِ رَوَيْتُ فيها السرورَ من طُرقِ
وكُنتُ حرّانَ فاقتدحتُ بها ناراً من الراح بَرَّدَتْ حُرَقي
حلت بنا عاطلاً وقد لبستْ غلالةً فُصِّلَتْ من الحدقِ
فجاءها الدهرُ من بنيه هوىً بفتيةٍ كالصباح في نسقِ

وقد أشار ابن خير الإشبيلي، إلى عناوين تسع من قصائده (فهرسة: 421). وكذلك نجد نماذج كثيرة من نثره ورسائله وشعره، أوردها الفتح بن خاقان، وابن سعيد المغربي، والعماد الأصفهاني، وابن دِحْيَة الكلبي، وابن الخطيب، وغيرهم مما لا يتسع المجال للإحاطة به. وهو يدلّ على إجادته لفن الكتابة، ونظم الشعر، ومكانته العالية بين أدباء عصره، ومن جاء بعدهم. ونكتفي بالإشارة إلى فقرة نجتزئها من إحدى رسائله إلى الأمير عليّ بن يُوسُف، حين كتب إليه سنة 503هـ/ 1109م، في بداية معرفته به، يطلب أنموذجاً من نثره ليُثبته في ديوانه، فكتب إليه ابن أبي الخصّال مجيباً بما يأتي:

«الحَذَر ـ أعزك اللّه ـ يُؤتى من الثقة، والحبيب يُؤذى من المقة، وقد كنت أرضى من ودك، وهو الصحيح بلمحة، وأقنع من ثنائك، وهو المسك بنفحة، فما زلت تعرّضني للامتحان، وتطالبني بالبرهان، وتأخذني بالبيان، وأنا بنفسي أعلم، وعلى مقداري أحوط وأحزم، والمعيدي يُسْمَع به لا أن يُرى، وإن وردت أخباره تترى...». (**خريدة القصر**: 3/ 450).

المصادر والمراجع:

ابن خاقان، **قلائد العِقيان ومحاسن الأعيان**، تحقيق، حسن خريوش، الأردن ـ الزرقاء، مكتبة المنار، 1989: 2/ 518 ـ 537؛ ابن بَسّام، **الذَخيرة في محاسن أهل الجزيرة**، تحقيق، إحسان عَبّاس، ط2، بيروت، دار الثقافة، 1979: ق3/ م2: 786 ـ 809؛ ابن خير الإشبيلي، **فهرسة ما رواه عن شيوخه**، نشر، فرانسثكة قدارة زيدين وخليان ربارة طرغوة، سَرَقُسطة، 1893، أعادت نشره دار الآفاق الجديدة في بيروت 1979: 386، 419، 420، 421، 469، 486، 491، 504، 515، 520، 531، 532؛ ابن بَشْكُوَال، كتاب الصِّلة، القاهرة، الدار المصرية

للتأليف والترجمة، 1966: 2/ 588 ـ 689 الترجمة (1294)؛ العماد الأصفهاني، **خَريدة القصر وجريدة العصر**، تحقيق، آذرتاش آذرنوش، تونس، الدار التونسية للنشر، 1972: 3/ 449 ـ 459؛ الضَّبّيّ، **بُغية المُلتَمِس**، نشر فرانسسكو كوديرا، مدريد، 1884: 121 الترجمة (282)؛ البَلَوي، كتاب **ألف باء**، بيروت، عالم الكتب عن طبعة مصر، المطبعة الوهبية، 1287هـ: 1/ 35، 315؛ ابن دِحْيَة، **المُطرب في أشعار أهل المَغرب**، تحقيق، مصطفى عوض الكريم، الخرطوم، مطبعة مصر، 1954: 171 ـ 172؛ عبد الواحد المَرّاكُشي، **المُعجِب في تلخيص أخبار المَغرب**، ط7، تحقيق، محمّد سعيد العريان ومحمّد العربي العلمي، الدار البيضاء، دار الكتاب، 1978: 255 ـ 260؛ ابن الأبّار، **المُعجَم في أصحاب القاضي الإمام أبي عليّ الصدفي**، القاهرة، دار الكاتب العربي، 1967: 149 ـ 154؛ ابن القَطّان، **نظم الجُمان**، تحقيق، محمود عليّ مكي، تطوان، 1966 (منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية بالرباط): 111 مع حاشية المحقق؛ ابن سَعيد وأسرته، **المُغرِب في حلى المَغرِب**، تحقيق، شوقي ضيف، القاهرة، دار المعارف، 1964: 2/ 66 ـ 67؛ ابن سعيد، **رايات المُبرّزين**، تحقيق، غرسية غومس، طبعة مدريد: 74؛ ابن عبد الملك المَرّاكُشي، **الذيل والتكملة لكتابَي الموصول والصِّلة**، تحقيق، إحسان عَبّاس، بيروت، دار الثقافة، 1973: السِفْر الخامس/ القسم الأول: 47 ـ 50؛ ابن عِذاري المَرّاكُشي، **البيان المُغرب في أخبار الأندلُس والمَغرِب**، نشر، أمبروسي هويسي ميرندة، تطوان، 1960 أعادت دار الثقافة نشره في بيروت 1967: 4/ 87 ـ 88؛ العمري، **مسالك الأبصار في ممالك الأمصار**، مخطوط آيا صوفيا، ج11، الورقة 243؛ ابن الخطيب، **الإحاطة في أخبار غَرناطة**، تحقيق، محمّد عبد اللّه عنان، القاهرة، مكتبة الخانجي، 1974: 2/ 388 ـ 418؛ السُّيُوطيّ، **بغية الوعاة**، تحقيق، محمّد أبو الفضل إبراهيم، القاهرة، المكتبة العصرية، 1964: 1/ 243 ـ 244؛ المَقّري، **نَفح الطِّيب من غصن الأندلُس الرطيب**، تحقيق، إحسان عَبّاس، بيروت، دار صادر، 1968: 3/ 184؛ حاجي خليفة، **كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون**، إستانبول، 1941 ـ 1943 أعادت طبعه بالأوفست مكتبة المُثَنّى في بغداد: 1/ 716؛ البغدادي، **إيضاح المكنون**، إستانبول، 1947 أعادت طبعه بالأوفست مكتبة المُثَنّى في بغداد: 2/ 6، 589؛ البغدادي، **هدِيّة العارفين**، إستانبول، 1951 أعادت طبعه

بالأوفست مكتبة المُثَنّى في بغداد: 2/ 89؛ Pons Boigues, Los Hitoriadores Y Geografos Arabigo-Espanoles, Amsterdam, 1972, reprint of Madrid edition, 1898: 205-206؛ بروكلمان، **تاريخ الأدب العربي**، ترجمة السيد يعقوب بكر ورمضان عبد التواب، القاهرة، دار المعارف، 1977: 6/ 265 ـ 266؛ بالنثيا، **تاريخ الفكر الأندلسي**، ترجمة، حسين مؤنس، القاهرة، مكتبة النهضة المصرية، 1955: 177؛ حسين مؤنس، «سبع وثائق جديدة عن دولة المرابطين»، **صحيفة المعهد المصري للدراسات الإسلامية**، المجلد الثاني/ ج 2، مدريد، 1954: 58 ـ 59؛ حسين مؤنس، «نصوص سياسية عن فترة الانتقال من المرابطين إلى الموحدين»، **صحيفة المعهد المصري للدراسات الإسلامية**، المجلد الثالث، مدريد، 1955: 98؛ كحالة، **مُعجَم المؤلِّفين**، دمشق، مطبعة الترقي، 1957: 12/ 18؛ محمود عليّ مكي، «وثائق تاريخية جديدة عن عصر المرابطين»، **صحيفة معهد الدراسات الإسلامية**، المجلدان السابع والثامن، مدريد، 1959 ـ 1960: 118، 167، 169، 170 ـ 174؛ إحسان عَبّاس، **تاريخ الأدب الأندلُسي / عصر الطوائف والمرابطين**، ط5، بيروت، دار الثقافة، 1978: 2/ 316؛ سلامة الهرفي، **دولة المرابطين في عهد عليّ بن يُوسُف بن تاشِفين**، بيروت، دار النُدوة الجديدة، 1985: 343 ـ 344؛ عبد الواحد ذنون طه، «موارد تاريخ ابن عِذاري المَرّاكُشي عن المرابطين والموحدين في المغرب والأندلُس»، **مجلة المجمع العلمي العراقي**، ج 3 و 4/ م40، بغداد، 1089: 412.

7 ـ أحمد بن جعفر بن عطيَّة (517 ـ 553هـ/1123 ـ 1158م)

أبو جعفر أحمد بن جعفر بن محمّد القُضاعي المَرّاكُشي، أديب، وشاعر من كُتّاب الدولة الموحدية. أصله القديم من قرية قَمْرِلَة Cambira في طرطوشة Tortosaمن شرق الأندلُس، ثم دانية Denia. وقد هاجر أهله إلى المغرب، حيث ولد في مدينة مَرّاكُش، وتلقّى فيها تعليمه الأولي عن أبيه، وعن طائفة كبيرة من العلماء، فأصبح من الكُتّاب الذين يُشار إليهم بالبنان. وقد كتب لبعض أمراء المرابطين، مثل عليّ بن يُوسُف بن تاشِفين (500 ـ 537هـ/ 1107 ـ 1143م) في آخر أيامه، وابنه تاشِفين (537 ـ 540هـ/ 1143 ـ 1145م)، كما خدم أبا إسحاق إبراهيم بن تاشِفين أيضاً، وهو آخر أمراء المرابطين. فلما سقطت الدولة المرابطية، هرب

http://al-maktabeh.com

ابن عطيَّة، وغيَّر هيئته، وتشبَّه بالجند، وانخرط في صفوفهم، فأصبح في فرقة المشاة من الرماة، لأنه كان يُحسن الرمي. وعندما خرج محمّد بن هود الماسي في السُوس، داعياً ضِدَّ الموحدين، كان ابن عطيَّة ضمن فرقة الجند الذين توجهوا لقتاله بقيادة الشيخ أبي حفص عُمَر بن يحيى الهنتاني. وبعد الانتصار على المتمرد وقتله في أواخر سنة 541هـ/ 1146م، طلب القائد أبو حفص مَنْ يكتب عنه رسالة إلى الخليفة عَبد المُؤمن بن عليّ (524 ـ 558هـ/ 1130 ـ 1163م). فدُلَّ على ابن عطيَّة، الذي تمنَّع وأظهر العجز في أول الأمر، لكنه رضخ بعد إلحاح القائد. فكتب رسالة فائقة مشهورة، نالت إعجاب الخليفة، الذي أمر بإحضار كاتبها، وسأله عن نفسه، فأخبره بالحقيقة، فقلَّده الكتابة في ديوانه، وأسند إليه الوزارة أيضاً، وفوَّض إليه النظر في أموره كلها، لِما رآه من شجاعته وحصافة عقله. فنهض بأعباء ما فُوِّض إليه، وتحبَّب إلى الناس بالسعي للإحسان إليهم، فعمَّت فضائله، وفشا معروفه، وكان محمود السيرة، سعيد المآخذ، مُيسَّر المآرب، وكانت وزارته زيناً للوقت، وكمالاً للدولة. (**الإحاطة**: 2/ 264).

لكن أمور ابن عطيَّة لم تسر على ما يرام بعد ذلك، لكثرة حُسّاده الذين استغلوا غيابه في الأندلُس، لقضاء مهام كلَّفه بها الخليفة عبد المُؤمن بن عليّ، فوجدوا السبيل ليُوغِروا صدره عليه. وقد استغل أعداؤه صلته القديمة بالمرابطين، وأنه كان متزوجاً من ابنة أبي بكر بن يُوسُف بن تاشِفين، التي تُعرف ببنت الصحراوية. وهي أخت يحيى ابن الصحراوية، فارس المرابطين المشهور، الذي عفا عنه الموحدون. ويبدو أن ابن عطيَّة قد حذَّر ابن الصحراوية من تغيُّر الخليفة عليه، ما عدَّه الخليفة إفشاءً لسره. وما زاد في نقمة الخليفة، قيام بعض المُغرضين بطرح أبيات من الشعر للتحريض عليه، تشير إلى ميله إلى المرابطين، الذين قد يبادرون إلى أخذ الثأر مما أصابهم على أيدي الموحدين. فكانت هذه الأبيات من أقوى الأسباب في قتل ابن عطيَّة، وكذلك قتل أخيه أبي عقيل عطيَّة، الذي كان أيضاً كاتباً معه في «ديوان» عَبد المُؤمن بن عليّ. وقد أُلقي القبض على الوزير حال رجوعه من الأندلُس، ثم قُيِّد في المسجد في اليوم التالي، وأُحضر الناس، ليشهدوا على ما يعلمون بحقِّه. فأجاب كلٌّ بما اقتضى هواه، وسُجن ابن عطيَّة وأخوه، ثم اصطحبهما الخليفة مأسورَيْن، في زيارته لتربة المَهْدي بن تُومَرت في تينملل. وصدرت عن ابن عطيَّة في هذه الرحلة رسائل عديدة، وقصائد على سبيل

التوسل، وطلب الغفران، لكنها لم تُجْدِ نفعاً، حيث أمر الخليفة عبد المُؤمِن بقتلهما في طريق العودة، بالقرب من مَرَّاكُش، في التاسع والعشرين من صفر سنة 553هـ/ 1158م.

وصف لسان الدين ابن الخطيب ابن عطيّة بأنه: «كان كاتباً بليغاً، سهل المآخذ، مُنقاد القريحة، سيّال الطبع». وبالإطلاع على ما وصل إلينا من نثره وشعره، نجد أنّ هذه الأوصاف تنطبق تماماً عليه. ومن حُسن الحظ، أن عدداً لابأس به من رسائله، قد حُفِظَتْ لنا في مؤلفات كُتّاب آخرين، ولاسيما الذين ترجموا له. كذلك فقد نشر ليفي بروفنسال Levi-Provencal ضمن مجموع رسائل موحدية، عدداً من هذه الرسائل. ومن رسائله، ما لم يرد في هذا المجموع، مثال ذلك، تلك التي أوردها ابن عِذاري المَرَّاكُشي، وهي التي صدرت عن الخليفة عَبد المُؤْمِن بن عليّ في الخامس عشر من ربيع الأول سنة 543هـ/ 1148م، وَوُجِّهت إلى البلاد التابعة للمُوحّدين في المغرب والأندلُس، يأمرهم فيها بالمعروف، وينهى عن المنكر، وعن سفك الدماء. فأجاد فيها ابن عطيّة «وكانت الجودة في معانيه». وقد جمعت هذه الرسالة قوانين العدل والفضل، والسياسة والرئاسة، فكانت حُجَّة بأيدي الناس، ومؤمِّنة لهم من البأس. (**البيان المُغرب**: «قسم الموحدين» :37).

ولعل من المفيد أن نشير إلى رسالته الأولى التي كتبها عن القائد أبي حفص عُمَر الهنتاني، ووجّهها إلى الخليفة عبد المُؤمِن، وهي التي أورثته الكتابة والوزارة لدى الدولة المُوحّدية، فقد جاء فيها، حسبما أوردها (ابن الأبّار: **إعتاب الكُتّاب**: 227 ـ 228):

«كتابنا هذا من وادي ماسة بعدما تجدَّد من أمر اللّه الكريم، ونصره المعهود المعلوم، ﴿وَمَا ٱلنَّصۡرُ إِلَّا مِنۡ عِندِ ٱللَّهِ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡحَكِيمِ﴾ [آل عمران: 126]. فتحٌ بَهرَ الأنوار إشراقاً، وأحدق بنفوس المؤمنين إحداقاً، ونبّه من الأماني النائمة جُفُوناً وأحداقاً، واستغرق غايات الشكر استغراقاً، فلا تطيق الألْسُنُ لِكُنْهِ وَصْفِهِ إدراكاً ولا لحاقاً، جمع أشتات الطلب والأرب، وتقلب في النعَم أكرمَ مُنقلَب، وملأ دلاء الآمال إلى عَقْد الكَرَب: **[البسيط]**

فـتـحٌ تُـفَـتَّـحُ أبـوابُ الـسـمـاءِ لـه وتَبْرُزُ الأرضُ في أثوابها القُشُبِ...»

واحتفظ لنا ابن القطّان أيضاً برسالته المؤرخة في 16 ربيع الأول سنة 543،

والتي وجّهها الخليفة عبد المُؤمِن بن عليّ عند زيارته لقبر المَهْدي محمّد بن تُومَرت، إلى جميع الطلبة الذين في الأندلُس، ومن صحبهم من المشيخة والأعيان والكافة، يأمرهم فيها بالعدل، والنهي عن المنكر. وقد كان لهذه الرسالة شهرةٌ عظيمةٌ وانتشارٌ واسع، وأصبحت بعد ذلك مثلاً يُقتدى به لدى الخلفاء الموحدين. وهي طويلة نوعاً ما، أخذت نحو سبع عشرة صفحة من النص المطبوع. (**نظم الجُمان**: 150 ـ 167).

ومن نثر ابن عطيّة، ما خاطب به الخليفة عبد المُؤمِن بن عليّ مستعطفاً له، في رسالة غالى فيها، ولم يحرس لسانه من الوقوع في ما يقدح فضل الأنبياء على غيرهم وعصمتهم، فمن ذلك قوله:

«تاللّه لو أحاطت بي كل خطيئة، ولم تنفك نفسي عن الخيرات بطيئة، حتى سخرت بمن في الوجود، وأنفت لآدم من السجود، وقلت: إن اللّه تعالى لم يُوحِ إلى الفُلك إلى نوح، وبَرَيْتُ لقرار ثمود نَبْلاً، وأبرمتُ لحطب نار الخليل حَبْلاً، وحططتُ عن يونس شجرة اليقطين، وأوقدتُ مع هامان على الطين، وقبضتُ قبضةً من أثر الرسولِ فنبذتها، وافتريتُ على العذراء البتول فقذفتها، وكتبتُ صحيفة القطيعة بدار الندوة، وظاهرتُ الأحزاب بالقصوى من العدوة، وذَمَمْتُ كل قُرَشي، وأكرمتُ لأجل وَحْشي كلَّ حَبَشي... ثم أتيتُ حضرة المعلوم لائذاً، وبقبر الإمام المَهْدي عائذاً، لقد آن لمقالتي أن تُسمع، وتُغفر لي هذه الخطيئات أجمع، مع أني مقترف، وبالذنب معترف: **[الطويل]**

فعفواً أمير المؤمنين فمن لنا ... بردّ قلوبٍ هدّها الخفقانُ»

ومن شعره أيضاً ما كتب به من السجن: **[الطويل]**

أنوحُ على نفسي أم أنتظرُ الصَّفحا ... فقد آن أن تُنسى الذنوبُ وأن تُمحى

فها أنا في ليلٍ من السُّخطِ حائرٌ ... ولا أهتدي حتى أرى للرضى صُبحا

وكان عبد المُؤمِن بن عليّ شديد التقدير لقابلية ابن عطيّة الشعرية والأدبية، ولطبقته العالية بين الكُتّاب، ولاسيما أنه قد خَبِره في مناسبات عديدة. من ذلك مثلاً: أنه مرَّ معه ببعض طُرُق مَرّاكُش، فأطلّت من شباك امرأة بارعة الجمال، فقال عبد المُؤمِن: **[البسيط]**

قـدَّت فـؤادي مـن الـشُـبـاكِ إذ نـظـرتْ

فقال الوزير ابن عطيَّة مُجيزاً له:

حـوراء تَـرْنـو إلـى الـعُـشَّـاقِ بـالـمُـقَـلِ

فقال عبد المُؤمِن:

كـأنـمـا لـحـظُـهـا فـي قـلـبِ عـاشِـقِـهـا

فقال ابن عطيَّة:

سـيـفُ الـمُـؤَيَّـدِ عـبـد الـمُـؤمِـن بـن عـلـيّ

وقد حاول عبد المُؤمِن أن يمتحن شعراء عصره بهجاء ابن عطيَّة، بعد محنته، فلما أسمعوه ما قالوا، أعرض عنهم، وقال: «ذهب ابن عطيَّة وذهب الأدب معه» (المَقَّري، **نَفح الطِّيب**: 5/ 184 ـ 187). ويقال بأنه ندم على قتله، وبكى عليه، لكن بعد فوات الأوان. وهكذا خسر ابن عطيَّة حياته نتيجة الحسد، والتسرع، والاستماع إلى بُهتان الأعداء. فخسرت أُمَّته بوفاته أحد كُتَّابها المُتقدِّمين، الذي لم يبلغ مبلغه أحدٌ في جِدِّه، ومجده، وكتابته، وفصاحته، ونصحه، وخدمته، وسلوكه طُرُق المكارم، واجتنابه للمحارم، وحبّه لقضاء حاجات الناس.

المصادر والمراجع:

«بعض رسائل ابن عطيَّة»، نشرها ليفي بروفنسال في: **مجموع رسائل مُوحِّديَّة**، رباط الفتح، 1941: صفحة د ـ هـ من «المُقدِّمة»، 1 ـ 3، 22 ـ 26، 62 ـ 67، 71 ـ 93، 126 ـ 138؛ البيذق، **أخبار المَهْدي بن تُومَرت وبداية دولة المُوحِّدين**، الرباط، دار المَنصور للطباعة والوراقة، 1971: 64، 78، 79؛ ابن القَطّان، **نظم الجُمان**، تحقيق، محمود عليّ مكي، تطوان، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية بالرباط، 1960: 138، 139، 140، 149، 150 ـ 167، 173، 174، 175، 177؛ ابن صاحب الصلاة، **تاريخ المنّ بالإمامة على المُستضعفين**، تحقيق، عبد الهادي التازي، دار الأندلُس، بيروت، 1964: 223، وهامش المحقق رقم (4)، 307؛ عبد الواحد المَرّاكُشي، **المُعجِب في تلخيص أخبار المَغرِب**، تحقيق، محمّد سعيد العريان ومحمّد العربي العلمي، ط7، الدار البيضاء، دار

الكتاب، 1978: 290 ـ 292، 294؛ ابن الأبّار، **إعتاب الكُتّاب**، تحقيق، صالح الأشتر، دمشق، 1961: 225 ـ 229؛ ابن الأبّار، **الحُلّة السّيراء**، تحقيق، حسين مؤنس، القاهرة، الشركة العربية للطباعة والنشر، 1963: 2/ 194، 225، 226، 237، 238، 242؛ ابن عِذاري المَرّاكُشي، **البيان المُغرِب في أخبار الأندلُس والمَغرِب**/ قسم «المُوَحّدين»، تحقيق، محمّد إبراهيم الكتاني ورفاقه، بيروت، دار الغرب الإسلامي، 1985: 31 ـ 32، 34، 37، 43، 44، 47، 49، 50، 51، 52، 56، (57 ـ 60)، 61، 80؛ ابن أبي زرع، **الأنيس المُطرب بروض القرطاس**، الرباط، دار المَنصور للطباعة والوراقة، 1973: 204؛ ابن الخطيب، **الإحاطة في أخبار غرناطة**، ط2، تحقيق، محمّد عبد اللّه عنان، القاهرة، مكتبة الخانجي، 1973: 1/ 263 ـ 271؛ مجهول، **الحُلَل المُوشّية في ذكر الأخبار المَرّاكُشية**، تحقيق، سهيل زكار وعبد القادر زمامة، الدار البيضاء، دار الرشاد الحديثة، 1979: 142؛ المَقّري، **نَفح الطّيب من غصن الأندلُس الرطيب**، تحقيق، إحسان عَبّاس، بيروت، دار صادر، 1968: 5/ 183 ـ 188، 7/ 13 ـ 115؛ الناصري السلاوي، **الاستقصا لأخبار المَغرِب الأقصى**، تحقيق، جعفر ومحمّد الناصري، الدار البيضاء، 1954: 2/ 131 ـ 134؛ محمّد المنوني، **العلوم والآداب والفنون على عهد المُوَحّدين**، تطوان، نشر معهد مولاي الحسن، 1950: 166؛ عبد القادر زمامة، «اكتشاف نص جديد من كتاب البيان المُغرِب في اختصار أخبار ملوك الأندلُس والمَغرِب يتعلّق بتاريخ المُوَحّدين»، **مجلة كلية الآداب والعلوم الإنسانية**، جامعة محمّد بن عبد اللّه، العددان الرابع والخامس، 1980 ـ 1981: 305؛ سلامة الهرفي، دولة المرابطين في عهد عليّ بن يُوسُف بن تاشِفين، بيروت، دار الندوة الجديدة، 1985: 345؛ عبد الواحد ذنون طه، «موارد تاريخ ابن عِذاري المَرّاكُشي عن المرابطين والمُوَحّدين في المَغرِب والأندلُس»، **مجلة المجمع العلمي العراقي**، ج3 و 4 / م40، بغداد، 1989: 414.

8 ـ محمّد بن أحمد بن عامر السالمي البَلَوي (ت 559هـ/1163م):

أبو عامر محمّد بن أحمد بن عامر السالمي البَلَوي، مُحدِّث، أديب، لغوي، مؤرخ، طبيب. عُرف بالسالمي لأن أصله من مدينة سالم Medinacile، الواقعة في شمال شرق الأندلُس. لكنه تنقّل في شرق الأندلُس، وسكن عدة مدن هناك، منها

طُرطُوشة Tortosa، وشاطِبة Jativa. كما سكن في مدينة مُرسِيه Murcia أيضاً، حيث كتب للأمير محمّد بن سعد بن مَردَنيش الجذامي (ت 567هـ/ 1171م)، الذي استقلّ في منطقة شرق الأندلُس في أواخر عهد المرابطين وبداية المُوَحّدين. وليس لدينا تفصيلات كثيرة عن شيوخه، ومصادر تعليمه، باستثناء أنه روى عن أبيه، وعن أبي جعفر بن مسعدة، وأبي عبد اللّه بن أحمد بن سُليمان الأوريولي ابن الصفار. لكن مؤلفاته الموسوعية المتعددة، تشير إلى ثقافة عالية، لابد من أنه حصل عليها من ملازمته لعلماء آخرين كبار، كانوا متواجدين على الساحة العلمية في الأندلُس في أواخر القرن الخامس والنصف الأول للسادس الهجريين. وقد أشار أبو عبد اللّه محمّد بن الأبّار (ت 658هـ/ 1260م) إلى اثنين ممن أخذوا عنه: الأول هو: عبد المنعم بن محمّد بن الفرس الغَرناطي (ت 597هـ/ 1200م)، الذي لقيه في مدينة مُرسِيه، وجالسه، وتناول منه بعض كتبه، والثاني هو: أبو القاسم ابن البرّاق، الذي كان يراسله. (**التكملة**: 2/ 495).

كان أبو عامر السالمي مُولَعاً بالتأليف، بسبب حبه للعلم والمعرفة، وليس طمعاً في دنيا، أو تقرُّباً من سلطان لأجل المال. وقد احتفظ لنا أبو عبد اللّه محمّد بن عبد الملك المَرّاكُشي (ت 703هـ/ 1303م)، الذي اطّلع على أحد أهم كتبه، وهو **دُرَرُ القلائد**، ونقل منه «المُقدّمة» التي دوّنها السالمي في «صدر» كتابه، عن سبب تأليفه لهذا الكتاب، ولمؤلفاته الأخرى بشكل عام، فقال: «ولم أزل مولَعاً بالتأليف راغباً في التصنيف، جعلته هجّيراي، وقطعت به دنياي، دون تقرُّب به لرئيس، ولو سمح فيه بمال نفيس، فما ألّفته إلى انقراض دولة المرابطين في سنة تسع وثلاثين وخمسمائة...» (**الذيل والتكملة**: 6/ 8 ـ 9)، ثم يبدأ بتعداد مؤلفاته، وهي بحسب ترتيبه لها:

1 ـ كتاب **سراج الإسلام ومنهاج السلام من مجرد كلام النبي عليه السلام**، وهو سفران.

2 ـ كتاب **حِلْيَةُ الكاتب وبُغية الطالب في الأمثال السائرة والأشعار النادرة**.

3 ـ كتاب **حِلْيَةُ اللسان وبُغية الإنسان في الأوصاف والتشبيهات والأشعار السائرات**. وقد نقل عنه ابن الأبّار بعض الأشعار في (**الحُلّة السّيَراء**: 1/ 236 ـ 237).

4 ـ كتاب **طبقات الشعراء الأعلام في الجاهلية والإسلام إلى هذا التاريخ**، مُرتّباً على حروف الهجاء، وهو أربعة أسفار.

5 ـ كتاب **بُستان الأنفس في نظم أعيان الأندلُس إلى هذا التاريخ**، وهو ثلاثة أسفار.

6 ـ كتاب **منهاج الكتاب**، عارض به كتاب الصاحب بن عبّاد في مثله، وهو خمسة عشر باباً. وقف عليه ابن عبد الملك المَرّاكُشي، وقال عنه بأنه كتاب «نبيل المنزع».

7 ـ كتاب **بهجة وفرجة**، وهو على مثال **كليلة ودمنة**.

8 ـ كتاب **المنتخب من لغات العرب**، مُرتّب على حروف الهجاء، وهو سفران كبيران.

9 ـ كتاب **الاعتذار في القصص والأخبار على نهاية التقريب والاختصار**، وهو سفران.

10 ـ كتاب **تذكرة الأزمان وتبصرة الأذهان**، وهو سفران.

11 ـ كتاب **العبارة**، وهو في خمسين باباً. وقف عليه ابن عبد الملك المَرّاكُشيّ بخط المؤلف، وقال عنه: «جيّد في بابه».

12 ـ كتاب **الأزهار في اختلاف الليل والنهار**.

13 ـ كتاب **الأسرار في التجارب والأخبار**.

14 ـ كتاب **الشفاء في الطب والأدواء**.

أشار السالمي إلى هذه الكتب جميعاً في «صدر» كتابه **دُرَرُ القلائد** الذي يستمر إلى سنة 539هـ. وقد ألّف أيضاً بعد هذا التاريخ كتباً أخرى منها:

15 ـ كتاب في **الفتنة الكائنة على اللّمتونيين بالأندلُس سنة أربعين وما يليها قبلها وبعدها**.

16 ـ كتاب **عبرة العِبَر وعجائب القَدَر في ذِكر الفتن الأندلُسية والعَدوية بعد فساد الدولة المرابطية**، وهو مختصر للكتاب السابق. وقف عليه ابن عبد الملك

المَرّاكُشيّ في مدينة فاس بخط المؤلف سنـــة 699هـ/ 1299م.

17 ـ كتاب **السلك المنظوم والمسك المختوم**، أشار إليه أحمد بن يحيى الضَّبّيّ، وقال عنه إن مُؤلّفه «جمع فيه علوماً، وجدد من الدهر آثاراً ورسوماً»، لكنه لم يحدّد موضوعه.

18 ـ كتاب **دُرَرُ القلائد وغُرَرُ الفوائد في أخبار الأندلُس وأمرائها وطبقات علمائها وشعرائها**، انفرد ابن عبد الملك المَرّاكُشيّ بذكر هذا العنوان الطويل.

وتدل هذه المجموعة المتنوعة من المؤلّفات على سعة أُفُق السالمي، واستيعابه لكثير من العلوم العقلية والنقلية المعروفة في زمانه، ولاسيما اللغة والأدب، والحديث، والتاريخ، والجغرافية، والصيدلة، والطب. فهو من العلماء الموسوعيين الذين زخر بهم العالم الإسلامي في المشرق والمغرب. وكتبه هذه تُمثّل المستوى العلمي والحضاري الذي وصل إليه العرب في الأندلُس في عصر المرابطين. غير أن كل هذه الكتب فُقدت، ولم يبق لدينا سوى نصوص متفرقة من كتابه المشهور **دُرَرُ القلائد وغُرَرُ الفوائد**، الذي اطّلع عليه كلٌّ من ابن عبد الملك المَرّاكُشيّ، وأبي العبّاس أحمد بن محمّد بن عِذاري المَرّاكُشيّ (كان حيًّا سنة 712هـ/ 1312م). وإن عنوان الكتاب الطويل الذي أوردناه، يشير إلى أن هذا الكتاب تاريخي بالدرجة الأولى، لكنه مع ذلك ضمّ تراجم لبعض العلماء والشعراء. ويؤيّد هذا إشارة ابن عبد الملك المَرّاكُشيّ إلى ترجمة أحمد بن محمّد بن سهل، من شعراء بني هُود، التي أخذها عن هذا الكتاب. (**الذيل والتكملة** : س1/ ق 2 : 435)

ومن المرجح أن السالمي قد اتّبع في تأليف هذا الكتاب الطريقة نفسها التي سار عليها بقية مؤرخي الأندلُس، في كتابة «مُقَدّمة» جغرافية لبلدهم قبل البدء بتاريخها. وهناك نص أشار إليه أحمد بن محمّد المَقّري (ت 1041هـ/ 1621م)، يؤيد هذا الترجيح، فقد نقل عن السالمي في ما يخص جغرافية الأندلُس قوله إنها : «من الإقليم الشامي، وهو خير الأقاليم، وأعدلها هواءً وتراباً، وأعذبها ماءً، وأطيبها هواءً وحيواناً ونباتاً، وهو أوسط الأقاليم، وخير الأمور أوسطها». ولهذا فقد بدأ السالمي كتابه بجغرافية الأندلُس، ثم تحدّث عن الفتح، وبقية الأحداث التاريخية التي رافقت الوجود العربي الإسلامي في هذه البلاد إلى أواخر عهد المرابطين، حيث توقف في سنة 539هـ، حسبما أشار إلى ذلك المؤلف نفسه.

ولا يتوافر لدينا إلا عدد محدود من نصوص هذا الكتاب التي اقتبسها بعض المؤرخين اللاحقين، ولاسيما ابن عِذاري الذي احتفظ لنا بستة منها في كتابه **البيان المُغرِب**، وهي عن الأحداث الآتية:

النص الأول عن تمرُّد العلاء بن مغيث الجذامي في عهد الأمير عبد الرحمن الداخل، وعلاقة الخليفة العبّاسي أبو جَعْفَر المَنصور بذلك. والنصان الثاني والثالث عن عهد الولاة في الأندلُس، والصراع الداخلي بين بعض هؤلاء الولاة. والنص الرابع عن دخول النورمان إلى مدينة إشبيلية Sevilla سنة 230هـ/ 844م. والنص الخامس عن إحدى غزوات الأمير محمّد بن عبد الرحمن المعروفة بوقعة وادي سليط عام 240هـ/ 854م. والنص السادس عن إبراهيم بن حَجّاج المُتسلّط على إشبيلية، وخبر شرائه لجارية بغدادية.

وهذه النصوص بطبيعة الحال، لا تيسّر للباحث تكوين فكرة كاملة عن المنهج الذي اتّبعه السالمي في تأليف كتابه، وهل سار على طريقة الحوليات مثلاً؟ أم استخدم الرواية؟ لكن من ملاحظة أسلوبه في «مُقَدّمة» الكتاب التي نقلها ابن عبد الملك المَرّاكُشيّ، وفي النص الذي أشار إليه ابن عِذاري بخصوص وقعة وادي سليط، يتبيّن استخدامه للسجع والألفاظ المنمقة. ويُثْبِت ابن عبد الملك المَرّاكُشيّ، الذي اطّلع على «السِفْرين الأول والثاني» من هذا الكتاب، بعض الانتقادات، منها إشارته إلى وجود أغلاط، وأوهام نحوية، وضروب من الخلل في الهجاء الخطّي. ويرى بأن مصدر بعضها هو الغَفْلة، والجري على المألوف من كلام العوام. ومع هذا فإن هذه الأخطاء الشكلية لا تقلّل من القيمة الفعلية، والمضمون التاريخي للكتاب، الذي لو وصلنا، لكان بالتأكيد سيُثري معلوماتنا عن الأندلُس في الفترة المعاصرة لهذا المؤلف الذي توفي في سنة 559هـ/ 1163، أو نحوها.

المصادر والمراجع:

الضَّبّيّ، **بُغية المُلتَمِس**، نشر، فرانسسكو كوديرا، مدريد، 1884: 43 (الترجمتان 31 و 35)؛ ابن الأبّار، **التكملة لكتاب الصِّلة**، نشر، عزت العطار الحسيني، القاهرة، مطبعة السعادة، 1955 ـ 1956: 495 (الترجمة 1368)؛ ابن

الأبّار، **الحُلّة السّيراء**، تحقيق، حسين مؤنس، القاهرة، الشركة العربية للطباعة والنشر، 1963: 1/ 236 ـ 237، 2/ 92؛ ابن عبد الملك المَرّاكُشيّ، **الذيل والتكملة لكتابي الموصول والصّلة، السِفْر الأول/** القسم الثاني، تحقيق، محمّد بن شَريفة، بيروت، دار الثقافة (د.ت): 435؛ **السِفْر السادس**، تحقيق، إحسان عَبّاس، بيروت، دار الثقافة، 1973: 6/ 709؛ ابن عِذاري المَرّاكُشيّ، **البيان المُغرب في أخبار الأندلُس والمَغرب**، نشر، كولان وليفي بروفنسال، ليدن، 1948، أعادت دار الثقافة نشره في بيروت: 2/ 32، 33، 52، 87، 112 ـ 113، 128؛ الصفدي، **الوافي بالوفيات**، باعتناء، س. ديدرينغ، إستانبول، مطبعة وزارة المعارف، 1949: 2/ 111 ـ 112؛ ابن قاضي شهبة، **طبقات اللغويين والنحويين**، نسخة مكتبة الأوقاف في بغداد برقم (110)، عن مخطوط المكتبة الظاهرية في دمشق: 9؛ السُيوطيّ، **بُغية الوُعاة في طبقات اللغويين والنُحاة**، تحقيق، محمّد أبو الفضل إبراهيم، القاهرة مطبعة عيسى البابي الحلبي، 1964: 1/ 37 (الترجمة 60)؛ المَقّري، **نَفح الطّيب من غصن الأندلُس الرطيب**، تحقيق، إحسان عَبّاس، بيروت، دار صادر، 1968: 1/ 126؛ حاجي خليفة، **كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون**، إستانبول، 1941 ـ 1943، أعادت نشره مكتبة المُثنّى في بغداد: 2/ 1055، 1404؛ Pons Boigues, Los Historiadores Y Geografos Arabigo-Espanoles, Amsterdam, 1972, reprint of Madrid edition, 1898: 226-227; C. Brockelmann, Geschichte der Arabischen Litteratur, leiden, Brill, 1938, Vol. I. p. 499, S. I, p 914; **مُعجَم المؤلفين**، دمشق، مطبعة الترقي، 1957: 8/ 272؛ عصمت دندش، **الأندلُس في نهاية المرابطين ومستهل المُوحّدين**، بيروت، دار الغرب الإسلامي، 1988، 440 ـ 441؛ عبد الواحد ذنون طه، «موارد تاريخ ابن عِذاري المَرّاكُشيّ عن الأندلُس من الفتح إلى نهاية عهد الطوائف»، **مجلة المجمع العلمي العراقي**، ج4/ م37، بغداد، 1986: 353 ـ 358.

9 ـ عبد الملك بن عيّاش الأزْدي (568 هـ/1172م):

أبو الحسن عبد الملك بن عيّاش بن فرج بن عبد الملك بن هارون الأزْدي، شاعر وأديب من كُتّاب الدولة المُوحّدية. أصل سلفه من مدينة يابرة Evora، في البرتغال الحالية، وقد انتقل أبوه إلى قُرطُبَة Córdoba، فنشأ فيها ابن عيّاش. روى

http://al-maktabeh.com

عن أبيه، وعن أبي عبد اللّه محمّد بن مسعود بن أبي الخصّال، وأبي القاسم خلف بن بَشْكُوَال. وروى عنه ابناه عليّ وعبيد اللّه، وجماعة آخرون منهم أبو جعفر بن يحيى، وأبو عُبَيْد البَكْري، وأبو محمّد بن شعيب القُرطُبي. اشتُهر بالزهْد، وبرواية الحديث، والتفقُّه في بداية حياته، حتى كان يُعرف بالزاهد، لورعه، وفضله، واستقامته. وقد صحب بني حمدين الثائرين على المرابطين في الأندلُس، وكتب لأبي جعفر أحمد بن محمّد بن حمدين قاضي الجماعة في قُرطُبَة في أواخر عهد المرابطين. لكن ابن عيّاش استاء من الفتنة التي أثارها هذا القاضي بالانشقاق على المرابطين، ففرّ إلى إشبيلية Sevilla، منقطعاً إلى العبادة، في بعض قرى ورُبُط هذه المدينة، مستمرًا على طريق الخير، لا يتصل بأحد، سوى صديقه أبي الأصبغ الباجي، الذي كان يتصدق عليه بماله ليتقوّت منه.

ابتدأت علاقته بالمُوَحّدِين، منذ أن عمل كاتباً لدى عامل إشبيلية المُوَحّدِي أبي إسحاق براز بن محمّد المسوفي، الذي أرسل إليه، وألزمه بالعمل معه. فتقلد الكتابة على كُرهٍ منه، وتقيّةٍ على نفسه. لكنه تعوَّد ذلك مع مرور الأيام، ولاسيما بعد أن صحب الأمراء والحكام في الكتابة عنهم. فكتب بعد أبي إسحاق للأمير أبي حفص بن عبد المُؤمِن بن علي، وتوجّه معه إلى تِلِمْسان. ثم كتب عن الخليفة عبد المُؤمِن بن عليّ، ثم عن ابنه أبي يعقوب يُوسُف، وهو والٍ في إشبيلية، ونال دنيا عريضة، وكانت له منهم منزلة جليلة، حيث ارتسم في جملة خدامهم، وعدل عن طريقته الأولى المثلى في الزهد والعبادة، ومال إلى الطرب والشرب. وقد ندم ابن عيّاش على ما آل إليه حاله من الانقلاب، فأنشد قبيل وفاته بثلاثة أيام، عندما زاره صديقه أبو الأصبغ الباجي: **[الطويل]**

عَصَيْتُ هوى نفسي صغيراً فعندما رمتني الليالي بالمشيب وبالكِبَرْ

أطَعْتُ الهوى، عكس القضية ليتني خُلِقْتُ كبيراً وانتقلتُ إلى الصِغَرْ

وكانت وفاته في إشبيلية يوم الأربعاء غُرَّة جُمادَى الآخرة سنة ثمان وستين وخمسمائة. وقد صلّى عليه الخليفة يُوسُف أبو يعقوب، ودفن في مقبرة مَشْكة. وقد خلّف ابن عيّاش ابناً، هو أبو محمّد عيّاش بن عبد الملك، عُرِف أيضاً بالأدب، وكان أحد كُتّاب الخليفة يُوسُف بن عبد المُؤمِن.

عُرِف أبو الحسن عبد الملك بن عيّاش، بأنه كان أديباً كاتباً بليغاً، شاعراً

مُجيداً، بارع الخط، جميل الوراقة. وتدل رسائله التي كتبها للأمراء والخلفاء المُوَحِّدين، على مَلَكة أدبية رائعة. وقد احتفظ لنا عبد الملك بن محمّد بن صاحب الصلاة المعاصر له، والمتصل به (ت 594هـ/ 1192م)، بالنص الكامل لبعض رسائله، منها رسالة كُتبت في العشر الوسط من شهر ذي الحجة سنة 560هـ، من عُمَر وعُثمان ابنَي الخليفة عبد المُؤمِن بن عليّ، إلى حضرة والدهما في مَرَّاكُش، وإلى أهل إشبيلية، بمناسبة الانتصار على ابن مردنيش. أما الرسالة الثانية، فهي بتاريخ الجمعة الثالث من رمضان سنة 560هـ، أمر بكتابتها أبو يعقوب يُوسُف، إلى جميع بلاد العدوة والأندلُس، يأمر فيها بالعدل والنهي عن المنكر، كتب بها أولاً إلى أخيه السعيد أبي سعيد وهو مقيم بقُرطُبَة، وهي تبدأ: «بسم اللّه الرحمن الرحيم صلّى اللّه على محمّد وآله وسلم والحمد للّه وحده، من أمير المؤمنين يُوسُف ابن أمير المؤمنين أيّدهم اللّه بنصره وأمدّهم بمعونته إلى الشيخ الأجلّ أخينا الأعزّ علينا، الأكرم لدينا، أبي سعيد وأصحابه الطلبة الذين بقُرطُبَة أعزّهم اللّه، وأدام كرامتهم بتقواه. سلام عليكم ورحمة اللّه تعالى وبركاته، أما بعدُ...».

وهناك رسالة أخرى كُتبت بمناسبة القضاء على تمرد ابن منخفاد الغماري، وهي سجل لحوادث قبيلة غمارة، وهي من أطول الرسائل المُوَحِّدِيّة، وأدقّها وصفاً، وتقع في نحو خمس عشرة صفحة. أمر بكتابتها الخليفة أبو يعقوب، لإعلام ومخاطبة جميع المُوَحِّدين، والطلبة والأشياخ ببلاد العدوة والأندلُس، بكيفية الغزوة، والفتح الشامل، وقد كتبت في الرابع عشر من شوال سنة 562هـ. وللاطّلاع على أسلوب ابن عيّاش بشكل مباشر، نقتطف منها ما يأتي: «... وفرّ الشقي المذكور، وأُفلت من ذلك الهول، وآوى إلى بعض قبائل غمارة، فشرح اللّه صدورهم ببركة هذا الأمر العزيز وسعده، فأخذوا الشقي وجاءوا به أسيراً موثوقاً فغُزي فيه ورُفع جذعه، وعُفي أثره، وكمُل أمر اللّه في هذه الجهة، وانجلت عنها غيابة الكفر، وفاض عليها نور العدل، وانسكب فيها غمام الإحسان، والحمد للّه رب العالمين...».

وأخيراً نشير إلى رسالة من الخليفة أبي يعقوب يُوسُف إلى الطلبة المُوَحِّدين في الأندلُس، يُعلّمهم بحركة الشيخ أبي حَفص للجهاد في الأندلُس، كتبت في الحادي والعشرين من ربيع الآخر سنة 564هـ. ويبدو أن أسلوب ابن عيّاش قد نال

إعجاب المؤلفين من بعده، فنجد ابن عبد الملك المَرَّاكُشيّ (ت 703هـ/ 1303م) يصف كتابته بـ «البارعة»، ويقول عن شعره، إنه «رائق»، وأورد نماذج من شعره ونثره، منها على سبيل المثال ما خاطب به القاضي ابن أبي بكر: **[البسيط]**

يا من ترنَّحَ للعلياءِ مَعْطَفُــهُ ... تَرَنُّحَ الغُصْنِ بينَ الريحِ والمطرِ

ومن إذا حاجةٌ راحت براحتــه ... أذكى لها أعيُناً نَدَّت عن السهرِ

ومن شعره أيضاً، قصيدة على لسان الخليفة عبد المُؤمِن بن عليّ، يخاطب بها العرب القادمين من إفريقيَّة، يستعجلهم، ويذكُر لهم نيَّته العازمة على الجهاد، مطلعها: **[الطويل]**

أَقيموا إلى العلياء عُوجَ الرواحِلِ ... وقودوا إلى الهيجاء جُرْدَ الصواهلِ

وقوموا لنصر الدين قومةَ ثائرٍ ... وشدُّوا على الأعداءِ شَدَّة صائلِ

وقد نسب عبد الواحد المَرَّاكُشيّ (ت647هـ/ 1249م) هذه القصيدة إلى الخليفة عبد المُؤمِن نفسه، وتبعه في هذه النسبة بعض الأدباء والمؤرخين الذين كتبوا عن الحياة الأدبية على عهد المُوَحِّدين. لكن ابن صاحب الصلاة المعاصر لابن عيّاش، يقول إنها من قوله، وهو أجدر بالأخذ بكلامه، لصلته به، ومعاصرته له.

المصادر والمراجع:

ابن صاحب الصلاة، **تاريخ المنّ بالإمامة على المستضعفين**، تحقيق، عبد الهادي التازي، بيروت، دار الأندلُس، 1964: 16، 50، 59، 160 وهامش رقم (1)، 183، 223 ـ 224، 252، 257، 276، 282، 302 ـ 307، 309 ـ 323، 376 ـ 380، 415، 458؛ عبد الواحد المَرَّاكُشيّ، **المُعجِب في تلخيص أخبار المغرب**، ط7، تحقيق، محمّد سعيد العريان ومحمّد العربي العلمي، الدار البيضاء، دار الكتاب، 1978: 329 ـ 330، 355؛ ابن الأبّار، **التكملة لكتاب الصِّلة**، نشر، فرانسسكو كوديرا، 1886: 618، الترجمة (1721)؛ الرُّعَيْني، برنامج شيخ الرُّعَيْني، تحقيق، إبراهيم شبوح، دمشق، وزارة الثقافة والإرشاد القومي، 1962: 52 ـ 53؛ ابن القَطّان، **نظم الجُمان**، تحقيق، محمود عليّ مكي، تطوان، 1966 (منشورات كلية الآداب والعلوم الإسلامية بالرباط): 176 وهامش رقم (2)؛

ابن عبد الملك المَرَّاكُشيّ، **الذيل والتكملة لكتابي الموصول والصّلة**، تحقيق، إحسان عَبّاس، بيروت، دار الثقافة، 1973: «السِفْر الخامس»/القسم الأول: 26 ـ 30؛ ابن عِذاري المَرَّاكُشيّ، **البيان المُغرِب في أخبار الأندلُس والمَغرِب**/ قسم «المُوَحِّدِين»، تحقيق، محمّد إبراهيم الكتاني ورفاقه، بيروت، دار الغرب الإسلامي، 1985: 61، 85، 94، 170، 252؛ ابن أبي زَرْع، **الأنيس المطرب بروض القرطاس**، الرباط، دار المَنصور للطباعة والوراقة، 1973: 194، 204، 206، الناصري، **الاستقصا لأخبار المَغرِب الأقصى**، تحقيق، جعفر ومحمّد الناصري، الدار البيضاء، 1954: 2/ 99 ـ 100؛ Levi-Provencal, " Notes D Histoire Almohade", *Hesperis*, X, 1930, p. 66؛ عبد اللّه كنون، **النبوغ المغربي في الأدب العربي**، تطوان، نشر معهد مولاي الحسن، 1950: 159؛ حسين مؤنس، «عقد بيع بولاية العهد»، **مجلة كلية الآداب**/ جامعة القاهرة، م12/ ج2، 1950: 157؛ عبد الواحد ذنون طه، «موارد تاريخ ابن عِذاري المَرَّاكُشيّ عن المرابطين والمُوَحِّدِين في المَغرِب والأندلُس»، **مجلة المجمع العلمي العراقي**، ج3 و 4 / م 40، 1989: 415.

10 ـ يُوسُف بن محمّد البَلَوي (527 ـ 604 هـ/1133 ـ 1207 م):

أبو الحَجّاج يُوسُف بن محمّد بن عبد اللّه بن يحيى بن غالب البَلَوي المالقي، ويُعرف بابن الشيخ، مُحدّث، أديب، كاتب، لغوي. أندلُسي من أهل مالقة Malaga، ينتمي إلى قبيلة بَلِيّ العربية، ومن أسرة دينية عريقة. تُلْمِذَ لشيوخ بلده الأندلُس، فتلا على أبي عبد اللّه بن الفَخّار الحافظ، وروى عن أبي محمّد القاسم بن دحمان، والسُّهَيْلي المالقي، وأبي إسحاق بن قرقول، وأبي محمّد بن عُبَيْد اللّه، وأبي عبد اللّه مُحمّد بن سعيد بن مدرك الغَسّانيّ، وغيرهم. ثم رحل إلى المشرق للحج، في حدود سنة 560هـ/ 1164م، ودرس في طريقه على عدد كبير من العلماء من شمال أفريقيا، ومصر، الحجاز، أمثال أبي محمّد عبد الحق بن عبد الرحمن الأَزْدي الإشبيلي (581هـ/ 1185م)، الذي لقيه في بِجاية، ولمّا رجع من رحلته أقام معه، وصحبه لعدة أشهر، وأخذ عنه كتاب **الأحكام الشرعية الكبرى**، وغير ذلك من الكتب، ويُعدُّ البَلَوي من أكثر الناس معرفةً بالإشبيلي وأخباره.

ومن شيوخه في الإسكندرية الحافظ أبو الطاهر أحمد بن محمّد السَّلَفيّ الأصفهاني، الذي التقى به سنتَي 561 و 562 هـ/ 1165 و 1166م، حسبما يشير في كتابه **ألف باء**: 1/ 18، 2/ 317. كذلك أخذ في المدينة نفسها عن أبي محمّد الديباجي، وأبي العبّاس السرقسطي. ويُعدُّ هؤلاء العلماء الثلاثة أعلى من لقَيَ في رحلته، وبسببهم قصده الكثير من التلاميذ. كما سمع في مكة أيضاً من أبي الحسن ابن مؤمن. وقد تُلْمِذَ للبَلَوي الكثير من الرجال الذين أصبحوا علماء مشهورين في الأندلُس، أمثال الحافظ أبي محمّد القُرطُبي، الذي روى عنه، وكذلك أبي عليّ الرندي، وأبي جعفر بن عبد المجيد الجيّار، وأبي محمّد بن حوط اللّه، وأبي بكر محمّد بن أحمد بن سيّد الناس اليَعْمُري الإشبيلي، وأبي الحسن عليّ بن أحمد بن الحسن الحوالي التُّجيبي، والحافظ أبي إسحاق بن الكماد، وكثير غيرهم، من جملتهم ابنَيه عبد اللّه وعبد الرحيم، وحفيده عبد العظيم بن عبد اللّه.

كان البَلَوي رجلاً نشيطاً، ينسجم بسرعة مع المجتمع الذي يحلُّ به، والبلد الذي يزوره، ويُشارك في قضاياه، ويُجاهد مع أمرائه إن حضر غزوةً، أو تحرُّكاً ضِدَّ أعداء الإسلام. فيشير أبو عبد اللّه محمّد بن الأبّار القُضاعي القريب العهد به (ت 658هـ/ 1260م)، إلى أنه غزا عدة غزوات في المغرب مع الخليفة المُوَحِّدي يعقوب بن يُوسُف الملقب بالمَنصور (580 ـ 595هـ/ 1184 ـ 1199م)، وكذلك مع الناصر صلاح الدين الأيوبي في الشام. أما في مدينته مالقة، التي قضى فيها غالبية عمره، فكان مثالاً للعالِم الزاهد، المسارع إلى أعمال البِرّ والطاعات، لا تكلّ له هِمّة في المبادرة إلى كل عمل صالح، وإن صَعُب. وقد بالغ المؤرخون في عدد المساجد التي بناها، فيشير أبو محمّد عبد العظيم المُنذري (ت 656هـ/ 1258م) إلى أنه بنى نحو اثني عشر مسجداً، أما ابن الأبّار، فيضاعف هذا العدد، وينسب إليه بناء خمسة وعشرين مسجداً من صميم ماله، خدم فيها، وعمل بيده. كما حفر في مالقة أيضاً آباراً كثيرة تزيد على خمسين بئراً. وعلى الرغم من حالته المادية الجيدة التي سمحت له بالإنفاق على هذه المشاريع الخيرية، نجد أنه كان يميل إلى التصوف، ويلبس الخشن من الثياب. وكان يُكثر من الصلاة في أماكن حفر الآبار، وفي أُسس المساجد، ولا يفعل ذلك تباهياً أمام الناس، بل يقصد تلك الحفر بين العشاءين، حتى لا يراه أحد. ولهذا فقد وصفه أبو عبد اللّه مُحمَّد بن أحمد بن عُثمان الذّهبي، بأنه كان «ربانيًا مُتألِّهاً قانتاً للّه، كثير الاستغفار، يُعدُّ من الأبدال،

http://al-maktabeh.com

وفحول الرجال، تلا بالسبع، وأقرأ وأفاد». واستمر على هذا حتى وفاته في شهر رمضان من سنة 604هـ، وكانت جنازته مشهورة في مالقة.

وعلى الرغم من تفقُّه البَلَوي بالعلوم الدينية، فقد غلب عليه الأدب، فكان من أيسر الناس بديهةً، وأكثرهم شعراً، مع رقة طبع ورشاقة أغراض. ومن جهة أخرى، غلب الطابع الديني من وَرع وزُهد على شخصيّته. فقد قضى معظم وقته في جامع مالقة، مُؤذّناً، وإماماً، وخطيباً، يُؤذّن بالباب الغربي القريب من القِبلة، ويؤمّ الناس في الفريضة، في كثير من الأوقات من غير التزام، أو تعيين. وكان يُقرئ في ذلك الجامع، ويُسمع الحديث، وله شعر كثير، وقابلية ممتازة لنظمه. لكن البَلَوي اشتُهر بصورة خاصة بمؤلَّفه الأدبي المعروف بكتاب **ألف باء**، الذي وصلنا. وهو من كتب الثقافة العامة، جمع فيه بين الأدب والتاريخ والمواعظ. لكنه يعتمد الأساس المُعجَمي في بنائه، وقد فَصَلَ المادة المُعجَميّة فيه عن الفوائد الأخرى التي تضمَّنها الكتاب. أعدَّه خاصةً لابنه عبد الرحيم، الذي كان صغير السن، ليقرأه بعد أن يكبر، ويتعلّم منه، لأنه لم يكن في سن تسمح له بالأخذ عن والده بشكل جيد. ولنستمع إلى كلام البَلَوي في «مُقَدِّمته» لهذا الكتاب، وهو يصفه، ويوضح أسباب تأليفه:

«. . . فإني عزمت. . . على أن أجمع في هذه الأوراق، كل معنى رقَّ أو راق، مما هو عندي مُستحسن لا مُستخشن. ومُستملح لا مُستقبح، وأُثبت فيه من الفوائد، ما يزري بالفرائد. ومن بدائع العلوم والفهوم، ما يُرتقى به من التخوم إلى النجوم. وجعلتُ ما أُؤلِفُ فيه وأبني، لعبد الرحيم ابني، ليقرأه بعد موتي، وينظر إليَّ منه بعد فوتي. إذ لم يلحق بعدُ لصِغره درجة النبلاء، ولم يبلغ مرتبة العقلاء. أرجو أن يجعله اللَّه منهم، ولا يقطع به عنهم، فيكون إن شاء اللَّه بقراءة هذا الكتاب في الزيادة إلى أن يلحق بالسادة». ثم يستمر في «مُقَدِّمته» التي أخذت حيّزاً كبيراً من الكتاب، ويعلّق بعدها على أبيات قصيدته التي جعلها عماد الكتاب ومرتكز فصوله. وتتوافر في فصول الكتاب مادة لغوية تعقبها فوائد هي عبارة عن مجموعة أخبار وروايات وتعليقات تدفعه إلى ذكرها إشارات أو أسماء وردت خلال المادة اللغوية المذكورة قبلها.

ومن جملة الموضوعات التي اهتمّ بها أبو الحَجّاج البَلَوي في هذا الكتاب،

مجموعة الرسائل التي تناولت ردود بعض الكُتّاب العرب في الأندلُس على الكاتب الشعوبي أبي عامر أحمد بن غرسيه، الذي كتب رسالة ذمّ فيها العرب، وفخر بقومه العَجَم، وذلك في عصر الطوائف. وتكمن قيمة اهتمام البَلَوي بهذه الرسائل، إلى أنه عرّفنا ببعضها، واحتفظ لنا بمقاطع وعناوين بعضها الآخر مما لا نجده في المصادر الأخرى. ويشير البَلَوي إلى أنه اطّلع على جميع هذه الردود، وعلى كلام ابن غرسيه في رسالته «الدالة على فساد القول وفسالته التي فضّل فيها العَجَم على العَرَب وأراد أن يُعْرِب فأعجم». فاستفزّه ذلك وأغاظه ما اقترفه ذلك الجاهل، فرأى من الواجب عليه أن يدلو بدلوه في الردّ والانضمام إلى النُخبة الخيِّرة من الكُتّاب المدافعين عن القِيَم العربية ضد الهجمة الشعوبية في الأندلُس. فأنشأ ما يُشبه المقامة الهزلية، التي يختلط فيها الشعر بالنثر. وقد ركّز في ردّه على كِبَر فِعْلة ابن غرسيه، ومدحه غير أهل مِلّته من الأكاسرة والقياصرة، كما تعجّب من معاصري ذلك الزمن، وكيف أنهم سمحوا له بما اجترأ عليه، ولم يعاقبوه على ما ارتكبه بحق العرب. (**ألف باء**: 350 ـ 355).

وجمع البَلَوي كتاباً آخر أسماه **التكميل**، أو تكميل الأبيات وتتميم الحكايات مما اختصره للأَلِبّاء في كتاب **ألف باء**. وقد أحال إليه في ثنايا كتابه **ألف باء** أكثر من مرّة. (1/ 7، 45، 60، 2/ 27، 29، 177، 184). وهو كتاب، كما يقول أبو جعفر أحمد بن الزُبير (ت 708هـ/ 1308م)، «تضمّن من بديع الشعر والكتب غُرراً ومن الأدب الحافل دُرراً». كذلك تضمن كثيراً مما جرى بينه وبين صديقه ومؤآخيه الخطيب الأديب عبد الوهاب بن عليّ بن محمّد القيسي (598هـ/ 1202م)، الذي يضاهيه في الفضل والأدب والدين. حيث كان بينهما خِلة مؤكدة، وكانا يتراسلان نظماً ونثراً. ويبدو أنه سجل هذه المراسلات في كتاب **التكميل**، الذي لم يصلنا مع الأسف، وكذلك لم تصلنا كتب أخرى لهذا المؤلف، نوّه إليها ابن الزُبير، بقوله: «وألّف غير ذلك».

المصادر والمراجع:

البَلَوي، كتاب **ألف باء**، بيروت، عالم الكتب، عن طبعة مصر، المطبعة الوهبية، 1287هـ: 1/ 3، 7، 18، 45، 60، 350 ـ 355، 2/ 20، 27، 29، 177، 184، 317؛ المُنذري، **التكملة لوفيات النقلة**، تحقيق، بشار عواد معروف، النجف

الأشرف، مطبعة الآداب، 1971: 3/ 232، الترجمة رقم (1044) ؛ ابن الأبّار، **التكملة لكتاب الصّلة**، نشر، فرانسسكو كوديرا، مدريد، 1886: 737 ـ 738، الترجمة رقم (2089) ؛ ابن الزُّبير، **صِلة الصّلة**، نشر، ليفي بروفنسال، الرباط، 1937، أعادت مكتبة خياط نشره في بيروت: 217 ـ 220، الترجمة رقم (426)، 28 ـ 30، ضمن الترجمة رقم (41) ؛ الغبريني، **عنوان الدراية فيمن عُرف من العلماء في المائة السابعة ببجاية**، تحقيق، عادل نويهض، ط2، بيروت، دار الآفاق الجديدة، 1979: 144، 292، 297؛ الذهبي، **تاريخ الإسلام، الطبقة الحادية والستون (601 ـ 610)**، تحقيق، بشار عواد معروف ورفاقه، بيروت، مؤسسة الرسالة، 1988: 169 ـ 170، الترجمة رقم (222) ؛ الذهبي، **سِيَر أعلام النبلاء**، ط3، تحقيق، بشار عواد معروف ومُحيي الدين هلال السرحان، بيروت، مؤسسة الرسالة، 1986: 21/ 479، الترجمة رقم (243) ؛ الزُّبيدي، **تاج العروس**، بيروت، دار مكتبة الحياة، عن طبعة القاهرة، المطبعة الخيرية، 1306هـ: 1/ 4؛ حاجي خليفة، **كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون**، إستانبول، 1941 ـ 1943، أعادت مكتبة المُثنّى طبعه بالأوفست في بغداد: 1/ 150، 471؛ C.Brockelmann, *Geschichte der Arabischen Litteratur*, Lieden, Brill, 1938, Vol. I, P. 310, S. I, P. 543-544; Ahlwardt, *Verzeichniss der Arabischen Handchriften*, VI: 247-249; Arabic Manuscripts in Princeten, 80؛ بالنثيا، **تاريخ الفكر الأندلُسي**، ترجمة، حسين مؤنس، مكتبة النهضة المصرية، 1955: 179؛ عبد اللّه مخلص، **مجلة المقتبس**، المجلد السابع/ الجزء الخامس، دمشق، 1912: 344 ـ 364؛ الزركلي، **الأعلام**، ط2، القاهرة، 1955، مطبعة كونستانوماس: 9/ 327؛ كحالة، **مُعجَم المؤلفين**، دمشق، مطبعة الترقي، 1957: 13/ 330؛ عبد السلام محمّد هارون، **نوادر المخطوطات**، ط2، القاهرة، 1972: 3/ 40؛ رضا عبد الجليل الطيار، **الدراسات اللغوية في الأندلُس**، بغداد، دار الرشيد، 1980: 57 ـ 68؛ فاروق عُمَر، «طبيعة الحركة الشعوبية»، فصل ضمن كتاب: **التاريخ الإسلامي وفكر القرن العشرين**، ط2، بغداد، مكتبة النهضة، 1985: 200؛ عبد الواحد ذنون طه، «الدس الشعوبي في الأندلُس وموقف العرب في مجابهته»، **مجلة دراسات أندلُسية**، العدد الرابع، تونس، 1992: 22 ـ 23.

11 ـ الأزْدي القُرطُبي، أبو بكر بن هشام (ت 635 أو 640 هـ/1237 أو 1242م)

أبو بكر بن هشام بن عبد اللّه بن هشام بن سعيد الأزْدي القُرطُبي الكاتب، يُكنّى أبا يحيى، فقيه، مُقرئ، مُحدّث، شاعر. كان أبوه، أبو الوليد هشام، أحد حكام قُرطُبَة Córdoba، ومن العلماء المرموقين بالأندلُس. وهو ينتمي إلى إحدى الأسر المعروفة بالعلم والجاه في هذه المدينة. كما كان أخوه أبو القاسم بن هشام، شاعراً وأديباً مشهوراً. وقد نشأ ابن هشام في هذا الجو العلمي، ودَرَسَ الفِقه والحديث على أقطاب عصره، أمثال أبي القاسم خَلَف بن عبد الملك بن بَشْكُوَال، مؤلف كتاب **الصِّلة**، المتوفى سنة 578هـ/ 1183م، الذي أجاز له، والشيخ أبي الحسن عليّ بن محمّد بن أحمد الأنصاري، المعروف بابن عُقاب، الذي أخذ عنه في صغره كتاب **الشهاب** لأبي عبد اللّه القُضاعي. كما سمع أيضاً أبا القاسم الشَّراط، والخطيب أبي جعفر بن يحيى الكتامي، وأخذ عنهما القراءآت. وقرأ بالسبع عن ابن غالب، وسمع أيضاً عن صهره القاضي أبي العبّاس المَجْريطيّ. كذلك روى عن أبيه أبي الوليد، الذي أجاز له رواية جميع ما يرويه، فضلاً عن كتابَيْه : **المفيد للحكام فيما يعرض لهم من نوازل الأحكام**، وكتاب **بهجة النفس وروضة الأنس**، الذي كان كتاباً في التاريخ.

ونتيجة لدراسته المكثفة هذه، فقد بَرُع ابن هشام في الأدب، وأصبح كاتباً بليغاً، وشاعراً مُجيداً. بل أضحى، وحسب وصف تلميذه ابن سَعيد المغربي له : «شيخ الكُتّاب في أوانهِ، المُشار إليه بذلك ما بين أقرانه... وهو ممن كان يُنْتَفَع بكتبه وأدبه». (**اختصار القِدح المعلّى**: 89). وقد امتهن وظيفة الكتابة للحكام، فكتب في أول أمره ببلده، وَوُلّيَ القضاء ببعض المناطق، ثم انتشر صيته في مدن الأندلُس الأخرى، فكتب في إشبيلية Sevilla، وغَرناطة Granada، ومُرسِيه Murcia.

وكان من أشهر الحكام الذين عمل في خدمتهم وكتب عنهم إدريس بن منصور المُوَحِّدي، أيام ولايته على قُرطُبَة، وهو نائب أخيه العادل عبد اللّه بن يَعقوب على الأندلُس. وبعد انتصار ثورة السيد أبي محمّد عبد اللّه بن محمّد بن يُوسُف بن عبد المُؤمِن البياسي، صاحب جيّان Jaen، على الخليفة العادل، وتغلبه على قُرطُبَة، كتب له ابن هشام أيضاً، وصار مختصاً به، وتنقل معه، الأمر الذي

أثار حَنَق أبي العلاء إدريس عليه. فلما انتهت حركة البياسي، وقُتل على يد أبي العلاء سنة 623هـ/ 1226م، خاف ابن هشام واستخفى في إشبيلية. لكنه حاول أن يعتذر عن فعلته، وأرسل رِقاعاً إلى أبي العلاء، ثم دخل عليه، وأنشد قصيدة منها: **[الكامل]**

مولاي إنّ بليتي مع خِدْمتي خصمان فاحكُم للتي هي أقدم

وقد نال ابن هشام عفو أبي العلاء، وأصبح يحضر مجلسه، ويلقي فيه بعض القصائد الشعرية ارتجالاً. وبعد ذلك استمر بخدمة بعض حكام الأندلُس الآخرين في الكتابة، فكتب لأبي عبد اللّه محمّد بن يُوسُف بن هود الجُذامي، الذي استغلّ ضَعْف السلطة المُوَحِّدِيَّة، وسيطر على عدة مدن أندلُسية في الحقبة الممتدة من سنة 625-635هـ/ 1227-1237م. كما كتب أيضاً للثائر أبو مروان أحمد بن محمّد الباجي، الذي قام في إشبيلية على ابن هود سنة 631هـ/ 1233م. وهكذا تكرّرت مأساة تجربته الأولى مع البياسي، لكن لحسن حظه، فإن حكم ابن هود لم يطل كثيراً، ليتمكّن من معاقبته، كما فعل أبو العلاء المُوَحِّدي. والواقع أنه لم يكن لأبي هشام خيار فيما يفعل، فالرجل يمتهن الكتابة، التي كانت مصدر رزقه الوحيد، كما يبدو، وعاش في ظروف سياسية متقلّبة، كانت تتبدل فيها الأدوار، والحكام باستمرار، مما أوقعه في مأزق مع كل مُتغلّب جديد.

لم يترك ابن هشام مؤلّفات في المعارف التي أتقنها ودَرَسَها على والده، وأساتذته، وجُلّ ما خلّفه من تُراث ثقافي، ونقله عنه تلامذته، هو بعض الأبيات من شِعره، الذي يشمل مجالات متعددة، منها المدح، والوصف، والخمريات، والغزل. كما أورد له تلميذه ابن سَعيد المغربي المتوفى سنة 685هـ/ 1286م، إضافةً إلى الشعر، نماذج من نثره أيضاً. (**المُغْرِب في حِلى المَغْرِب** : 1/ 75).

http://al-maktabeh.com

www.al-maktabeh.com
مكتبة
المهتدين

المبحث الثالث

التاريـخ

al-maktabeh

1 ـ محمّد بن موسى الرّازي (ت 277هـ/ 980م)

محمّد بن موسى بن بشير بن جناد بن لقيط الكناني الرّازي، مؤرخ وأديب. هو رأس أسرة الرّازي التاريخية في الأندلُس التي نبغ فيها ابنه أحمد وحفيده عيسى. يعود أصله إلى مدينة الرَّيّ في إيران الحالية، وإلى هذه المدينة تعود نسبته (الرّازي). كان تاجراً متجولاً، وفد على الأندلُس سنة 250هـ/ 864م ببضائع مختلفة نالت إعجاب الأمير محمّد بن عبد الرحمن (238 ـ 273هـ/ 852 ـ 886م)، فأجزل له المكافأة، وقرّبه إليه، ولاسيما بعد أن نقل إليه رسالة من إبراهيم بن الأَغلَب أمير إفريقيّة. وقد كلّفه الأمير محمّد بالسفارة بينه وبين ابن الأَغلَب، لإحكام الصُلة بين الأندلُس ودولة الأغالبة في شمال أفريقيا. وبمرور الزمن توثقت مكانة محمّد الرّازي عند الأمير محمّد بن عبد الرحمن، وأخذ يتردد بين الأندلُس وبلاد المشرق، حتى إنه أدى فريضة الحج نيابة عنه. وكانت المكاتبات بينه وبين الأمير متواصلة، ينقل له فيها أمور المشرق، وأخبار ملوكها.(ابن حَيّان، **المقتبس**/ تحقيق مكي: 267).

ثم دخل محمّد الرّازي إلى الأندلُس مرّةً ثانيةً سنة 271هـ/ 884م، وأهدى إلى الأمير جارية جاء بها من المشرق، لكن الأمير اعتذر عن قبولها خوفاً من أن تكون جاسوسة مدسوسة عليه من العبّاسيين، أو الفاطميين، الذين حققت دعوتهم نجاحاً ملموساً في الشمال الإفريقي. وقد خرج محمّد الرّازي من الأندلُس في أواخر عهد الأمير محمّد، واتجه إلى منطقة سِجِلْماسة في جنوب المَغرِب الأقصى، حيث كان مصاهراً فيها، وضارباً بتجارته في جهاتها. وبعد وفاة الأمير محمّد سنة 273 ـ هـ/ 886م، قام خلفه الأمير المنذر بن محمّد باستدعائه إلى الأندلُس، فدخلها للمرة الثالثة، وعلت منزلته لدى الأمير الجديد، الذي كان حسن الرأي فيه، فأصبح

جليسه، ومُشاوَره. فلما توفي المنذر بغتة سنة 275هـ/ 889م، خرج محمّد الرّازي عن قُرطُبَة Córdoba ينوي الرجوع إلى المشرق، لكنه مرض في الطريق في مدينة إلبيرة Elvira، وتوفي فيها في سنة 277هـ/ 890م.(ابن حَيّان، **رواية عيسى الرّازي/** تحقيق مكي: 269).

لقد اختلف الباحثون المُحدثون في مسألة مدى مشاركة مُحمّد الرّازي في حركة التأليف التأريخي في الأندلُس. وهل كان مجرد تاجر، أو سفير ومُشاوِر للأمراء، أم أنه كان يمتلك مواهب أخرى، وله مؤلفات تاريخية؟ ويعتقد بعض الباحثين، مثل ليفي بروفنسال Levi-Provencal، وغرسية غومس Garcia Gomez، بأن محمّداً الرّازي لم يكن له أي دور في كتابة التاريخ، ودليلهم على ذلك، أن رواية حفيده عيسى بن أحمد الرّازي، التي أوردها أبو مروان حَيّان بن خَلَف بن حَيّان (ت 469هـ/ 1079م)، وأشرنا إليها في أعلاه، لا تشير إلى أي نشاط لمحمّد في مجال التدوين التاريخي. غير أن الباحث الإسباني كلاوديو سانشيث ألبورنوث Claudio Sanchez Albornoz، لا يشاطرهما الرأي، ويؤيّد دور محمّد الرّازي في كتابة التاريخ، وتأليفه لكتاب **الرايات**، الذي سنشير إليه لاحقاً. ويلمح إلى أن حفيده عيسى، قد تعمد إغفال اسم جَدّه لغرض في نفسه، حتى ينسب إليه وإلى أبيه فقط فضل وضع اللَبِنات الأولى لعلم التاريخ في الأندلُس. لكن إذا ما استثنينا رواية عيسى الرّازي عن جده، فإن هناك معلومات أخرى في مصادرنا الأولية تدلّ على اهتمامات محمّد الرّازي العلمية والأدبية. فيقول عنه أبو عبد اللّه بن محمّد بن الفَرَضي (ت 403هـ/ 1013م)، بأنه كان «من أهل اللِسانَة والخَطابَة». كما وصفه أبو عبد اللّه محمّد بن الأبّار القُضاعي (ت 658هـ/ 1260م)، بأنه كان «مُفتِناً في العلوم». (**التكملة**: 2/ 670)

يُضاف إلى هذا، فإن هناك إشارات أخرى واضحة تدلّ على أن محمّداً الرّازي قد ألّف كتاباً في التاريخ اسمه: كتاب **الرايات**. يذكر الكاتب الأندلُسي أبو بكر محمّد بن عيسى بن مزين (كان حيًّا سنة 471هـ/ 1078م) أنه عثر على كتاب في إحدى مكتبات مدينة إشبيلية Sevilla سنة 471هـ، اسمه **الرايات** من تأليف محمّد بن مُوسى الرّازي. وفي هذا الكتاب معلومات قيّمة عن دور القائد مُوسى بن نُصَيْر في فتح الأندلُس، وكيفية دخوله إلى البلاد، وخططه في فتحها مع القبائل العربية التي رافقته. وفيه تفصيلات عن هذه القبائل، وتجمُّعاتها، ورياتها التي

كانت تحارب تحت ظلّها، وإلى هذه الرايات تعود نسبة اسم الكتاب. كما يحتوي على معلومات مهمة عن إجراءات مُوسى بن نُصَيْر في تقسيم أراضي الأندلُس، وتعيين الأخماس، وكيفية معاملة السكان المحليين الذين فضّلوا دفع الجزية والبقاء والاحتفاظ بديانتهم.

ومما يؤسف له أن هذا العمل الجليل يُعَدُّ الآن في جُملة الكتب المفقودة. لكننا لحسن الحظ، لا نزال نمتلك بعض نصوصه التي نقلها محمّد بن مزين، وأعاد اقتباسها عنه الكاتب المغربي محمّد بن عبد الوهاب الغَسّانيّ في روايته عن سفارة له إلى إسبانيا سنة 1102هـ/ 1690 ـ 1691م، كلّفه بها سلطان المغرب مولاي إسماعيل، إلى كارلوس الثاني ملك إسبانيا. ويمكن أن نجد أيضاً قسماً من رواية ابن مزين في كتاب **فتح الأندلُس**، وهو مجهول المؤلف، وكذلك في «الرسالة الشريفية»، التي هي جزء من كتاب **الغَسّانيّ** المذكور، ونُشرتْ «ملحقاً» لكتاب **تاريخ افتتاح الأندلُس** لابن القُوطِيَّة.

وقد اعتمد على كتاب ابن مزين مؤرخون آخرون، من أمثال محمّد بن عليّ بن محمّد التوزري المعروف بابن الشباط (ت 681هـ/ 1282م). ولعل العثور على كتاب ابن مزين يتيح لنا اطّلاعاً أكبر على بقية نصوص كتاب **الرايات**، الذي يشكّل مورداً مهماً من موارد ابن مزين. ويبدو أن هذا الكتاب، هو الأول في مجال الكتب التي بحثت في موضوع توزيع القبائل العربية واستقرارها في الأندلُس. ومن المرجّح أن عدداً من المؤلفين الذين اهتمّوا بهذا الموضوع فيما بعدُ، وعلى رأسهم ابن محمّد، أحمد الرّازي، قد استعانوا بكتاب **الرايات**، ونقلوا عنه، وإن لم يشيروا إليه في كتبهم.

المصادر والمراجع:

ابن الفَرَضي، **تاريخ علماء الأندلُس**، القاهرة، الدار المصرية للتأليف والترجمة، 1966: ق1 42؛ ابن حَيّان: **رواية عيسى بن أحمد الرّازي لوفادة جَدّه على الأمير محمّد من كتاب المقتبس**، نشرها ليفي بروفنسال بعنوان: "Sur *L'installation des Razi en Espagne*", *Arabica*, II, 1955, pp. 228-230؛ ابـن حَيّان، **المقتبس من أنباء أهل الأندلُس**، تحقيق، محمود عليّ مكي، بيروت، دار الكتاب العربي، 1973: 265 ـ 269، و«هامش المحقق»، رقم (463)؛ ياقوت، **مُعجَم الأدباء**، دار المستشرق، بيروت، (د.ت): 4/ 236؛ ابن الأبّار، التكملة

لكتاب **الصِّلة**، نشر، عزت العطار الحسيني، القاهرة، مطبعة السعادة، 1955 ـ 1956: 2/ 670؛ ابن الشباط، **وصف الأندلُس من كتاب صلة السمط وسمة المرط**، تحقيق، أحمد مختار العبادي، مدريد، 1971: 21، 162؛ المَقَّري، **نَفح الطِّيب من غصن الأندلُس الرطيب**، تحقيق، إحسان عَبّاس، بيروت، دار صادر، 1968: 3/ 111؛ الغَسّانيّ، **رحلة الوزير في افتكاك الأسير**، مخطوط المكتبة الوطنية في مدريد رقم (5304)، الورقة 99 ـ 102، وطبعة ألفرد البستاني، طنجة، 1940: 111؛ مجهول، **فتح الأندلُس**، نشر، دون خواكين دي كونثاليث، الجزائر، 1889: 13؛ **الرسالة الشريفية** (وهي جزء من كتاب الغَسّانيّ المذكور أعلاه)، نُشرت مُلحقاً لكتاب **تاريخ افتتاح الأندلُس لابن القُوطِيّة**، من قِبل خوليان رايبيرا، مدريد، 1926: 191 ـ 214؛ Pons Boigues, *Los Historiadores Y Geografos Arabigo-Espanoles*, Amsterdam, 1972, reprint of Madrid edition 1898: 45-47, 171؛ بالنثيا، **تاريخ الفكر الأندلُسي**، ترجمة، حسين مؤنس، القاهرة، مكتبة النهضة المصرية، 1955: 212؛ روزنتال، **علم التاريخ عند المسلمين**، ترجمة، صالح أحمد العلي، بغداد، مكتبة المُثَنّى، 1963: 224 [صدرت طبعة ثانية عن دار المدار الإسلامي، بيروت، 2009]؛ عبد الواحد ذنون طه، **نشأة تدوين التاريخ العربي في الأندلُس**، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، 1988: 19 ـ 22؛ [صدرت طبعة ثانية عن دار المدار الإسلامي، بيروت، 2009].

2 ـ عبد اللّه بن عُبَيْد اللّه الأَزْدي، ابن الحُكَيْمْ (ت 341هـ/952م):

أبو محمّد عبد اللّه بن عُبَيْد اللّه الأَزْدي الملقب بالحُكَيْمْ، لغوي، شاعر، ومؤرخ. سكن قُرطُبَة Córdoba في الأندلُس. ينتمي إلى عشيرة الأَزْد، من القبائل القحطانية، التي كان شديد التعصب لها. لم يتطرق إلى الإشارة إلى هذا الرجل، سوى عدد قليل من كُتّاب التراجم الأندلُسية. فقد خصّه أبو بكر محمّد بن الحسن الزُّبَيدي، الذي كان قريب العهد بعصره (ت سنة 379هـ/ 989م) بترجمة مختصرة، أشار فيها إلى أنه كان ذا حظ من علم اللغة، وحفظ الأخبار، والأنساب، وكان يقرض الشعر الحسن. كما أشار أيضاً إلى تعصبه الشديد للقحطانية، وأنه توفي في منتصف رمضان سنة 341هـ. أما أبو عبد اللّه محمّد بن الأَبّار (658هـ/ 1260م)، فخصّه بثلاثة أسطر، لم يزد فيها شيئاً على ما قاله الزُّبَيدي. وبقية معلوماتنا عنه، جاءتنا عَرَضاً عن طريق ابن عبد الملك المَرّاكُشيّ.

http://al-maktabeh.com

عاش ابن الحُكَيْمْ في عصر الخليفة عبد الرحمن بن محمّد الناصر لدين اللّه (300 ـ 350هـ/ 912 ـ 961هـ/ م). ويبدو أنه كان مقرباً من البلاط، أو أنه حاول التقرب منه، لأنه ألّف كتاباً في الأنساب، وأهداه إلى الخليفة سنة 330هـ/ 941م. ومن الواضح أنه حاول السير على ما درج عليه كبار مؤرخي الأندلُس الذين عاصروه، في التأليف في هذا المجال، أمثال أحمد بن محمّد الرّازي (ت 344هـ/ 955م)، لأن الأندلُس، كانت في حاجة ملحّة إلى تثبيت أنساب أهلها، بالنظر إلى دخول الكثير من القبائل العربية والبربرية إلى تلك البلاد، واختلاطها، واحتمال ضياع أنسابها. وقد أيّد أمراء الأندلُس وخلفاؤه هذه المؤلفات لما تحققه من استقرار وتوثيق للأنساب. كما اشتهر ولي العهد الحَكَم بن عبد الرحمن، الذي سيصبح خليفة، ويلقب بالمستنصر باللّه (350 ـ 366هـ/ 961 ـ 976م)، باهتمامه الشديد في هذا الجانب من المؤلفات، وأنه ألّف شخصياً فيه. فلا غرو أن نجد ابن الحُكَيْمْ ينساق في هذا الاتجاه، ويهدي مؤلفه إلى الخليفة الناصر.

ولم يتطرق أحد من المؤرخين إلى ذكر كتاب ابن الحُكَيْمْ، باستثناء ابن عبد الملك المَرّاكُشيّ. وربما يعود السبب في ذلك إلى ضياع هذا الكتاب في جملة ما ضاع من كتب الأندلُس. ولم يبق منه بأيدينا سوى شذرات قليلة، لكنها غنية في معلوماتها عن أنساب بعض الأسر العربية الشهيرة وأماكن استقرارها في الأندلُس، وتشير بعض نصوص ابن عبد الملك المَرّاكُشيّ، إلى محتوى هذا الكتاب الذي أسماه بـ: **أنساب الداخلين إلى الأندلُس** من العرب وغيرهم، إلى أنه «ذكر فيه الخلفاء، ومن تناسل منهم بالأندلُس، ومن سائر قريش ومواليهم، وأهل الخدمة والتصرف لهم، ومشاهير قبائل البربر الذين [دخلوا] الأندلُس «(**الذيل والتكملة**: س1/ ق1: 213). ويبدو أنه رتّبه على القبائل، حيث يشير إلى اسم القبيلة، ثم يذكر أسماء البيوتات التي تنتمي إليها. يقول المَرّاكُشيّ في نص ينقله عن أحد أعيان عشيرة معافر: «... فقد ذكر عبد اللّه بن الحُكَيْمْ في كتابه... في رسم المعافر بقُرطُبَة منهم بيت محمّد بن بشير القاضي، ولهم بقية، وبيت بني شراحيل، وهو أصهار بَني بشير، وكانوا أهل صلاح، ولهم بقية». (**الذيل والتكملة** : 6/ 208). وحين يتحدث عن الأنصار، يشير إلى بيت الحُسين بن يحيى الثائر في سَرَقُسطة Zaragoza، وهو ينتسب إلى الصحابي سعد بن عبادة الخَزرَجي. كذلك يشير إلى تولي أحد بني دارم، وهو قطن بن خزر بن اللجلاج بن حاجب بن زرارة الجَيّاني،

إلى منصب القضاء في مدينة جيّان (Jaen). كما يذكر في هذه المدينة أيضاً بيتاً من قبيلة لخم العربية، هو بيت مُهنَّد بن عُمَيْر، مشيراً إلى أنهم كانوا هناك «جماعة أهل فضل ودين، ولهم فرسان شجعان يلديون، منهم عبد الرحمن بن واقد بن عبد الرحمن...».

وعلى العموم، فإن كتاب ابن الحُكَيْم هذا، يركّز على موضوعات خاصة بواقع الحياة في الأندلُس، ويُعدّ هو، وأحمد الرّازي، من أوائل المؤرخين الذين حاولوا النهوض بالتدوين التاريخي في هذا البلد، والابتعاد به عن المحاولات البسيطة الأولى المتأثرة بالمشرق، والتي تميّزت بطغيان الروح الأسطورية عليها. وعلى الرغم من أن ابن الحُكَيْم كان لغوياً، وشاعراً، فإن شيئاً من إنتاجه في هذا المجال لم يصلنا.

المصادر والمراجع:

الزُّبَيدي، **طبقات النحويين واللغويين**، تحقيق، محمّد أبو الفضل إبراهيم، القاهرة، نشر، محمّد سامي أمين الخانجي، 1954: 327؛ ابن الأبّار، **التكملة لكتاب الصِّلة**، نشر، عزت العطار الحسيني، القاهرة، مكتبة الخانجي، 1955 ـ 1956: 2/ 783، الترجمة (1920)؛ ابن عبد الملك المَرّاكُشيّ، **الذيل والتكملة لكتابَي الموصول والصِّلة**، السِفر الأول، القسم الأول، تحقيق، محمّد بن شريفة، دار الثقافة، بيروت، (د.ت): 213، السِفْر الخامس/ القسمين: الأول والثاني، تحقيق، إحسان عَبّاس، بيروت، دار الثقافة، (1965): 250، (1973): 574، 654، السِفْر السادس، تحقيق، إحسان عَبّاس، بيروت، دار الثقافة، (1973): 208؛ عبد الواحد ذنون طه، **نشأة تدوين التاريخ العربي في الأندلُس**، بغداد، دار الشؤون الثقافية العامة، 1988: 11 ـ 13؛ [صدرت طبعة ثانية عن دار المدار الإسلامي، بيروت، 2009].

3 ـ أحمد بن محمّد الرّازي (274 ـ 344 هـ/ 888 ـ 955 م)

أبو بكر أحمد بن محمّد بن مُوسى بن بشير الرّازي الكناني، مؤرخ، جغرافي، نحوي، أديب. ولد في الأندلُس يوم الاثنين العاشر من ذي الحجة سنة 274هـ/ السادس والعشرين من نيسان/ أبريل 888م. كان والده تاجراً متجوّلاً من المشرق، من أهل الرَّيّ في إيران الحالية. وإلى هذه المدينة تعود نسبته (الرّازي). ولا تتوافر

معلومات كثيرة عن حياته ونشأته الأولى، لكننا نعرف من رواية ابنه عيسى، أنه وُلِد قبل ثلاث سنوات من وفاة والده في مدينة إلبيرة (Elvira). وكان منذ صغره يطلب العلم، ويميل إلى الأدب، ثم غلب عليه حب البحث عن الأخبار التاريخية، والتنقيب عنها، (ابن حَيّان، **المقتبس**، برواية عيسى الرَّازي :269). وتُلْمِذَ في هذا الموضوع لشيوخ مُحدِّثين قرطبيين، ذوي مكانة عالية، من أمثال أحمد بن خالد (ت 322هـ/ 933م)، وقاسم بن أصبغ الجَيّاني (ت 334هـ/ 951م).

ويبدو أن تأثير الشيخ الأخير على أحمد الرَّازي كان كبيراً، لأن ابن أصبغ اشتهر بمؤلفات عديدة تتناول مختلف العلوم الدينية والدنيوية، ولاسيما موضوع الأنساب، الذي استفاد منه الرَّازي كثيراً. ويدل على ذلك مادته الغزيرة في الأنساب التي ضمنها في كتابه الموسوم : **الاستيعاب في أنساب مشاهير أهل الأندلُس**. كما استفاد الرَّازي أيضاً من شيخه قاسم بن أصبغ، باستخدامه الترجمة التي قام بها الأخير لكتاب **التاريخ** لهروشيش (باولوس أوروسيوس Paulus Horosius)، بالاشتراك مع الوليد بن الخيزران، قاضي النَصَارَى في قُرطُبَة (Cordoba). ويرى حسين مؤنس، أن الرَّازي استفاد من هذه الترجمة في وضع مُقَدِّمة جغرافية لتاريخه، كما فعل هروشيش، فصارت هذه قاعدة سار عليها كل مؤرخي الأندلُس بعد ذلك، أي التقديم للتاريخ بالجغرافية، ووصف الميدان قبل ذكر الوقائع، فأصبحوا جغرافيين ومؤرخين في آن. (**تاريخ الجغرافية والجغرافيين** : 54 ـ 55).

ولننظر الآن إلى مدى إسهام الرَّازي في تدوين تاريخ بلاده الأندلُس. فهو بحقٍّ من أبرز من كتب في هذا المجال. ولقد لُقِب بالتاريخي لكثرة مؤلفاته في هذا الحقل، وللمجلدات الكثيرة التي دوَّنها في تاريخ الأندلُس. فهو قد غطى تاريخ هذا البلد وجغرافيته إلى العصر الذي عاش فيه، ولم يترك ناحية من نواحي الأندلُس، إلا وصفها، ولا حادثة من حوادث تاريخها إلا دوَّنها. لكن مما يؤسف له، أننا لا نملك كتاباً واحداً كاملاً من كتب أحمد الرَّازي، فلقد ذهبت جميعها مع الكثير من كتب الأندلُس، نتيجة لِما تعرضت له البلاد من أحداث، ولِما عصف بها من تعصب أعمى بعد انحسار الحكم العربي الإسلامي عنها.

إن خسارتنا لمعظم كتب الرَّازي قد عُوّضت ـ إلى حدٍّ ما ـ نتيجة لما قام به المؤرخون المتأخرون من اقتباس لكثير من رواياته ونصوصه في مؤلفاتهم. وهكذا فقد

حفظوا لنا معلومات جمة عن تاريخ المسلمين وحضارتهم خلال القرون الأولى من تواجدهم على أرض شبه الجزيرة الآيبيرية. فكانت معظم كتب الرّازي المصادر الأساسية الأولى لكثير من المؤلفين العرب الذين بحثوا في تاريخ وجغرافية الأندلُس. وجدير بالتنويه هنا، أن كتابه **أخبار ملوك الأندلُس**، كان مصدراً استمد منه المؤلفون المجهولون لكتب : **فتح الأندلُس**، **وأخبار مجموعة**، **وذِكر بلاد الأندلُس**، كثيراً من مادتهم التاريخية. يضاف إلى ذلك أن كتاب الرّازي هذا، كان أيضاً من المراجع الرئيسية لمؤرخين وجغرافيين أفذاذ، أمثال : ابن حَيّان، ابن الأبّار، ابن الأثير، ابن عِذاري، ياقوت الحموي، ابن الخطيب، الحِمْيَري، والمَقّري.

ومن تدقيق نصوص الرّازي المقتبسة في بعض مؤلفات هؤلاء الكُتّاب، يتبيّن لنا أهمية مادة الرّازي، وما تقدمه من معلومات. وقد استقى هذه المادة الشاملة من مصادر متعددة. ويمكن أن نلاحظ أيضاً مصادر مشرقية في رواياته، ولاسيما الأخبار التي بثّها بعض التابعين الذين ساهموا في فتح الأندلُس، بعد رجوعهم إلى المشرق. ما يدلّ على أن كتابة التاريخ في الأندلُس لم تكن معزولة عن التأليف التاريخي في المشرق في هذه المرحلة، بسبب الصلات القوية التي توثقت بواسطة الرحلات التي كان يقوم بها العلماء من الأندلُس إلى المشرق وبالعكس. لكن الرّازي اعتمد أيضاً أخباراً أندلُسية صرفة، أخذها عن رجال بلده، أمثال الفقيه محمّد بن عيسى بن لبابة، وغيره. كذلك لا بد من أن تكون معظم أخباره الأخرى عن التاريخ الأندلُسي مستقاة من كتب ومصادر أندلُسية سابقة، أو معاصرة لعهده عن شيوخ لهم اطّلاع ودراية بالأحداث الماضية، أو أنه عاصرها بنفسه. ولعل أفضل نموذج على الأخبار التي عاصرها بنفسه ما يورده عن الأحداث في عهد الخليفة عبد الرحمن الناصر لدين اللّه (300 ـ 350هـ/ 912 ـ 961م)، الذي عاش في عصره، وكذلك معلوماته عن الجباية في عهد هذا العاهل العظيم، التي ينقلها عن الرّازي، المؤلف المجهول لمخطوط (**ذِكر بلاد الأندلُس** :125)، وهو يُسمّي الرّازي بصاحب التاريخ.

والرّازي دقيق في معلوماته، إذ يحاول أن يبيّن تواريخ الأحداث المهمة التي يرويها باليوم والشهر والسنة. وتصاحب هذه الدقة الرّازي في مؤلفاته جميعاً. ففي **الأنساب**، يُعطي كل المعلومات المتعلّقة بالجماعات أو الأفراد الذين يتحدث

عنهم، ويشير إلى تنقلاتهم من بلد إلى آخر. وهو لا يكتفي بذكر الأخبار التاريخية الصرفة، بل نجده يكثر من إيراد المعلومات الخاصة بالعمران. ولنا في رواياته الباقية عن تطور جامع قُرطُبَة الكبير وزياداته من قِبل الأمراء الأُمويين، وكذلك عن منية الرصافة، وبعض خطط العمران في عهد الأمير محمّد بن عبد الرحمن (238 ـ 273هـ/ 652 ـ 886م). وتمتد غزارة معلومات الرَّازي لتشمل معظم مظاهر الحياة للعصور التي يؤرخ لها. فهو وإن كان على عادة مؤرخي العصور الوسطى يكثر من الحديث عن الأمراء والملوك، ويلزم جانبهم، لكنه في الوقت نفسه يورد معلومات قيِّمة عن عهودهم، فيذكر حجّاب الأمير الذي يؤرخ له، ووزراءه، وأخلاقهم، وأصحاب شرطته، وقضاته، والعلماء في عهده، وموقفه منهم، كما يتكلم عن غزوات الأمير وصوائفه، وكيفية استنفاره للمطوعة من أهل قُرطُبَة، وعن موقفه من حركات التمرد المختلفة، وعلاقاته مع الدول الخارجية.

ويتبيّن من هذا أن طريقة الرَّازي في كتابة التاريخ ربما كانت قائمة على أساس توالي الأمراء، وإن كان أحياناً يشير إلى الأحداث بحسب السنوات. لا تقتصر معلومات الرَّازي على السرد التاريخي المجرد، بل إنه يحلل أحياناً الوقائع، ويبيّن رأيه في أسباب الخلافات ونتائجها. ومن ذلك رأيه في النزاع بين العرب والبربر، والخلاف الذي استحكم بين الطرفين نتيجة لتغيُّر موقف العرب وتصلُّبهم إزاء البربر، الأمر الذي أورث الخصام والعداوة المتجددة بين الطرفين على مدى عصور طويلة في الأندلُس (**الرَّازي برواية المؤلف المجهول لفتح الأندلُس**: 32). كما يعزو أيضاً أسباب اتخاذ عبد الرحمن الأول للمماليك والبربر في جيشه إلى توجسه من العرب، نتيجة لثوراتهم المستمرة عليه، ما أدى إلى ضعف أمر العرب بصورة عامة في الأندلُس. (الرَّازي في : **فتح الأندلُس** : 66).

ولقد أشار المؤرخون إلى كتب الرَّازي، وعددها بعضهم، ولاسيما ابن حَزْم الأندلُسي، وهي تتألف مما يأتي:

1 ـ **أخبار ملوك الأندلُس.**

2 ـ **صفة قُرطُبَة وخططها ومنازل الأعيان بها.**

3 ـ **الاستيعاب في أنساب مشاهير أهل الأندلُس**، وهو يحتوي على خمسة مجلدات كبيرة.

4 ـ **مسالك الأندلُس ومراسيها وأمهات أعيان مدنها وأجنادها الستة**، وهو كتاب ضخم عن طرق الأندلُس وموانئها، ومدنها الرئيسية، وتجمعات جندها، وخواص كل بلد منها، وما فيه مما ليس في غيره.

5 ـ **أعيان الموالي بالأندلُس.**

6 ـ كتب متفرقة، اطّلع عليها ابن حَزْم، وهي: **أخبار عُمر بن حفصون القائم بربة ووقائعه وسِيَره وحروبه، وأخبار عبد الرحمن بن مروان الجليقي القائم بالجوف، وأخبار بني قسي والتُجِيبيين وبني الطويل في الثغر.**

ويأتي في طليعة ما تبقى من هذه الكتب، كتاب **مسالك الأندلُس**، الذي يدور معظمه حول صفة الأندلُس، أي الوصف الجغرافي لشبه الجزيرة الآيبيرية. وفي الحقيقة فإن هذا الكتاب ما هو إلا مُقَدِّمة جغرافية لكتاب الرّازي الكبير في التاريخ **أخبار ملوك الأندلُس**. ويتميّز هذان الكتابان المزدوجان عن بقية كتب الرّازي الأخرى، بأننا لا نزال نمتلك جزءاً لابأس به منهما. لكن من الضروري التذكير، بأن النص العربي لهذا الجزء مفقود نهائياً، وكل ما يوجد منه، ما هو إلا ترجمة إسبانية اعتمدت بالأصل على ترجمات برتغالية ولاتينية، أُخِذَت عن النص العربي المفقود. وقد نشر جاينجوس P. Gayangos قسماً منها بالإسبانية سنة 1852م، وأكمل نشرها رامون مننديث بيدال R. Menendez Pidal. في **فهرس المُدَوَّنات في المكتبة الملكية** بمدريد *Catalogo de Cronicas de la Real Bibilioteca*. ويتألف هذا الجزء من تاريخ الرّازي، الذي يُعرف بـ **الكرونيكا**، من ثلاثة أقسام، الأول: جغرافي وهو صفة الأندلُس، والنص الإسباني الباقي هو ترجمة رجل نجهل اسمه عن ترجمة برتغالية قام بها عن العربية قسيس يُسمّى خل بيريث Gill Perez، وذلك بأمر من الملك دينيس Dinis ملك البرتغال (1279 ـ 1325م). وبالنظر إلى ضعف معلومات هذا القسيس عن اللغة العربية، فقد استعان ببعض المغاربة المسلمين، ولاسيما شخص يدعى المُعلّم محمّد (maestro Muhammad). والقسم الثاني من هذا الجزء باللغة اللاتينية، وهو تاريخي يتناول الأحداث في إسبانيا منذ أقدم العصور إلى عهد الملك لذريق (Roderic) آخر ملوك القوط. وهذا القسم برأي بعض المستشرقين، أمثال رينهارت دوزي R. Dozy، وباسكال جاينجوس، من تأليف القسيس خل بيريث نفسه.

وقد ترجم المستشرق الإسباني سافيدرا D. Eduardo Saavedra هذا القسم إلى الإسبانية، ونشره عام 1892م مُلحقاً لدراسته المفصَّلة عن فتح المسلمين للأندلُس.

أما القسم الثالث، فهو تاريخي أيضاً، ويُعدُّ مُكمّلاً للقسم الثاني، ويتناول تاريخ الأندلُس منذ الفتح الإسلامي إلى زمن الرَّازي، وهو أشبه بأن يكون ترجمة لمختصر كتاب الرَّازي. وهناك أخطاء تاريخية في هذا النص، تعود إلى جهل المترجمين، وكثرة نسخ المادة ونقلها من لغة إلى أخرى. وهذه الأخطاء لا يمكن أن تكون ضمن المادة الأصلية التي كتبها الرَّازي، ويدل على ذلك أن روايات الرَّازي هذه، والتي نجد نصوص بعضها منقولاً ومقتبساً في بقية الكتب العربية، تخلو من هذه الأخطاء. ولذا فإن هذا الكتاب على صورته الراهنة التي بين أيدينا، يُعدُّ قليل الأهمية، كثير الأخطاء، فهو مجرد واحد من الملخصات التاريخية التي كانت منتشرة في القرن الثالث عشر للميلاد/ السابع للهجرة. ولهذا فإن نسبته قد أصبحت موضع شك من قِبل بعض الباحثين. (بالنثيا، **تاريخ الفكر**: 198؛ Pons Boigues: 64-66).

أما الجزء الجغرافي من مؤلَّف الرَّازي **صفة الأندلُس**، فيمكن الاعتماد عليه، ولاسيما بعد أن عثر أحد الباحثين البرتغاليين Luis F. Lindley Cintra على نسخة فريدة من المخطوط، ونشرها بالبرتغالية سنة 1952م. وقد عمد المستشرق المعروف ليفي بروفنسال على دراسة واختبار هذه النسخة، فظهر له بأنها أكثر صحة من النصوص الإسبانية المعروفة لحد الآن، وأنها تُعدُّ إلى حدٍّ كبير جزءاً قيِّماً من الأصل العربي الضائع، فترجمها إلى الفرنسية، ونشرها مع دراسة قيِّمة في مجلة AL-Andalus عام 1953م. كما دُرس هذا النص أيضاً دراسة وافية من قِبل حسين مؤنس (**تاريخ الجغرافية**: 59 ـ 72). وكل ما يمكن أن يقال عن هذا الكتاب، هو باختصار كونه وثيقة قيمة من الناحية الجغرافية والسياسية والاجتماعية بالنسبة إلى الأندلُس، فيه تحديد لموقع البلاد بالنسبة إلى باقي أجزاء العالم، وتفصيل لمناخها، كما فيه أيضاً وصف شاهد عيان لكل إقليم من أقاليمها، وما تشتهر به من محاصيل ومعادن وثروات.

توفي الرَّازي في يوم الخميس الثاني عشر من شهر رجب سنة 344هـ/ الأول

من تشرين الثاني/ نوفمبر 955م. لكن شعلة التأليف التاريخي التي أوقدها عميد هذه الأسرة، محمّد بن مُوسى الرَّازي، لم تنطفئ في الأندلُس، فلقد أنجب أحمد الرَّازي، ابناً، تولّى هو الآخر دراسة التاريخ وتدوينه، وإكمال سيرة والده وجَدّه، ذلك هو عيسى بن أحمد الرَّازي المتوفى سنة 379هـ/ 989م.

المصادر والمراجع:

La Cronica del Moro Rasis, published by P. Gayangos, "Memoria sobre la autenticidad de la cronica denominada del Moro Rasis", *Memorias de la Real Academia de la Historia*, vol. VIII, Madrid, 1852. 69-100; Fragmentos ineditos de la cronica L'lamada del Moro Rasis, Saavedra, appendix, pp. 145-54; "La Description de L'Espagne d'Ahmad al- Razi, ed. Levi-Provencal", *Al-Andalus*, vol. XVII, 1953, pp. 51-108; *Cronica del Moro Rasis*, ed. Diego Catalan, Madrid؛ ابن الفَرَضي، **تاريخ علماء الأندلُس**، القاهرة، الدار المصرية للتأليف والترجمة، 1966، القسم الأول: 42 (الترجمة رقم 137) ؛ ابن حَزْم، **رسالة في فضل الأندلُس**، نشرت ضمن: **رسائل ابن حَزْم الأندلُسي**، تحقيق، إحسان عَبّاس، بيروت، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، 1981: 1/ 183، 184؛ ابن حَيّان، **المقتبس من أنباء أهل الأندلُس**، تحقيق، محمود عليّ مكي، بيروت، دار الكتاب العربي، 1973: 269، و«هامش المحقق» رقم 463؛ الحُمَيْدي، **جَذوة المُقتبِس**، القاهرة، الدار المصرية للتأليف والترجمة، 1966: 104 (الترجمة رقمي 174 و 175) ؛ الضَّبّيّ، **بُغية المُلتَمِس**، نشر، فرانسسكو كوديرا، مدريد، 1884: 140 (الترجمة رقمي 329 و 330) ؛ ياقوت الحموي، **مُعجَم الأدباء**، بيروت، دار المستشرق، (د.ت) : 4/ 236؛ القِفطيّ، **إنباه الرواة على أنباه النحاة**، تحقيق، محمّد أبو الفضل إبراهيم، القاهرة، مطبعة دار الكتب العصرية، 1950: 1/ 136؛ ابن الأَبّار، **الحُلّة السّيَراء**، تحقيق، حسين مؤنس، القاهرة، الشركة العربية للطباعة والنشر، 1963: 1/ 245، 2/ 366؛ ابن الأَبّار، **التكملة لكتاب الصّلة**، نشر، عزت العطار الحسيني، القاهرة، مطبعة السعادة، 1955 ـ 1956: 1/ 40؛ ابن عِذاري المَرّاكُشيّ، **البيان المُغرِب في أخبار الأندلُس والمَغرِب**، نشر، كولان وليفي بروفنسال، ليدن، 1948، أعادت دار الثقافة نشره في بيروت: 2/ 6، 13، 105،

129، 229؛ ابن الخطيب، **الإحاطة في أخبار غَرناطة**، تحقيق، محمّد عبد اللّه عنان، القاهرة، مكتبة الخانجي، 1973: 2/ 92 ـ 93، 133؛ مجهول، **فتح الأندلُس**، نشر، دون خواكين دي كونثاليث، الجزائر، 1889: 32، 66؛ مجهول، **ذِكر بلاد الأندلُس**، نشر، لويس مولينا، مدريد، 1983: 125، 136؛ المَقّري، **نَفح الطّيب من غصن الأندلُس الرطيب**، تحقيق، إحسان عَبّاس، بيروت، دار صادر، 1968: 3/ 111؛ Pons Boigues, *Los Hitoriadores Y Geografos Arabigo-Espnoles*, Amsterdam, 1972, reprint of Madrid edition 1898: 62-66; *Pidal, Catalogo de la Real Bibilioteca Manuscrites, Cronicas Generales de Espana*, Madrid, 1898; Provencal, "Sur Linstallation des Razi en Espagne", *Arabica*, II, 1955, pp. 228-230; Sanchez-Albornoz, "Precisiones sobre Fath al-Andalus", *Revista del Instituto de Estudios Islamicosm IX*, Madrid, 1961-1962; بالنثيا، **تاريخ الفكر الأندلُسي**، ترجمة حسين مؤنس، القاهرة، مكتبة النهضة المصرية، 1955: 197 ـ 198؛ بروكلمان، **تاريخ الأدب العربي**، ترجمة، عبد الحليم النجار، القاهرة، دار المعارف، 1969: 3/ 87؛ بروفنسال، مادة الرّازي، دائرة المعارف الإسلامية، الترجمة العربية؛ كراتشكوفسكي، **تاريخ الأدب الجغرافي العربي**، ط2، ترجمة، صلاح الدين عُثمان هاشم، بيروت، دار الغرب الإسلامي، 1987: 186؛ كحالة، **مُعجَم المؤلفين**، دمشق، مطبعة الترقي، 1957: 1/ 163 ـ 164؛ مؤنس، **تاريخ الجغرافية والجغرافيين في الأندلُس**، ط2، القاهرة، مكتبة مدبولي، 1986: 56 ـ 72؛ عبد الواحد ذنون طه، «نشأة التدوين التاريخي في الأندلُس/ دراسة تطبيقية عن أحمد بن محمّد الرّازي»، **مجلة دراسات**، المجلد السابع، العدد الأول، الجامعة الأردنية، 1980: 73 ـ 93.

4 ـ محمّد بن يُوسُف الوراق القروي (292 ـ 363هـ/ 904 ـ 973م):

أبو عبد اللّه محمّد بن يُوسُف بن عبد اللّه الوراق القروي، مؤرخ، وجغرافي. ولد في القيروان في أسرة يرجع أصلها إلى مدينة وادي الحجارة Guadalajara في الأندلُس. وقد نشأ وترعرع في مدينة القيروان، وأصبحت له شهرة واسعة في تاريخ وجغرافية شمال أفريقيا. أما لقبه الوراق، فهو على الأغلَب قد جاءه من أبيه يُوسُف بن عبد اللّه، الذي كان هو الآخر مهتماً بالتأليف والنسخ،

وله كتاب لم يصلنا في التاريخ. ويبدو أن الوراق الابن قد بُهر بالجوّ العلمي الذي كان يحيط بمدينة قُرطُبَة Córdoba عاصمة الخلافة في الأندلُس، أيام الخليفة الحَكَم الثاني المستنصر باللّه (350 ـ 366هـ/ 961 ـ 976م)، الأمر الذي أدى إلى هجرته إليها، والاتصال بالبلاط الأُموي، حيث رحب به الحَكَم الثاني وقرّبه إليه. وقد وجد الأخير في الوراق ثروة علمية كبيرة يمكن أن تساعده في التعرف إلى شؤون المغرب ودقائق تاريخه وجغرافيته، للاستفادة منها وتوظيفها على صعيد السياسة الخارجية الأندلُسية إزاء شمال أفريقيا بعامة، والدولة الفاطمية الناشئة التي كانت ترمي إلى السيطرة على المغرب، وتهديد الأندلُس.

ولا تشير المصادر إلى الوقت الذي ترك فيه الوراق القيروان وهاجر إلى الأندلُس، وهل كان هذا في فترة حكم الخليفة الحَكَم المستنصر باللّه؟ أم حين كان وليًّا للعهد زمن والده الخليفة الناصر لدين اللّه (300 ـ 350 ـ هـ/ 912 ـ 961م)، لأن الحَكَم كان مهتماً أيضاً بالشؤون العلمية قبل توليه الخلافة، وله محاولات عديدة وجهود كثيرة للاتصال بالعلماء والحصول على كتبهم من مشرق العالم الإسلامي ومغربه. وفي أي حال، فقد نال الوراق حظوة ومكانة مرموقة في البلاط الأُموي في قُرطُبَة، جعلت الحَكَم يعهد إليه بتأليف عدة أعمال تتعلّق بتاريخ وجغرافية المغرب العربي. وقد أشار ابن حَزْم الأندلُسي إلى هذه المؤلفات وعددها، وهي تشمل الكتب الآتية:

1 ـ كتاب **مسالك إفريقيّة وممالكها**.

2 ـ كتب كثيرة في أخبار ملوكها وحروبهم والقائمين عليهم.

3 ـ كتب أخرى في أخبار تيهرت، ووهران، وتنس، وسِجِلْماسة، ونكور، والبصرة (بصرة المغرب)، وغيرها من مدن شمال أفريقيا.

ويبدو أن محمّد بن يُوسُف الوراق ألّف كتباً أخرى غير هذه التي أشار إليها ابن حَزْم، ونقلها عنه بقية المؤرخين، لأنه لُقّبَ بـ «التاريخي» (الحُمَيْدي، **جذوة المُقتبِس**: 97)، الأمر الذي يدلّ على كثرة اشتغاله بالتأليف في هذا الفن. ومما يؤسف له، أننا لا نملك في الوقت الحاضر الكتب التي أشار إليها المؤرخون، ونسبوا إلى الوراق أمر تأليفها. ولكن من جهة أخرى، عُوّض هذا النقص إلى حدٍّ كبير بكثرة النقولات التي أخذها المؤرخون المتأخرون من كتب الوراق. فعلى

http://al-maktabeh.com

سبيل المثال، نجد أن أبا عُبَيْد البَكْري، قد ضمَّن كتابه **المسالك والممالك**، نصوصاً كثيرة من كتاب **مسالك إفريقيّة وممالكها**، وأشار إلى الوراق صراحة في كثير من ثنايا كتابه، وإن كان قد أغفل الإشارة إليه في أحيان أخرى.

اعتمد الوراق في مادته الجغرافية عن مسالك إفريقيّة وممالكها على الرحلة، وعلى السماع أيضاً. وقد أشار من خلال النصوص التي أوردها له البكري، إلى اثنين من الرواة الذين اعتمدهم في ذكر أخباره عن شمال أفريقيا، وهما : أبو بكر أحمد بن خلوف الفاسي، ومحمّد بن قاسم صاحب مدينة استجة Eciga. وقد أشرنا إلى هذا الأمر، لأنه يتعلّق بمنهج الوراق بشكل عام، وهو ينطبق أيضاً على رواياته التاريخية التي كتب معظمها في الأندلُس بعيداً عن شمال أفريقيا، فكان لابد له من الاعتماد على السماع، والمصادر المدونة، بالإضافة إلى خبرته الشخصية أيام إقامته في القيروان.

ولا تتوافر لدينا معلومات كثيرة عن كتب الوراق التاريخية، على الرغم من أن ابن حَزْم ينسب إليه تأليف كتب جمة في أخبار ملوك إفريقيّة وحروبهم والقائمين عليهم. ويحتمل أن أحد هذه الكتب التي لم تصلنا، كان بعنوان: **تاريخ إفريقيّة** تمييزاً له عن كتاب الوراق الجغرافي **مسالك إفريقيّة وممالكها**، الذي أشار إليه المؤرخون. ولا يمكن الجزم أيضاً بنطاق الكتاب ومحتوياته، فالنصوص المتوافرة لدينا منه قليلة جداً، وهي في الغالب عن الحقبة التي عاصرها المؤلف. لكن قياساً على ما سار عليه بقية المؤرخين الذي عاشوا في عصر المؤلف، يمكن القول إنه تناول تاريخ إفريقيّة والمغرب منذ الفتح العربي الإسلامي إلى ما بعد منتصف القرن الرابع للهجرة/ العاشر للميلاد. ولا يوجد ما ينفي قيام الوراق بتأليف كتابه على هذا الأساس، بل إن هناك من المؤرخين المحدثين من لا يستبعد أن يكون محمّد بن يُوسُف الوراق هو مؤلف القطعة التي نشرها المنجي الكعبي باسم **تاريخ إفريقيّة والمغرب**، واجتهد في نسبتها إلى الرقيق القيرواني (مؤنس، **رواية جديدة**: 96)، حيث إننا لا نملك دليلاً واضحاً يؤيد هذه النسبة أو ينفيها.

وللوراق نصان تاريخيان طويلان، أصلهما على الأَغلَب من كتابه الذي أشرنا إليه عن تاريخ إفريقيّة، الذي احتفظ لنا المؤرخ الأندلُسي حَيّان بن خلف بن حَيّان المتوفى سنة 469هـ/ 1079م، بالأول منهما، وهو عن دور جعفر ويحيى ابنَي

عليّ بن حمدون المعروف بالأندلُسي، في أحداث المغرب، وموقفهما المعادي للفاطميين وحلفائهم من بني زيري الصنهاجيين. وقد ابتدأ هذا المؤرخ حديثه بالإشارة إلى رواية الوراق، الذي نعته بـ «الحافظ لأخبار المغرب». (**المقتبس**: 33). وهذه شهادة قيّمة، ولاسيما أنها تصدر عن مؤرخ قدير له باع طويل في مجال التأليف والعمل التاريخي في الأندلُس. ثم جاء برواية النص بشكل مفصّل حافظ فيه على تكامل عناصره التاريخية. وترجع أهمية هذا النص إلى أنه يشير إلى حقائق وأحداث أثرت في تاريخ المغرب العربي، هذا فضلاً عن المعلومات القيّمة التي يقدمها عن استقرار قبيلة جذام العربية في الأندلُس، ممثلة بأحد قادتها، وهو عبد الحميد الجذامي. كما يشير أيضاً إلى الصراع القائم بين الفاطميين والأُمويين في الأندلُس، ومحاولة كل منهما لكسب إحدى الكتل الكبيرة في المغرب لتعمل على تأييده وحفظ مصالحه. يضاف إلى ذلك أن النص يبيّن قدرة الوراق التاريخية على استيعاب الأحداث في كل من المَغرِب والأندلُس، وربطها في تناسق يدلّ على تمكنه من فهم الأحداث في شمال أفريقيا، ومدى تأثيرها على الأندلُس، لأنه لا يمكن الفصل بين تاريخ المنطقتين.

وقد أشار ابن عِذاري المَرّاكُشيّ (كان حيًّا سنة 712هـ/ 1312م) إلى هذا النص ونقله باختصار عن الوراق. لكن الخدمة الكبرى التي قدمها ابن عِذاري هي، في إيراده للنص الثاني الطويل للوراق، والذي يتعلّق بقيام الدولة الفاطمية. ومعلومات هذه الرواية ملخصة، لكنها مركّزة بشكل جيد، وهي لا تختلف كثيراً في الخط العام عن الرواية الفاطمية، لكن هناك اختلافاً في التفاصيل، وفي وجهات النظر، لأن الوراق يخالف الفاطميين في المذهب، ولا يتحرج من بيان رأيه المعادي في هذه الرواية. (**البَيان المُغرِب**: 1/ 124 ـ 129).

وتوجد منقولات كثيرة أخرى للوراق في كتاب البكري **المسالك والممالك**، كما لخص ابن عِذاري عدداً لا بأس به من رسائله عن المدن المغربية وتاريخها وكيفية نشوئها. ومن الجدير بالذكر أن كلاًّ من البكري وابن عِذاري، لا يشيران إلى اسم الوراق عندما يتحدثان عن معظم هذه المدن، باستثناء قسم قليل منها. لكننا نستند في نسبتها إليه إلى أقوال ابن حَزْم الأندلُسي، الذي أشار إليها وعدّدها على أنها مدن كتب في تاريخها محمّد بن يُوسُف الوراق. وقد لخصها ابن عِذاري، باستثناء مدينتي تنس ووهران، وأضاف إليها مدناً أخرى مثل أصيلا، التي أشار

صراحة إلى أخذه معلوماته عنها من كتاب **المسالك والممالك** لمحمّد بن يُوسُف الوراق (**البَيان المُغرِب**: 1/ 232).

أما البكري فقد تحدث عن معظم المدن التي أشار إليها ابن حَزْم، لكنه لم يذكر اسم الوراق صراحة، إلا عند حديثه عن مدينة تاهرت. كما أشار إلى مدن أخرى وذكر معلومات تاريخية عنها نسبها إلى الوراق، منها على سبيل المثال لا الحصر، رَقّادة، وطبنة، وأشير. (**المُغرِب في ذكر بلاد إفريقيَة والمَغرِب**: 28، 52، 60). ويشير هذا الأمر إلى أن هذه الفصول أو الرسائل التي كتبها الوراق عن مدن إفريقيَة المغرب العربي، ما هي في الحقيقة إلا أجزاء من كتابه الكبير **مسالك إفريقيَة وممالكها** أو **المسالك والممالك**، وهي استطرادات تاريخية معترضة ضمن هذا الكتاب، وليست كتباً منفصلة، كما أشار ابن حَزْم وغيره من المؤرخين الذين نقلوا عنه. والدليل على ذلك اعتراف ابن عِذاري صراحة بأنه اختصر معلوماته عن أصيلا عن كتاب **المسالك والممالك** لمحمّد بن يُوسُف الوراق القروي.

إن منهج الوراق في تناوله لهذه الرسائل يعتمد على العرض الدقيق لأصل كل مدينة من هذه المدن، ثم يورد معلومات دقيقة ومفصَّلة عن الأُسر والجماعات التي سكنتها واستقرّت فيها. مثال ذلك تأسيس مدينة نكور، وأسرة صالح بن منصور الحِمْيَري التي حكمتها. (البكري، **المُغرب**: 91 ـ 99). ويشير الوراق أيضاً إلى العلاقات السياسية التي دارت بين هذه الأُسر التي حكمت بعض هذه المدن، مع بقية الكيانات الأخرى، سواءٌ في شمال أفريقيا، أم مع الدولة الأُموية في الأندلُس. كذلك يقدم معلومات على درجة كبيرة من الأهمية عن استقرار القبائل العربية والبربرية في هذه المدن، الأمر الذي يزوّد البحث بالبيانات الأولية الأصيلة عن كيفية توزيع هذه الأُسر وتركزها في مختلف المناطق. يضاف إلى ذلك أن الوراق يهتم بالمسائل الاجتماعية والاقتصادية، فيقدم معلومات عن الأوزان والمكاييل المتداولة في هذه المدن، مع مقارنتها بما هو متوافر في الأندلُس، ولاسيما مدينة قُرطُبَة.

ولم تقتصر المواضيع التي تناولها الوراق في مؤلفاته على تاريخ المدن في شمال أفريقيا فحسب، بل اهتم أيضاً بتاريخ بعض القبائل البربرية هناك، وكانت له عناية خاصة بأنسابها، واشتغل بالتأليف فيها. وقد أشار أبو بكر الصنهاجي الملقب

بالبيذق، خادم محمّد بن تُومَرْت، إلى كتاب بعنوان: **أنساب البربر**، اقتبس منه، ونسبه إلى محمّد بن يُوسُف الوراق. وهناك بعض النصوص التي اقتبسها ابن عِذاري، تخص بعض القبائل البربرية، ربما كانت بالأصل من كتاب **أنساب البربر** المذكور أعلاه (البَيان المُغرِب: 1/ 26). ولعل أهم النصوص المنقولة عن الوراق، فيما يخص القبائل البربرية، هو النص الخاص بقبيلة برغواطة، الذي أورده البكري، وابن عِذاري، وفيه معلومات طريفة عن هذه القبيلة، والديانة الجديدة التي ابتدعها لهم زعيمهم صالح بن طريف، الذي تنبأ فيهم، وسمّى نفسه بصالح المؤمنين. وكانت علاقة برغواطة جيدة مع خليفة الأندلُس الحَكَم المستنصر باللّه. وقد أرسل سابع أمرائها المدعو بأبي منصور عيسى بن أبي الأنصار، رسولاً إلى البلاط الأموي سنة 352هـ/ 963م، فروى خبر قبيلته بالكامل. ولابد من أن يكون الوراق قد دوّن هذا الخبر الطويل عن هذا الرسول، لأنها كانت مهمته، وهو الموكل بهذه الناحية في البلاط الأموي. وقد استمر يؤلف كتبه التاريخية والجغرافية حتى وفاته سنة 363هـ/ 973 م، قبيل وفاة الحَكَم المستنصر باللّه بثلاث سنوات.

المصادر والمراجع:

ابن حَزْم، «رسالة في فضل الأندلُس»، نشرت ضمن كتاب: **رسائل ابن حَزْم الأندلُسي**، تحقيق، إحسان عَبّاس، بيروت، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، 1981: 2/ 175؛ ابن حَيّان، **المقتبس في أخبار بلد الأندلُس**، تحقيق، عبد الرحمن عليّ الحجي، بيروت، دار الثقافة، 1965: 33 ـ 36؛ البكري، **المُغرِب في ذكر بلاد إفريقيّة والمَغرِب**، وهو جزء من كتاب **المسالك والممالك**، نشر، دي سلان، الجزائر، 1857: 4، 8، 9، 10، 12، 28، 52، 58، 60، 68 ـ 69، 70، 91، 107، 112، 134 ـ 141، 146، 148، 158، 159؛ الحُمَيْدي، **جَذوة المُقتبِس**، القاهرة، الدار المصرية للتأليف والترجمة، 1966: 97؛ الضَّبّيّ، **بُغية المُلتَمِس**، نشر، فرانسسكو كوديرا، مدريد، 1884: 131؛ ابن الأبّار، **التكملة لكتاب الصّلة**، نشر عزت العطار الحسيني، القاهرة، 1955 ـ 1956: 1/ 366؛ البيذق، **المقتبس من كتاب الأنساب في معرفة الأصحاب**، تحقيق، عبد الوهاب بن منصور، الرباط، دار المَنصور للطباعة والوراقة، 1971: 14؛ ابن عِذاري، **البَيان المُغرِب في أخبار الأندلُس والمَغرِب**، نشر، كولان وليفي بروفنسال، ليدن،

1948: 1/ 26، 124 ـ 129، 139، 179 ـ 180، 223 ـ 227، 232 ـ 235، 2/ 242 ـ 243؛ Pons Boigues, *Los Historiadores y Geografos Arabigo - Espanoles,* Amsterdm. 1979, reprint of Madrid edition, 1889: 81-82؛ كراتشكوفسكي، **تاريخ الأدب الجغرافي العربي**، ط2، ترجمة صلاح الدين عُثمان هاشم، بيروت، دار الغرب الإسلامي، 1987: 186؛ بروكلمان، **تاريخ الأدب العربي**، ترجمة، عبد الحليم النجار، القاهرة، دار المعارف، 1979: 3/ 91؛ بالنثيا، **تاريخ الفكر الأندلُسي**، ترجمة، حسين مؤنس، القاهرة، مكتبة النهضة المصرية، 1955: 309؛ مؤنس، **تاريخ الجغرافية والجغرافيين في الأندلُس**، ط2، القاهرة، مكتبة مدبولي، 1986: 73 ـ 76؛ مؤنس، «رواية جديدة عن فتح المسلمين للأندلُس»، **مجلة المعهد المصري للدراسات الإسلامية**، العدد 18، مدريد، 1974: 95 ـ 96؛ ابن سودة، **دليل مؤرخ المَغرِب الأقصى**، ط2، الدار البيضاء، دار الكتاب، 1960: 1/ 29 ـ 30، 60، 122؛ الزركلي، **الأعلام**، ط2، القاهرة، مطبعة كونستانوماس، 1955: 8/ 21؛ كحالة، **مُعجَم المؤلفين**، دمشق، مطبعة الترقي، 1957: 2/ 141؛ عبد الواحد ذنون طه، «موارد تاريخ ابن عِذاري المَرّاكُشيّ عن شمال إفريقيا من الفتح إلى بداية عهد المرابطين»، **مجلة المجمع العلمي العراقي**، ج4/ م36، بغداد، 1985: 250؛ عبد الواحد ذنون طه، «نصوص مغربية من تاريخ محمّد بن يُوسُف الوراق»، **مجلة البحث العلمي**، العدد 38، السنة الثالثة والعشرون، الرباط، 1988: 81 ـ 105.

5 ـ عَريب بن سعد القُرطُبي (ت370هـ/ 980م)

عَريب بن سعد، أو (سعيد)، من أهل قُرطُبَة (Córdoba) في الأندلُس، أديب شاعر، لغوي، مؤرخ، طبيب. ينتمي بالأصل إلى بيت من بيوت الموالي يُعرفون ببني التركي. نال تعليماً جيداً، ودرس على شيوخ عصره في القرن الرابع للهجرة/ العاشر للميلاد في الأندلُس. فبرز في قُرطُبَة كأحد العلماء الموسوعيين الذين زخرت بهم الحضارة العربية الإسلامية في هذا القرن، ووُصِف بأنه كان «أديباً شاعراً مطبوعاً تاريخياً تام المعرفة بالأخبار، ذا حظ موفور من النحو واللغة طبيباً ماهراً شديد العناية بكتب الأطباء القدماء والمُحدثين». (المَرّاكُشيّ، **الذيل والتكملة**: ج5/ ق 1: 142). ونتيجة لهذه المؤهلات، فقد نال شهرة واسعة في

البلاط الأموي في عصر الخلافة بالأندلُس، وعمل في عدة وظائف إدارية مهمة في عهد الخليفة عبد الرحمن الناصر لدين اللّه (300 ـ 350هـ/ 912 ـ 961م)، منها تولّي كورة أُشونة (Osuna)، التي تقلّدها سنة 331هـ/ 942م، وكذلك خزانة السلاح. وعمل كاتباً في ديوان الخليفة الحكم الثاني المستنصر باللّه (350 ـ 366هـ/ 961 ـ 977م). وكانت له علاقات واسعة وصلات قوية بكبار رجالات الدولة في عصره، أمثال الحاجب جعفر بن عُثمان المصحفي. وكذلك كانت منزلته عالية عند الحاجب المَنصور محمّد بن أبي عامر، الذي أصبح الحاكم الفعلي للبلاد بعد وفاة الخليفة الحَكَم الثاني. وتوفي عَريب في أوائل حكم الحاجب المَنصور سنة 370هـ/ 980م.

كتب عَريب بن سعد عدداً لابأس به من المؤلفات في اختصاصات مختلفة. ففي مجال الطب، كتب مؤلفاً بعنوان: كتاب **خلق الجنين وتدبير الحبالى والمولود**. وهو مخطوط في مكتبة الإسكوريال بالقرب من مدريد. ولعله الكتاب ذاته الذي أشار إليه ابن عبد الملك المَرّاكُشيّ بعنوان: **خلق الإنسان وتدبير الأطفال**. وله كتاب في الأدوية، بعنوان: **عيون الأدوية**، وهو مفقود. وله كتاب في الأنواء، وهو تقويم فلكي مناخي زراعي، وضعه سنة 349هـ/ 961م، وكان مفيداً ومستعملاً، كما أشار إلى ذلك ابن عبد الملك المَرّاكُشيّ. وقد ضاعت النسخة العربية من هذا الكتاب، ولم يُعْثر إلا على صورة منه مكتوبة بحروف عبرية (وإن كانت عربية اللغة). فقرأها المستشرق الهولندي رينهارت دوزي R. Dozy واستطاع أن يُخرج منها النص العربي للتقويم، وأسماه **تقويم قُرطُبَة لسنة 961م**. ونشره في ليدن سنة 1853م. كما ترجمه شارل بلا إلى الفرنسية بعنوان: *La Calendrier de Cordoue* ونشره في ليدن سنة 1961م. وقد أشار أنخل جنثاليث بالنثيا A.G. Palencia إلى أن هذا التقويم يماثل تقويم المستعرب ربيع بن زيد، الذي كان في خدمة الخليفة الناصر لدين اللّه، والموسوم بكتاب **تفصيل الأزمان ومصالح الأبدان**، الذي كتبه بالعربية، ثم ترجمه فيما بعد جيراردو الكريموني (Gerardo de Cremona) إلى اللاتينية. وقد نُشِر هذا النص في باريس من قِبل جيُّرْمَو (Guillermo)، ملحقاً لكتابه المُسمّى: **تاريخ العلوم الرياضية في إيطاليا سنة 1835**. وقد قارن دوزي بين هذا النص وتقويم عَريب بن سعد المذكور آنفاً، فتبين له أن النص اللاتيني المنسوب إلى ربيع بن زيد، ما هو إلا ترجمة لتقويم عَريب

مع بعض الزيادات. وقد أيّد هذا الاستنتاج بعض المستشرقين الإسبان، منهم إدواردو سافيدرا (E. Saavedra)، وخافير سيمونيت (J. Simonet).

أما بالنسبة إلى التاريخ، فقد ألّف مختصراً لتاريخ محمّد بن جرير الطبري (ت 310هـ/ 922م) المعروف **بتاريخ الرسل والملوك**. ويبدو أنه لم يكتف بهذا الاختصار، بل استدرك عليه، وذيّل ما حدث بعده. وقد وصلنا التذييل الخاص بالمشرق (مخطوط مكتبة غوتا Gotha رقم 1554)، وهو يبدأ من سنة 291 ـ 320هـ. وقد نشره المستشرق دي غويه De Goeje في ليدن سنة 1897، بعنوان: **صلة تاريخ الطبري**. وأعاد محمّد أبو الفضل إبراهيم تحقيقه ونشره في دار المعارف بالقاهرة، ضمن ذيول **تاريخ الطبري** سنة 1977. وقد فُقِدت رواية عَريب بن سعد الأخرى عن **تاريخ المَغرِب والأندلُس**، وهي الإضافة الثانية التي أشار إليها ابن عبد الملك المَرّاكُشيّ بعنوان **أخبار إفريقيّة والأندلُس**. ويشير بونس بويجس (Pons Boigues)، إلى أن مخطوط غوتا أعلاه يتضمن تفصيلات عن تاريخ إسبانيا والخلفاء العبّاسيين والمغرب، وإن دوزي قد اطّلع عليه، ونقل منه ما يختص بتاريخ إفريقيّة والأندلُس، وألحقه بكتاب **البَيان المُغرِب في أخبار الأندلُس والمَغرِب** لابن عِذاري المَرّاكُشيّ، الذي قام بنشره. لكن لم يُعثر على هذا الجزء، الذي كان من الكتب النادرة التي يعتزّ بها مُقتنيها بعد عصر المؤلف (المَقّري، **نَفح الطّيب**: 2/ 302). ويبدو أن ابن عِذاري قد حصل عليه، ونقل منه معلومات خاصة بشمال أفريقيا والأندلُس، ما يدلّ على أن الكتاب كان موجوداً حتى بداية القرن الثامن للهجرة/ الرابع عشر للميلاد. وقد استخدمه قبل ابن عِذاري، المؤرخ الأندلُسي المعروف حَيّان بن خلف بن حَيّان (ت 469هـ/ 1076م)، فأخذ منه أخباراً عن بعض غزوات الخليفة الناصر لدين اللّه.

وإذا ما رجعنا إلى كتاب ابن عِذاري، نجد أنه اعتمد كثيراً على رواية عَريب بن سعد. ويبدو من أحد النصوص التي ينقلها عنه، أن كتاب عَريب عن الأندلُس لا يبدأ بسنة 291هـ، وهي السنة التي يبدأ الحديث عنها في صلة **تاريخ الطبري** المشرقي، بل بفتح الأندلُس، لأن النص يشير إلى علاقة يليـــان «صاحب الجزيرة الخضراء» بكل من القائدين مُوسى بن نُصَيْر وطارق بن زياد عام 91هـ/ 711م (**البَيان المُغرِب**: 2/ 4 ـ 5). وهذا يؤكد وجود كتاب لعَريب بن سعد يبحث في تاريخ الأندلُس منذ الفتح وحتى سنة 320هـ/ 932م. وربما كان هذا الكتاب هو

تاريخه الذي لخص فيه **تاريخ الطبري** واستدرك عليه ماهو من شرطه، وذيّل ما حدث بعده، بعد أن أضاف إليه أخبار إفريقيّة والأندلُس. وبلا شك كان هذا الكتاب أحد المصادر الرئيسية للتاريخ الأندلُسي، بسبب تمكُّن واقتدار مؤلفه. يضاف إلى ذلك، أن عَريباً كان مقرَّباً من البلاط في عهد الخلافة، ويعمل في ديوان الكتابة، وهو ما هيأ له الاطّلاع على كثير من الكتب والوثائق الخاصة في مكتبة الحَكَم المستنصر باللّه، ولاسيما ما يتعلق بتاريخ الأندلُس. ولقد وظّف هذه الوثائق والمعلومات في كتابة الأحداث التي عاصرها بشكل خاص، فركّز على غزوات الخليفة الناصر لدين اللّه، والأعمال العسكرية التي كانت تقوم بها الدولة لمجابهة الفتن والمتمردين على الخلافة في الأندلُس.

أما بالنسبة إلى شعره، فكان معروفاً لدى معاصريه، وقد اقتبس منه أبو عُمَر أحمد بن فرج الجَيّاني في كتابه **الحدائق**، الذي ألّفه للخليفة الحَكَم المستنصر باللّه، معارضاً به كتاب **الزهرة** لابن داود الأصبهاني. وأورد له عبد الملك بن محمّد الثعالبي (ت 429هـ/ 1037م)، الذي أسماه **غريب بن سعيد**، شعراً في اليتيمة، يدلّ على رقة مشاعره، منها هذه الأبيات: **[الطويل]**

وأستودع الريحَ الجنوب تحيةً ... إليكم تؤدَّى من سلامي ومن شكري

وكم بلّغَتْ ريح الشمال نسيمكُمْ ... فأهْدَتْ إلينا منكم أطْيبَ النَّشْرِ

رعى اللّه أحباباً تألفَ شمْلُهم ... بقرْطُبة بين الرُّصَافة والقصْر

تعوضْتُ مِن أنسي بهم وَحْشَة النوى ... ومن قربهم قرب المَهَامِهِ والقفر

كذلك أشار ابن عبد الملك المَرّاكُشيّ إلى بيتين من الشعر، كتبهما عَريب ابن سعد في مجلس الحاجب جعفر بن عُثمان المصحفي، مُعرّضاً بأحد الشخصيات، وهو سعيد بن عبد اللّه الشَّنْتَريني، الذي كان يجلس بينه وبين الحاجب، الأمر الذي أغاظ عَريب وأحفظه، فكتب رقعة، فيها هذين البيتين، وناولها للحاجب: **[الخفيف]**

حال بيني وبين وجهكَ في المجـ ... ـلسِ شخصٌ على القلوبِ ثقيلْ

ما توهمتُ قبلها أن شخصاً ... بين قلبي وناظري سيحولْ

وهو شعر فيه هجاء للشَّنْتَريني، ومدح وتقرُّب للمصحفي، ما يدلّ على شخصية عَريب، ولاسيما أن وصوله إلى هذا المجلس والجلوس فيه، كان يدلّ على تصرف غير محمود، لأنه تخطى فيه رقاب الناس حتى وصل إليه. وقد استحى منه المصحفي، فأجلسه في فرجة كانت بينه وبين الشَّنْتَريني، فلم يَرُقْ ذلك لعَريب، الذي كان، وكما يبدو، مُعتدًّا بنفسه، ولا يرضى إلا بالمكانة العليا في المجالس التي يتردد إليها.

المصادر والمراجع:

الثعالبي، **يتيمة الدهر في محاسن أهل العصر**، تحقيق، محمّد محيي الدين عبد الحميد، ط2، القاهرة، مطبعة السعادة، 1956: 2/ 52؛ ابن خَيْران، **المقتبس**، نشر، شالميتا ورفاقه، مدريد، المعهد الإسباني العربي للثقافة، بالاشتراك مع كلية الآداب بالرباط، 1979: 5/ 65، 91، 124، 146، 161؛ ابن الأبّار، **التكملة لكتاب الصّلة**، قطعة من نشر الأركون وكونثاليث بالنثيا، مدريد، 1915: 263، الترجمة (161)، وتحقيق، عبد السلام الهراس، بيروت، دار الفكر، 1995: 4/ 35؛ ابن سعيد، **تذييل على رسالة ابن حَزْم في فضل الأندلُس**، نقلها المَقَّري في **نَفح الطّيب من غصن الأندلُس الرطيب**، تحقيق، إحسان عَبّاس، بيروت، دار صادر، 1968: 3/ 182؛ ابن عبد الملك المَرّاكُشيّ، **الذيل والتكملة لكتابي الموصول والصّلة**، تحقيق، إحسان عَبّاس، بيروت، دار الثقافة، 1973، السِفْر الخامس/ القسم الأول: 141 ـ 143؛ ابن عِذاري المَرّاكُشيّ، **البَيان المُغرِب في أخبار الأندلُس والمَغرِب**، نشر، كولان وليفي بروفنسال، ليدن، 1948، أعادت نشره دار الثقافة في بيروت: 1/ 14، 15، 17، 108، 167، 201، 2/ 4 ـ 5، 175؛ R. Dozy, *Le Calendrier de Cordoue de L'année 961*, Leyde, 1878; Dozy, "Die Cordovaner Arib ibn Sad der Sekretar und Rabi ibn Zaid der Biscgof". *ZDMG*, vol. XX; E. Saavedra, *Estudio sobre la invasion de los Arabes en Espana*, Madrid, 1892, p. 15; J. Simonet, *Historia de los Mozarabes de Espana*, Madrid, 1903, pp. 611-614; Pons Boigues, *Los Hiistoriadores Y Geografos Arabigo-Espanoles*, Amsterdam, 1972, reprint of Madrid edition 1898: 88-89; بالنثيا، **تاريخ الفكر الأندلُسي**، ترجمة، حسين

مؤنس، القاهرة، مكتبة النهضة المصرية، 1955: 206 ـ 207، 487 ـ 488؛ بروكلمان، **تاريخ الأدب العربي**، ترجمة، عبد الحليم النجار، القاهرة، دار المعارف، 1969: 3/ 48؛ عبد الواحد ذنون طه، «موارد تاريخ ابن عِذاري المَرّاكُشيّ»، **مجلة المجمع العلمي العراقي**، ج4 / م36، بغداد (1985): 235 ـ 237، ج4 / م37 (1986): 329 ـ 332، 343 ـ 344.

6 ـ الرّازي، عيسى بن أحمد (ت 379هـ/989م)

عيسى بن أحمد بن محمّد بن مُوسى الرّازي الكناني، مؤرخ وأديب، أندلُسي من قُرطُبَة (Cordoba)، وأصله مشرقي، جَدُّه محمّد بن مُوسى، هو الداخل إلى الأندلُس، من مدينة الرَّيّ في إيران الحالية، وإلى هذه المدينة تعود نسبته (الرّازي). نشأ في بيت علم وأدب، فكان جده تاجراً متجولاً، فضلاً عن كونه مؤرخاً يُنسب إليه تأليف كتاب في التاريخ. أما والده أحمد بن محمّد الرّازي، (344هـ/ 955م)، فكان أشهر من نار على عَلم. وتدلّ مؤلفاته التاريخية الكثيرة على علو باعه في مجال الإسهام بتدوين تاريخ الأندلُس في القرن الرابع للهجرة/ العاشر للميلاد. وهكذا عاش عيسى الرّازي في جوٍّ مفعم بالتاريخ والأدب، ولاشك في أنه أخذ عن أبيه هذا الاهتمام، وكذلك عن بقية علماء عصره، الذين كانت تزخر بهم قُرطُبَة عاصمة الخلافة الأُموية بالأندلُس. ومن الواضح أنه كان قريب الصِّلة أيضاً بالبلاط الأُموي، لأنه ألّف كتبه وأهداها لبعض القائمين على رأس السلطة، مثل الخليفة الحَكَم المستنصر باللّه (350 ـ 366هـ/ 961 ـ 976م)، وللحاجب المَنصور محمّد بن أبي عامر، الذي كان متولياً لجميع أمر الخليفة هشام بن الحَكَم بالنظر إلى صغر سنّه. فقد ألّف عيسى الرّازي كتابين يتعلّقان بالحجابة والوزارة لهذا الحاجب، اقتناعاً منه بأحقيّته لذلك، وأنه صاحب الكلمة العليا في الدولة. لكن لا توجد لدينا إشارة إلى تولي عيسى الرّازي لأي منصب في هذا العهد، ويبدو أن اهتمامه كان مُنصبًّا فقط على الكتابة والتأليف.

سار عيسى على خطى والده أحمد في تدوين تاريخ بلده، فأسمى كتابه الأول **بتاريخ الأندلُس**، الذي ألّفه للخليفة الحَكَم المستنصر باللّه، المعروف بحبه للعلم والمعرفة، ومصاحبة العلماء. ويبدو أن عيسى الرّازي لم يكتفِ بتكملة كتاب والده الموسوم **بأخبار ملوك الأندلُس**، بل ابتدأ مؤلفه الجديد منذ الأحداث الأولى التي

مرّت على الوجود العربي الإسلامي في الأندلُس. فقد نقل عنه أحمد بن محمّد المَقَّـــري (ت 1041هـ/ 1631م) نصاً يرجع إلى عصر الولاة، ويشير بوضوح إلى كيفية نشوء المقاومة الإسبانية بقيادة بلاي Pelayo في منطقة جليقية Galicia. (**نَفح الطِّيب**: 4/ 350 ـ 351). كذلك أشار أبو عبد اللّه محمّد بن الأَبّار (ت 658هـ/ 1260م) إلى بعض رواياته عن الأمير عبد الرحمن الداخل (**الحُلّة السِّيَراء**: 1/ 37). وقد ضمّن عيسى الرَّازي كتابه معلومات أساسية مفيدة عن الجذور التاريخية للأحداث التي تناولها. فنجده حين يتحدَّث عن استعادة الخليفة الناصر لدين اللّه (300 ـ 350هـ/ 912 ـ 961م) لطاعة مدينة طُليطُلة (Toledo)، يُعرِّف بتأريخها منذ أقدم العصور، ويُسهب في ذكر الأحداث التي مرّت عليها خلال العصر الروماني، ومواقفها إزاء الحكام والأباطرة، ولاسيما غزوها من قِبل يوليوس قيصر، الذي يسمّيه «يوليوش ملك روما الأكبر». (عيسى برواية ابن حَيّان، **المقتبس**/ تحقيق مكي: 274).

وتدل المعلومات التي يوردها عن الممالك الإسبانية في الشمال على معرفة تامة بأحوال هذه الممالك، والصراعات التي كانت تدور فيها للاستحواذ على السلطة، الأمر الذي يشير إلى وعي تام بمَجريات الأحداث في كل مناطق شبه الجزيرة الآيبيرية، ومحاولة ربط هذه الأحداث بعضها ببعض، للاستفادة منها في إعطاء صورة واضحة عن تاريخ بلده الأندلُس. ومن المحتمل أن موارده عن هذه الأخبار كانت تأتيه من طريق بعض النَصَارَى المقيمين في الأندلُس، والذين كانت لهم علاقات وثيقة بالممالك الإسبانية، لأن التداخل كان مستمراً بطرق شتى. وكان المستعربون، وهم نصارى الإسبان الذين تعلموا اللغة العربية، يتنقلون بحرّية بين الأراضي الإسلامية والإمارات النَّصْرَانِية، فينقلون الأخبار بين الطرفين. ومن جهة أخرى، كان الكثير من العرب في الأندلُس يفهمون اللغة الرومانسية (Romance) ويتكلمون بها، وهي اللغة الإسبانية القديمة الناتجة من اللهجة الآيبيرية ـ اللاتينية. ولهذا فليس من المستبعد أن يكون عيسى الرَّازي على إلمام جيد بهذه اللغة، فاستخدمها للحصول على المعلومات، سواءٌ بصورة شفوية من طريق الروايات المتسربة من الشمال، أم بقراءة المصنفات المكتوبة بها، والاستفادة منها في معرفة تاريخ وأخبار الإمارات الإسبانية.

أما على صعيد الأخبار الداخلية، فلا شك في أنه اعتمد كتاب والده اعتماداً

كبيراً. كذلك اعتمد مؤلفات بعض الكُتّاب الآخرين، أمثال محمّد بن مُوسى بن هاشم بن يزيد القُرطُبي المعروف بالأقشتـــين (ت 307هـ/ 919 ـ 920م)، الذي عُرف بحب الأدب والأخبار، وله كتب أشهرها **طبقات الكُتّاب في الأندلُس**. وقد أورد ابن حَيّان رواية لعيسى الرّازي ينقلها عن الأقشتين، عن محاولة الأمير عبد الرحمن بن الحَكَم (206 ـ 238هـ/ 822 ـ 857م) إسناد ولاية العهد لابنه محمّد (**المقتبس**/ تحقيق مكي: 104). ومن الذين نقل عنهم عيسى أيضاً؛ الفرج بن سلام القُرطُبي، الذي كان معنيًا بالأخبار والشعر والأدب. وهو ينقل عنه رواية تعود أحداثها إلى سنة 240هـ/ 854م، عن موقف أهل طُليطُلة من الأمير محمّد بن عبد الرحمن (238 ـ 273هـ/ 857 ـ 886م) (**المقتبس**/ تحقيق مكي: 259). كما يعتمد عيسى في رواياته رسائل وكُتُباً رسمية صادرة عن الخلفاء الأمويين، أو واردة إليهم من مختلف الأماكن والجهات. ويدلّ استخدامه لهذه الرسائل، وحصوله عليها بالنص، إلى اطّلاعه عن قُرب على مكاتبات البلاط الأموي، لأنه كان قريب الصّلة به، كما أسلفنا. ويمكن الاطّلاع على نصوص بعض هذه الرسائل التي تشير إلى التقارير المفصلة الواردة والصادرة في عهد الخليفة عبد الرحمن الناصر لدين الله، بشأن الشمال الأفريقي، وذلك فيما تبقّى من روايات عيسى المقتبسة عند ابن حَيّان. (**المقتبس**/ شالميتا: 306، 370، 413 ـ 415).

ويتبيّن من النصوص المتبقية لتاريخ عيسى الرّازي، أنه اتّبع طريقة الحوليات في تأليفه، فقد سار على الأحداث بحسب السنوات الهجرية. لكن هذه الطريقة لم تمنعه من الاسترسال في سرد أخبار عامة تتعلّق بمختلف نواحي الحياة في المجتمع، وأكد أيضاً على الرجوع إلى أصول بعض القبائل العربية، واستقرارها في الأندلُس، ما يشير إلى تأثّره الكبير باهتمامات والده أحمد الرّازي بأنساب المسلمين في الأندلُس. ولقد شعر المؤرخون الذين جاؤوا بعده بأهمية كتابه هذا، فاستخدموه، واعتمدوه بشكل كبير، ولاسيما ابن حَيّان، الذي أسماه **بصاحب التاريخ**، ونقل عنه بإعجاب كبير أحداث الأندلُس في مراحل مختلفة. ونجده يعبر بأسف شديد، في نص فريد، لخُرْم أصاب أحد أجزاء الكتاب الخاص بأحداث النصف الأول من سنة 362هـ/ 972م وما بعدها. (**المقتبس**/ الحجي: 95 ـ 96). ونحن لا نلوم ابن حَيّان لأسفه على فقدان جزء من كتاب عيسى الرّازي، لأنه وهو القريب الصّلة بالأحداث، شعر بأهمية الكتاب، وضرورة اكتماله حتى يمكن

الاستفادة منه في تدوين تاريخ الأندلُس. والكتاب اليوم في عداد المفقودات. ولهذا فإن الأسف على ضياعه كبير جداً، ولا يخفف منه سوى بقاء بعض النصوص التي احتفظ بها ابن حَيّان وغيره من المؤرخين.

أما بالنسبة إلى الكتاب الذي ألّفه عيسى الرّازي للحاجب المَنصور محمّد بن أبي عامر، فهو أيضاً مفقود. وقد أشار ابن الأَبّار، إلى نصوص قليلة نقلها عنه، منها النص الآتي، الذي يشير فيه إلى اسم الكتاب: «وحكى عيسى بن أحمد بن محمّد الرّازي في كتاب **الحُجّاب للخلفاء بالأندلُس**، من تأليفه، أن المنذر بن محمّد استُخلف يوم الأحد لثلاث خلون من شهر ربيع الأول سنة ثلاث وسبعين ومائتين...». (**الحُلّة السّيَراء**: 1/ 138). وقد أورد هذا النص بمناسبة الحديث عن أحد الوزراء والحُجّاب المشهورين في الأندلُس في عهد الأمير محمّد بن عبد الرحمن، وهو هاشم بن عبد العزيز. ومن الملاحظ على المعلومات التي وصلتنا من هذا الكتاب، أنه لا يختص بالكلام عن الحجاب فحسب، بل يشمل ملابسات تعيينهم، والأمراء في عهدهم، وكيفية معاملتهم، وخفايا السياسة الداخلية والمنازعات وغيرها من المسائل الاجتماعية التي كانت تزخر بها الحياة العامة في قُرطُبَة، وغيرها من المدن في عهدَي الإمارة والخلافة. لهذا يُعَدُّ هذا الكتاب على درجة كبيرة من الأهمية، ولو وصلنا لأغنى المكتبة العربية، وأفاد الدراسات الأندلُسية فائدة كبيرة.

أما كتاب **الوزراء والوزارة في الأندلُس**، الذي أشار إليه ابن الأَبّار (**التكملة**: 239)، فلم يصل إلينا منه نص صريح، حتى يمكن الجزم بمدى علاقته بكتاب **الحُجّاب**. ويحتمل أنهما كانا كتاباً واحداً، لأن الحُجّاب كانوا أيضاً وزراء للأمراء، مثل هاشم بن عبد العزيز المذكور أعلاه. توفي عيسى الرّازي في شهر شعبان سنة 379هـ/ 989م. ويشير ابن الأَبّار، الذي ذكر هذا التاريخ، إلى أنه نقله عن التاريخ الكبير لابن حَيّان، ويضيف أنه قرأ في مكان آخر بأن عيسى الرّازي أدرك خلافة بني حَمُّود. وهذا موعد متأخر نسبياً، لأن حكم بني حَمُّود في الأندلُس لم يبدأ حتى سنة 407 ـ 499هـ/ 1016 ـ 1057م.

مصادر الترجمة:

ابن حَيّان، **المقتبس**، تحقيق، الأب ملشور أنطونيا، باريس، 1937: 2، 4، 8، 33، 35، 50، 54، 60، 66، 85، 87، 89، 93، 105، 106، 108، 109،

120، 126، 128، 133، 137، 138؛ تحقيق، عبد الرحمن عليّ الحجي، بيروت، دار الثقافة، 1965: 38، 39، 62، 95 ـ 96؛، تحقيق، محمود عليّ مكي، بيروت، دار الكتاب العربي، 1973: 104، 176، 265، 295، 320، 329، 331، 346، 356، 360، 379، 386، 393؛، تحقيق، شالميتا ورفاقه، مدريد المعهد الإسباني العربي للثقافة، وكلية الآداب في الرباط، 1979: 180، 205، 233، 241، 245، 246، 266، 281، 295، 301، 306، 357، 369 ـ 370، 393، 413 ـ 415، 436؛ ابن الأبّار، **التكملة لكتاب الصّلة**، قطعة من نشر الأركون وبالنثيا: "Apendice A la Edicion Codera de la Tecmila de Aben Al-Abbar", in: *Miscelanea de Estudios y Textos Arabe*, Madrid, 1915, pp. 238-239.؛ ابن الأبّار، **الحُلّة السِّيَراء**، تحقيق، حسين مؤنس، القاهرة، الشركة العربية للطباعة والنشر، 1963: 1/ 37، 136، 138، 258، 2/ 30؛ ابن عبد الملك المَرّاكُشيّ، **الذيل والتكملة لكتابي الموصول والصّلة**، تحقيق، إحسان عبّاس، بيروت، دار الثقافة، 1973، السِفْر الخامس/ القسم الثاني: 491؛ المَقّري، **نَفح الطِّيب من غصن الأندلُس الرطيب**، تحقيق، إحسان عَبّاس، بيروت، دار صادر، 1968: 4/ 350 ـ 351؛ Pons Boigues, *Los Historiadores Y Geografos Arabigo-Espanoles, Amsterdam, 1972, reprint of Madrid edition 1898: 82*؛ بروكلمان، **تاريخ الأدب العربي**، ترجمة، عبد الحليم النجار، القاهرة، دار المعارف، 1969: 3/ 88؛ بالنثيا، **تاريخ الفكر الأندلُسي**، ترجمة، حسين مؤنس، القاهرة، مكتبة النهضة المصرية، 1955: 198؛ بروفنسال، مادة: (الرّازي)، **دائرة المعارف الإسلامية**، ط1، الترجمة العربية؛ عبد الواحد ذنون طه، **نشأة تدوين التاريخ العربي في الأندلُس**، بغداد، دار الشؤون الثقافية العامة، 1988: 37 ـ 45؛ [صدرت طبعة ثانية عن دار المدار الإسلامي، بيروت، 2009].

7 ـ ابن الفَرَضي (351 ـ 403هـ/ 962 ـ 1013م):

أبو الوليد عبد اللّه بن محمّد بن يُوسُف بن نصر الأزْدي المعروف بابن الفَرَضي، محدِّث، مؤرخ، أديب، وشاعر أندلُسي من أهل قُرطُبَة (Córdoba). ولد سنة 351هـ، أي في بداية حكم الحَكَم المستنصر باللّه، حيث وصلت هذه المدينة أعلى درجات تألقها العلمي. وتَلْمِذَ فيها ابن الفَرَضي لشيوخ كبار، أمثال أبي جعفر

أحمد بن عون اللّه، والقاضي أبي عبد اللّه بن مفرج، وأبي محمّد بن عبد اللّه بن قاسم بن سُليمان الثغري، ومحمّد بن يحيى بن عبد العزيز المعروف بالخزّاز، وغيرهم. وفي سنة 482هـ/ 1089م رحل ابن الفَرَضي إلى المشرق، لغرض أداء فريضة الحج، ولاستكمال طلبه للعلم، ولاسيما علم الحديث. فسمع في طريقه بإفريقيّة من أبي محمّد عبد اللّه بن عبد الرحمن النَفزي المعروف بأبي زيد، ودرس عليه رسالته في الفِقه، وأبي الحسن عليّ بن محمّد بن خلف المعروف بالقابسي، الذي أخذ عنه كتابه المعروف بـ **المُنبّه لذوي الفطن من غوائل الفتن**. وسمع في مصر من أبي بكر أحمد بن محمّد بن إسماعيل المهندس، وأبي محمّد بن الحسن ابن إسماعيل بن الضرّاب. وأخذ بمكة عن أبي يعقوب بن يُوسُف بن أحمد بن الدخيل الصيدلاني المكي، وأبي الحسن عليّ بن عبد اللّه بن جهضم، وغيرهما.

ثم رجع من رحلته المشرقية إلى قُرطُبَة، وقد جمع علماً كثيراً في مختلف الفنون، فأخذ عنه فيها تلاميذ أصبح لهم فيما بعدُ منزلة كبيرة في الأندلُس، أمثال: أبي محمّد عليّ بن حَزْم الأندلُسي، وأبي عُمَر بن عبد البر النمري، الذي قال عنه: «وكان صاحبي ونظيري. أخذت معه عن أكثر شيوخه. وأدرك من الشيوخ ما لم أدركه أنا. كان بيني وبينه في السن نحو خمس عشرة سنة. صحبته قديماً وحديثاً. وكان حَسَن الصحبة والمعاشرة، حسن اللقاء...». (عن ابن بَشْكُوَال، **صلة الصّلة**: 1/ 252). وحدّث عنه أيضاً ابنه أبو بكر مصعب بن عبد اللّه الحاكم، وأبو عبد اللّه الخولاني. وقد وصفه مؤرخ الأندلُس الشهير أبو حَيّان خلف بن حَيّان، كما نقل عنه ابن بَشْكُوَال وغيره، فقال بأنه كان فقيهاً راوية للأدب، فصيحاً «لم يُرَ مثله بقُرطُبَة من سعة الرواية، وحفظ الحديث، ومعرفة الرجال، والافتتان في العلوم، إلى الأدب البارع، والفصاحة المطبوعة، وقلّما كان يلحن في جميع كلامه...». وفضلاً عن ذلك كان ابن الفَرَضي جماعاً للكتب، جمع منها أكثر مما جمعه غيره من عظماء بلده.

وبالنظر إلى هذه المؤهلات العلمية التي كان يتمتع بها، فقد عُهد إليه في عهد الدولة العامرية بمنصب قراءة كتب الدولة. ولم توضح المصادر ماهية هذه الوظيفة بالضبط. لكن من المُرجّح أنه عُيّن على رأس ديوان الرسائل، الذي يُشرف على مراسلات الدولة الصادرة والواردة في عهد الحاجب المَنصور محمّد بن أبي

http://al-maktabeh.com

عامر، أو ابنه عبد الملك المظفر. وبعد سقوط الدولة العامرية، وتولّي الخليفة محمّد المَهْدي باللّه سنة 399هـ/ 1009م، عُيِّن ابن الفَرَضي لتولّي القضاء في كورة بَلَنْسِية Valencia في شرق الأندلُس. ويبدو أن ابن الفَرَضي لم يبق طويلاً في بَلَنْسِية، فقد رجع بعد فترة قصيرة، وتقلد قضاء إسْتِجه (Écija) القريبة من قُرطُبَة. لكنه لم يستقرّ في هذا المنصب أيضاً بسبب الفتن التي حلّت بالأندلُس بعد سقوط العامريين. فرجع إلى قُرطُبَة، وكان حاضراً فيها عندما عمَّت الفتنة فيها والاقتتال بين أهلها والبربر. ويُذكر أنه كان واقفاً على باب داره يَنْهَى عن المنكر وأعمال القتل والسلب والنهب، فقتله الغوغاء من البربر يوم الاثنين لستٍّ خلون من شوال سنة 403هـ/ 1013م.

ألّف ابن الفَرَضي بعض الكتب التي أشارت إليها المصادر، مثل: كتاب **المؤتلف والمختلف**، ومشتبه **النسبة**، أو **المتشابه في أسماء الرواة وكناهم وأنسابهم**، و**أخبار في شعراء الأندلُس**. وقد فقدت هذه الكتب، لكن بقي لنا كتاب واحد من مؤلفات ابن الفَرَضي، هو : **تاريخ علماء الأندلُس**، الذي هو كتاب تراجم بالدرجة الأولى، نحا فيه ابن الفَرَضي نحو الترجمة المختصرة لفقهاء الأندلُس وعلمائهم ورواتهم، مُرتّباً على حروف المُعجَم. وقد أشار ابن الفَرَضي إلى ذلك في تقديمه للكتاب قائلاً : «هذا كتاب جمعناه في فقهاء الأندلُس وعلمائهم ورواتهم وأهل العناية منهم ملخّصاً على حروف المُعجَم، قصدنا فيه قصد الاختصار، إذ كانت نيتنا قديماً أن نؤلف في ذلك كتاباً موعباً على المدن يشتمل على الأخبار والحكايات، ثم عاقت عوائق عن بلوغ المراد فيه : فجمعنا هذا الكتاب مختصراً». (**تاريخ علماء الأندلُس**: 1). وقد طُبع هذا الكتاب عدة طبعات، أولها في مدريد سنة 1891م بعناية فرانسسكو كوديرا. وقد اعتمدنا طبعة القاهرة/ الدار المصرية للتأليف والترجمة.

لقد أصبح هذا الكتاب الأساس الذي بُنيت عليه سلسلة طويلة من المؤلفات الأندلُسية في التراجم. فقد قام بالتذييل عليه أبو القاسم خَلَف بن بَشْكُوَال (ت578هـ/ 1182م)، الذي أسمى كتابه **بالصّلة** لهذا الكتاب. وضمَّنه معلومات كثيرة عن تراجم العلماء في الأندلُس حتى القرن السادس للهجرة/ الثاني عشر للميلاد. وشرع ابن الأَبّار (ت 658هـ/ 1260م) في عمل ملحق، أو ذيل لكتاب ابن بَشْكُوَال،

دعاه : **التكملة لكتاب الصِّلة**، وفيه استمر بعرض تراجم الأندلُسيين إلى منتصف القرن السابع للهجرة/ الثالث عشر للميلاد. ثم جاء ابن عبد الملك المَرَّاكُشيّ (ت 703هـ/ 1304م) فذيَّل على كتابَي ابن الفَرَضي وابن بَشْكُوَال بكتاب ثالث، أسماه : **الذيل والتكملة لكتابي الموصول والصِّلة**. وأخيراً فإن هذه السلسلة من الكتب الملحقة أو المذيَّلة بلغت منتهاها في القرن الثامن للهجرة/ الرابع عشر للميلاد، وذلك حين قام أبو جعفر أحمد بن الزُّبير(708هـ/ 1308م) بتأليف كتاب جديد أطلق عليه اسم **صلة الصِّلة**، الذي ذيَّل عليه بدوره ابن الخطيب (776هـ/ 1374م) بكتاب **عائد الصِّلة**. وهكذا نجد أثر ابن الفَرَضي العلمي قد جاوز عصره، واستمر تأثير عمله بعده نحو أربعة قرون.

وقد أشار مترجمو ابن الفَرَضي إلى بعض القصائد والأبيات الشعرية التي سُمعت منه مباشرة، أو نُقلت عن مؤلفاته. لكنه مع ذلك، لا يُعَدُّ ضمن الشعراء المُكثرين، بل هو، كما وصفه ابن بَسّام: «شاعر مُقِلّ، هو في طبقة العلماء أدخل منه في الشعراء، لكنه حسن النظام، مقترن الكلام. «(**الذخيرة**، ق1/ م2: 614).ونذكر فيما يأتي بعض الأبيات من قصيدة قالها في طريقه إلى المشرق، وكتب بها إلى أهله متشوّقاً إليهم: **[الطويل]**

مضت لي شهورٌ منذُ غِبتُمْ ثلاثةٌ ... وما خِلتُني أبقى إذا غِبْتُمُ شَهْرا

ومالي حياةٌ بعدَكُمْ أستلِذُّها ... ولو كانَ هذا لم أكن في الهوى حرّا

ولم يُسْلِني طولُ التَّنائي هَواكم ... بلى زادني شوقاً وجدَّد لي ذكرى

يمثّلكم لي طولُ شوقي إليكمُ ... ويدنيكمُ حتى أُناجيكمُ سرّا

المصادر والمراجع:

ابن الفَرَضي، **تاريخ علماء الأندلس**، القاهرة، الدار المصرية للتأليف والترجمة، 1966؛ الحُمَيْدي، **جَذوة المُقتبِس**، القاهرة، الدار المصرية للتأليف والترجمة، 1966: 254 ـ 256، الترجمة 537؛ ابن خير، **فهرسة ما رواه عن شيوخه**، نشر، فرانسثكة قدارة زيدين وخليان ربارة طرغوة، بيروت، منشورات دار الآفاق الجديدة، 1979، عن طبعة سَرَقُسطة، 1893: 218؛ ابن خاقان، **مطمح الأنفس ومسرح التأنس**، تحقيق، محمّد عليّ شوابكة، بيروت، مؤسسة الرسالة،

1983: 284 ـ 286؛ ابن بَسّام، **الذَخيرة في محاسن أهل الجزيرة**، تحقيق، إحسان عَبّاس، بيروت، دار الثقافة، 1978، ق1/م2: 614 ـ 616؛ ابن بَشْكُوَال، كتاب **الصِلة**، القاهرة، الدار المصرية للتأليف والترجمة، 1966: 1/ 251 ـ 255 الترجمة 572؛ الضَبّيّ، **بُغية المُلتَمِس**، نشر، فرانسسكو كوديرا، مدريد، 1884: 321 ـ 323 الترجمة 888؛ ابن الأثير، **الكامل في التاريخ**، بيروت، دار صادر، 1979: 9/ 243؛ ابن دِحْيَة، **المُطرب في أشعار أهل المَغرب**، تحقيق، مصطفى عوض الكريم، الخرطوم، مطبعة مصر، 1954: 125؛ ابن خَلِّكان، **وَفيات الأعيان**، تحقيق، إحسان عَبّاس، بيروت، دار الثقافة، 1968: 3/ 105 ـ 106؛ ابن سعيد وأسرته، **المُغرِب في حلى المَغرِب**، تحقيق، شوقي ضيف، القاهرة، دار المعارف، 1964: 1/ 103؛ الذهبي، تذكرة الحفاظ، طبعة دار المعارف العثمانية، وأعادت طبعها دار إحياء التراث العربي في بيروت: 3/ 1076؛ الذهبي، **العبر في خبر من غبر**، تحقيق، أبو هاجر محمّد السعيد بن بسيوني زغلول، بيروت، دار الكتب العلمية: 2/ 151، 206؛ ابن فضل اللّه العُمَري، **مسالك الأبصار**، مخطوط مصور في دار الكتب المصرية: ج 11، الورقة 375؛ اليافعي، **مرآة الجنان**، ط2، بيروت، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات: 1970: 3/ 5 ـ 6؛ ابن كَثير، **البداية والنهاية**، ط2، بيروت، دار المعارف، 1977ك 11/ 351؛ ابن فرحون، **الديباج المذهب**، تحقيق، محمّد الأحمدي أبو النور، القاهرة، دار التراث، 1974: 1/ 452؛ المَقّري، **نَفح الطِيب من غصن الأندلُس الرطيب**، تحقيق، إحسان عَبّاس، بيروت، دار صادر، 1968: 2/ 129 ـ 131؛ ابن العماد الحنبلي، **شذرات الذهب**، ط2، بيروت، دار المسيرة، 1979: 3/ 168؛ Pons Boigues, *Los Historiadores Y Geografos Arabigo-Espanoles*, Amsterdam, 1972, reprint of Madrid edition 1898, P. 105-108؛ بالنثيا، **تاريخ الفكر الأندلُسي**، ترجمة، حسين مؤنس، القاهرة، مكتبة النهضة المصرية، 1955: 12، 71، 202، 210، 266، 270 ـ 272؛ الزركلي، **الأعلام**، ط2، القاهرة، مطبعة كوستانوماس، 1955: 4/ 265؛ جرجي زيدان، **تاريخ آداب اللغة العربية**، مراجعة، شوقي ضيف، القاهرة، دار الهلال،: 2/ 371؛ عزيز جاسم محمّد، «تاريخ علماء الأندلُس لابن الفَرَضي/ **دراسة في مضمونه العلمي**»، رسالة ماجستير على الآلة الكاتبة/ كلية الآداب/ جامعة الموصل، 1989.

8 ـ أحمد بن سعيد بن أبي الفَيّاض (375 ـ 459 هـ/ 986 ـ 1066 م):

أبو بكر أحمد بن سعيد بن محمّد بن عبد اللّه بن أبي الفَيّاض، ويُعرف أيضاً بابن الفَشّاء، مؤرخ، جغرافي، ومُحدّث. أصله من مدينة إسْتِجه (Ecija) في الأندلُس. وولد فيها في حدود سنة 375هـ/ 986م. لكنه عاش وعمل في مدينة المَريّة (Almeria)، التي تقع في جنوب إسبانيا على ساحل البحر المتوسط. ومما يؤسف له، أننا لا نملك تفصيلات كثيرة عن حياة هذا العالِم، ولا توجد له إلا ترجمة مُقتضبة في كتاب **الصّلة** لابن بَشْكُوَال المتوفى سنة 578هـ/ 1183م. وقد ذكر بعض الكُتّاب المتأخرين، ابن أبي الفَيّاض، وخصّوه ببضعة أسطر، لا تخرج عما أورده عنه ابن بَشْكُوَال.

ويبدو أن ابن أبي الفَيّاض أمضى حقبة لابأس بها في مدينة إسْتِجه، فقد عاش فيها حتى بلغ عمراً يمكّنه من السماع والأخذ والدراسة عن أحد أبنائها، وهو يُوسُف بن محمّد بن يُوسُف بن عُمَرُوس المؤدب. لكننا لا نعلم السبب في انتقاله إلى مدينة المَريّة. وربما يعود ذلك إلى أن هذه المدينة أصبحت مقرًا لإحدى ممالك الطوائف التي ظهرت في الأندلُس بعد تدهور الخلافة الأُموية منذ عام 400هـ/ 1099م. فقد غلب عليها العامريون، فتيان المَنصور محمّد بن أبي عامر، ثم انتقلت إمارتها إلى بني صمادح من بني تجيب. وقد اشتهر منهم المعتصم باللّه أبو يحيى محمّد بن معن بن صمادح، الذي كان من أهل الأدب والمعارف والشعر. وقد يكون لهذا الجوّ العلمي أثر في تفضيل ابن أبي الفَيّاض البقاء في هذه المدينة، التي حُكِمت من قِبل هذا الأمير لحقبة تقرب من واحد وأربعين عاماً (443 ـ 483هـ/ 1051 ـ 1091م). وفي عهده توفي ابن أبي الفَيّاض سنة 459هـ/ 1066م.

أما أشهر أساتذته وشيوخه في مدينة المَريّة، فهو أحمد بن محمّد بن عبد اللّه الطلمنكي، الفقيه، الحافظ، الذي كان إماماً في القراءات، وثقة في الرواية. وممن اعتمد عليهم ابن أبي الفَيّاض في سماعه ودراسته، فقيه آخر له إلمام بالحديث والتاريخ، هو أبو عُمَر أحمد بن محمّد بن عفيف (ت 420هـ/ 1029م)، وكذلك المهلب بن أحمد بن أسيد بن أبي صُفرة، وهو من الفقهاء المُحدّثين في الأندلُس (ت بعد 420هـ/ 1029م). ومن المرجح أن هؤلاء الفقهاء ساهموا في تكوين الحس التاريخي والاستماع إلى الروايات المختلفة، وتقصي الأحاديث،

والحرص على الإسناد عند ابن أبي الفَيّاض. لكن ذلك لم يتعدّ إلى الاعتماد عليهم اعتماداً كبيراً في تأليف كتابه: **العبر**، الذي هو كتاب تاريخي بالأساس، وبعيد عن مجال التخصص الدقيق لهؤلاء الشيوخ في العلوم الدينية.

ومن جهة أخرى، فإن إقامة ابن أبي الفَيّاض في مدينة المَريّة، لابد من أن سهّلت عليه الالتقاء بأبي العبّاس أحمد بن أَنَس العُذْري المتوفى سنة 478هـ/ 1085م. فقد أثّر كل منهما في الآخر، ولاسيما اتجاههما نحو التاريخ والجغرافية، لأنهما عاشا في عصر واحد تقريباً، وسكنا في مدينة واحدة، هي المَريّة. ويذكر ابن بَشْكُوَال، أن العُذْري، قد كتب عن أبي عُمَر أحمد بن محمّد بن عفيف، والمهلب بن أحمد بن أبي صُفرة، وهذان الفقيهان، كما أسلفنا، كانا من شيوخ ابن أبي الفَيّاض أيضاً. ومن المؤكد أن مؤلفنا قد التقى أيضاً الفقيه العالم أبي محمّد عليّ بن أحمد بن حَزْم الأندلُسي المتوفى سنة 456هـ/ 1064م، وتُلْمِذَ له، حيث يذكر في كتابه **العبر**، كما ينقل إلينا ابن الخطيب (**أعمال الأعلام**: 77) رواية عن محمّد بن أبي عامر المَنصور، أخبره بها ابن حَزْم.

ألّف ابن أبي الفَيّاض كتاباً واحداً في التاريخ، أشار إليه بعض المؤرخين بأشكال عديدة. فيذكر ابن سعيد المغربي المتوفى سنة 685هـ/ 1286م، أن أحمد بن سعيد بن أبي الفَيّاض ألّف كتاباً اسمه **العبر**، في حين أن ابن بَشْكُوَال اكتفى بالقول بأن له كتاب **تأليف في التاريخ**. أما محمّد بن عبد اللّه بن الأَبّار المتوفى سنة 658هـ/ 1260م، فيذكر الكتاب باسم **العبر**. ويسمّيه محمّد بن عليّ بن الشباط المصري التوزري المتوفى سنة 681هـ/ 1282 بكتاب **العبرة**. كما جاء اسمه في كتاب الأنيس المطرب على أنه كتاب **القبس**. وقد ورد اسم هذا الكتاب في مخطوطات **نَفح الطِّيب** بثلاثة أشكال هي: كتاب **العبر**، وكتاب **العيق**، وكتاب **الصين**. ويشير المستشرق الإسباني بونس بويجس Pons Boigus إلى صيغة أخرى لهذا الاسم، وهي كتاب **الحبر**. ويبدو أن الأشكال الأربعة الأخيرة ما هي إلا تصحيف لعنوان الكتاب الصحيح **العبر**.

ومن المؤسف أن هذا الكتاب مفقود في الوقت الحاضر، باستثناء عدد يسير من النصوص الصغيرة المتفرقة في بعض مؤلفات المتأخرين من المؤرخين الذين نقلوا عنه. وكذلك «قطعة صغيرة مخطوطة»، هي عبارة عن ثلاث ورقات اندرجت

http://al-maktabeh.com

خطأً في نهاية مخطوط **الحُلّة السّيراء** المرقم 1654 في مكتبة دير الإسكوريال في إسبانيا. لقد كانت هذه الورقات الثلاث موضع دراسة من قِبل العديد من الباحثين، أمثال رينهارت دوزي (R. Dozy)، وكوندي (Conde)، والأب ملشور أنطونيا (P. Melchor M. Antuna)، وباسكال جاينجوس (P. Gayangos)، وميخائيل الغزيري (M. Casiri)، وحسين مؤنس. وقد قام كاتب هذه السطور، بتحقيق هذه «القطعة» ونشرها عام 1983م.

تبدأ هذه «القطعة» بالتفاصيل الأخيرة لحملة طارق بن زياد على الأندلُس، وفي نهاية الصفحة الأولى منها، نجد عبارة «تمّ الجزء الأول»، ثم يبدأ الجزء الثاني بحملة مُوسى بن نُصَيْر. وربما يكون الجزء الأول جغرافيًا قياساً على التقليد الذي سار عليه مؤرخو الأندلُس من التمهيد للتاريخ بالجغرافية. ويؤيد هذا الاتجاه ما ذكره عبد الواحد بن عليّ المَرّاكُشيّ المتوفى بعد سنة 621هـ/ 1240م، من أن ابن أبي الفَيّاض قد ألّف كتاباً في **المسالك والممالك**، ما يُحمل على القول بأن مُقَدّمة كتاب **العبر** الجغرافية، كانت من الطول بحيث أدرجها المَرّاكُشيّ ضمن كتاب **المسالك والممالك**. وهكذا يمكن القول إن الجزء الأول من كتاب **العبر** لابد من أن يكون جغرافيًا. ويؤيد هذا الاتجاه أيضاً أن المؤلف المجهول لكتاب **ذِكر بلاد الأندلُس**، يذكر اسم ابن أبي الفَيّاض ضمن المؤلفين الذين اعتمدهم في كتابة معلوماته عن وصف بلاد الأندلُس، وموقعها من العالم المعمور آنذاك.

ويظهر من القطعة المتبقية من كتاب **العبر**، ومن النصوص الأخرى المتفرقة لهذا الكتاب، أنه يضم بعد «المُقَدّمة» الجغرافية، نبذة عن تاريخ الأندلُس القديم، وكذلك أخبار عن أول من دخل جزيرة الأندلُس ومَلَكَها، والسبب في تسميتها بهذا الاسم. ثم ينتقل بعد ذلك إلى ممهدات الفتح، وأحداثه في عهد طارق بن زياد ومُوسى بن نُصَيْر. ثم يتكلم عن الأحداث في عصر الولاة، وعصرَي الإمارة والخلافة، إلى القرن الخامس للهجرة/ الحادي عشر للميلاد. ولدينا روايات أخيرة عن كتاب **العبر**، تؤرخ لأحداث عاصرها المؤلف، وجرت في أوائل هذا القرن.

ولا تقتصر معلومات كتاب **العبر** على الأحداث التاريخية الصرفة فحسب، بل نجده يُعنى أيضاً بالأمور الثقافية. فقد نقل لنا عبد الواحد المَرّاكُشيّ نصاً فيه معلومات إحصائية مفيدة عن دور المرأة في الحركة العلمية في مدينة قُرطُبَة

Córdoba. ومن المحتمل لو أننا عثرنا على هذا الكتاب، لازدادت معلوماتنا بشكل كبير عن هذه الناحية المهمة في الأندلُس. ويبدو أن كتاب **العبر** لم يقتصر على تاريخ الأندلُس فحسب، بل تطرق فيه مؤلفه إلى بعض أحداث المغرب، ويتضح هذا من بعض منقولات ابن عِذاري المَرّاكُشيّ المتوفى بعد سنة 712هـ/ 1312م، وكذلك ابن أبي زرع المتوفى بعد سنة 726هـ/ 1326م. وقد اعتمد ابن أبي الفَيّاض على ملاحظاته الخاصة حين كان يؤرخ لأحداث عاصرها، أو كان قريباً منها. كذلك اعتمد على رواة ينقلون الحدث، مثال ذلك ما يرويه عن ابن حَزْم الأندلُسي، نقلاً عن أحد زملائه الذي روى قصة عن أبيه وقعت له مع الحاجب المَنصور. (ابن الخطيب، **أعمال الأعلام**: 77 ـ 78).

أما بالنسبة إلى المصادر المُدَوَّنة، فقد اعتمد ابن أبي الفَيّاض في كلامه على جغرافية الأندلُس وتاريخها قبل الإسلام على جغرافيين ومؤرخين سبقوه، أو عاصروه، أمثال العُذْري، وأبي عُبَيْد عبد اللّه بن عبد العزيز البكري المتوفى سنة 487هـ/ 1094م. ولابد من أنه اطّلع أيضاً على المؤلفات الجغرافية والتاريخية لأحمد بن محمّد بن مُوسى الرّازي المتوفى سنة 344هـ/ 955م، واستفاد منها، ولاسيما في تنظيم كتابه وتجزئته إلى جزءَين، أحدهما خاص بالجغرافية، والآخر بالتاريخ. ومن المؤرخين الذين نقل عنهم أيضاً، عبد الملك بن حبيب السلمي المتوفى سنة 238هـ/ 853م. وكذلك نقل عن أبي بكر محمّد بن عُمَر المعروف بابن القُوطِيّة المتوفى سنة 367هـ/ 977م. ومن جهة أخرى، فقد اعتمد الكثير من المؤرخين على كتاب **العبر** لابن أبي الفَيّاض، نذكر منهم على سبيل المثال لا الحصر، ابن عِذاري المَرّاكُشيّ، وابن الأبّار، في بعض رواياته في **الحُلّة السّيراء**. كذلك اعتمد عليه عبد الواحد المَرّاكُشيّ، وابن الشباط، وابن أبي زرع، وأحمد بن محمّد المَقّري المتوفى سنة 1041هـ/ 1631م، في **نَفح الطّيب**، ولسان الدين بن الخطيب المتوفى سنة 776هـ/ 1374م، كتاب **أعمال الأعلام**.

المصادر والمراجع:

ابن أبي الفَيّاض، **قطعة من كتاب العبر**، نشرت بعنوان: «نص أندلُسي من تاريخ ابن أبي الفَيّاض»، تحقيق، عبد الواحد ذنون طه، **مجلة المجمع العلمي العراقي**، ج1/ م34، بغداد، 1983: 177 ـ 193. و«مُقَدِّمة» المحقق: 162 ـ 176؛

ابن القُوطِيَّة، **تاريخ افتتاح الأندلُس**، نشر، لافوينتي القنطرة، مدريد، 1926: 3 ـ 4، 8؛ ابن بَشْكُوَال، كتاب **الصِّلة**، القاهرة، الدار المصرية للتأليف والترجمة، 1966: 1/ 60 الترجمة رقم (126)؛ ابن الأَبّار، **الحُلّة السِّيراء**، تحقيق، حسين مؤنس، القاهرة، الشركة العربية للطباعة والنشر، 1963: 1/ 217، 2/ 10 ـ 11، 312 ـ 313؛ عبد الواحد المَرّاكُشيّ، **المُعجِب في تلخيص أخبار المغرب**، تحقيق، محمّد سعيد العريان، القاهرة، لجنة إحياء التراث، 1963: 431، 456 ـ 457؛ ابن الشباط، **صلة السمط وسمة المرط (نص ابن الشباط)**، تحقيق، أحمد مختار العبادي، مدريد، 1971: 128، 132، 133، 144، 166 ـ 172، 174؛ ابن سعيد المغربي، **تذييل على رسالة ابن حَزْم في فضل الأندلُس**، نقلها المَقّري في **نَفح الطِّيب**: 3/ 182؛ ابن عِذاري المَرّاكُشيّ، **البَيان المُغرِب في أخبار الأندلُس والمَغرِب**، نشر، كولان وليفي بروفنسال، ليدن، 1948: 1/ 27، 2/ 129؛ ابن أبي زرع، **الأنيس المطرب بروض القرطاس**، الرباط، دار المَنصور للطباعة والوراقة، 1973: 94، 115؛ ابن الخطيب، أعمال الأعلام، نشره ليفي بروفنسال بعنوان: **تاريخ إسبانيا الإسلامية**، ط2، بيروت، دار المكشوف، 1956: 6 ـ 7، 77 ـ 78، 193 ـ 194؛ مجهول، **ذِكر بلاد الأندلُس**، ترجمة وتحقيق، لويس مولينا، مدريد، المجلس الأعلى للأبحاث العلمية، 1983: 1/ 29؛ المَقّري، **نَفح الطِّيب من غصن الأندلُس الرطيب**، تحقيق، إحسان عبّاس، بيروت، دار صادر، 1968: 2/ 10، 3/ 182؛ دوزي، «مُقَدِّمته» لكتاب **البَيان المُغرِب**، ليدن، 1848 ـ 1851: 75 ـ 76؛ بالنثيا، **تاريخ الفكر الأندلُسي**، ترجمة، حسين مؤنس، القاهرة، مكتبة النهضة المصرية، 1955: 212؛ مؤنس، **تاريخ الجغرافية والجغرافيين في الأندلُس**، ط2، القاهرة، مكتبة مدبولي، 1986: 106 ـ 107؛ Gayangos, *The History of the Mohammedan Dynasties in Spain*, New York-London, 1964, reprint of London edition, 1843, Vol. I, PP. 193, 474; Saavedra, *Estudio sobre la invasion de los Arabes en Espana*, Madrid, 1892, P 70, (not 3); Pons Boigues, *Los historiadores y geografos arabigo-espanoles*, Amsterdam, 1972, reprint of Madrid, edition 1898, PP. 138-139; Derenbourg and Provensal, *Les Manuscrits Arabes de L'Escorial*, Paris, 1928, Vol. III, PP. 188-189; *Antona, Un fragmento arabigo-historico*, Biblioteca del Escorial, 1921.

9 ـ محمّد بن عيسى بن مُزَيْن (كان حيًّا سنة 471هـ/1078م):

أبو بكر محمّد بن عيسى بن مُزَيْن، فقيه، أديب، مؤرخ، ينتمي إلى أسرة يمنيّة معروفة في الأندلُس. وجده الأعلى مُزَيْن بن مُوسى الأودي، هو الداخل إلى الأندلُس. وتشير إحدى الروايات أيضاً إلى أنه كان مولى لرملة ابنة الخليفة عُثمان بن عفّان رضي اللّه عنه. وقد استقرّت أسرة بني مُزَيْن في أكْشُونُبة (Ocsonoba) (Faro)، جنوبي البرتغال الحالية. وتولّى أولاد مُزَيْن وأحفاده مناصب إدارية وقضائية عديدة في الأندلُس أيام الحكم الأموي في عهدَي الإمارة والخلافة. وأخيراً استطاعت هذه الأسرة أن تستقل بحكم جنوب البرتغال، في عهد الطوائف، حيث اتخذت من مدينتَي باجَه (Beja) وشلب (Silves) قاعدة لها، وذلك للحقبة من (432 ـ 455هـ/ 1041 ـ 1063م)، وأصبحت تشكّل إحدى الدويلات في الأندلُس. لكن دويلة بني مُزَيْن هذه تعرضت لضغط كبير من قِبل حاكم إشبيلية (Sevilla) المعتضد عَبّاد بن محمّد، الذي هاجمها أكثر من مرة، وقتل بعض أمرائها. وكان آخر هؤلاء هو المظفر عيسى بن محمّد بن سعيد بن مُزَيْن، والد الفقيه أبي بكر بن محمّد الذي نُترجم له، وكان ذلك سنة 455هـ/ 1063م، وبذلك انقرضت دويلة بني مُزَيْن.

ويبدو أن أبا بكر محمّد، قد توجّه بعد ذلك للاستقرار في مدينة إشبيلية، وانصرف إلى طلب العلم والدراسة فيها، فأصبح من الفقهاء المرموقين، وعاش بقية عمره أيام المُعْتَمِد بن عَبّاد، بعيداً عن الانغمار في الأحداث السياسية، التي لم تجلب لأسرته سوى التشرد والقتل. ومع هذا فإنه كان يتمتع بقدر من الاحترام في بلاط بني عَبّاد، ولاسيما أن والده المخلوع كان صهراً للمعتضد محمّد بن عَبّاد. ويحتمل أن هذا الأمر قد أتاح له الاطّلاع على خزائن الكتب الموجودة في القصر، ما زاد في ثقافته واطّلاعه، فانصرف إلى دراسة الفقه والتأليف حتى وفاته التي نجهل تاريخها بالضبط. وقد ألّف كتاباً في **تاريخ الأندلُس**، تتواتر الإشارة إليه فيما بين أيدينا من كتب تواريخ الأندلُس. ويعود الفضل إلى معرفتنا بفقرات كثيرة من كتاب ابن مُزَيْن، إلى الكاتب المغربي محمّد بن عبد الوهاب الغَسّانيّ، الذي كان وزيراً لسلطان المغرب مولاي إسماعيل. وقد أرسله الأخير في سفارة إلى ملك إسبانيا كارلوس الثاني (Carlos II) سنة 1102هـ/ 1690 ـ 1691م، فدوّن الغَسّانيّ مشاهداته في هذه الرحلة بكتاب أسماه: **رحلة الوزير في افتكاك الأسير**، اعتمد في

القسم الأول منه على بعض الفصول التي نقلها من كتاب ابن مُزَيْن أعلاه، كما أشار أيضاً إلى بعض موارد ابن مُزَيْن، ولاسيما بعض الكتب التي تتحدث عن الحقبة المبكرة للوجود العربي الإسلامي في الأندلُس، وأحداث الفتح، وإجراءات الولاة الأوائل الاقتصادية.

يقول ابن مُزَيْن، كما ينقل عنه الغَسّانيّ: «وجدت في خزانة بإشبيلية سنة 471 أيام الرَّضِيّ بن المُعْتَمِد «سِفْراً» صغيراً من تأليف محمّد بن مُوسى الرَّازي، سمّاه بكتاب **الرايات**، ذكر فيه دخول الأمير مُوسى بن نُصَيْر، وكم راية دخلت الأندلُس معه من قريش والعرب، فعدَّها نيّفاً وعشرين راية...»، وفضلاً عـن تعريفنا بكتاب **الرايات** ومحتوياته، وهو من الكتب المفقودة، فقد جلى لنا ابن مُزَيْن مسألة غامضة في موضوع تدوين التاريخ في الأندلُس، وأثبت أن لمحمّد بن مُوسى الرَّازي (ت 277هـ/ 980 م) دوراً في عملية التدوين، وأنه بالفعل عميد أسرة الرَّازي علمياً في موضوع التدوين، كما هو عميدها في النسب، حيث نبغ ابنه أحمد، وحفيده عيسى، في هذا المجال أيضاً.

ويمكن أن نجد قسماً من رواية ابن مُزَيْن في كتاب **فتح الأندلُس**، وهو مجهول المؤلف، وكذلك في **الرسالة الشريفية**، المجهولة المؤلف أيضاً، والتي يُعتقد أنها جزء من كتاب الغَسّانيّ أعلاه. وقد نشر هذا النص وترجمه إلى الإسبانية باسكال جاينجوس (P. Gayangos)، وذلك في ذيول النشرة التي قام بها خوليان رايبيرا (R. Julian) لكتاب **تاريخ افتتاح الأندلُس** لابن القُوطِيَّة. كما اعتمد على كتاب ابن مُزَيْن مؤرخون آخرون، من أمثال محمّد بن عبدالله المعروف بابن الأَبّار (ت658هـ/ 1260م)، الذي وقف على هذا التأليف، وأخذ عنه، وكذلك محمّد بن علي التوزري المعروف بابن الشباط (ت 681هـ/ 1282م). وقد نقل ابن عِذاري المَرّاكُشيّ (ت بعد سنة 712هـ/ 1312م) نصاً يتعلّق بهزيمة باديس بن حبوس لإسماعيل بن محمّد بن عَبّاد في سنة 431هـ/ 1039م، خارج أسوار قُرطُبَة. وهذا يُظهر طبيعة كتاب ابن مُزَيْن، واهتمامه بتدوين أحداث دول الطوائف التي عاصرها. ويؤيد هذا المنقولات التي اقتبسها منه ابن الأَبّار في (الحُلَّة السِّيَراء: 2/ 18، 116، 129)، فهي جميعاً من النصوص التي تعود إلى عصر الطوائف.

لكن من جهة أخرى، فإن كتاب ابن مُزَيْن لا يقتصر على هذه الحقبة، بل يمتد، كما أسلفنا، إلى زمن فتح الأندلُس. ويعود الفضل إلى ابن مُزَيْن في إتحافنا

بالفصل الممتع الذي يحدثنا فيه عن الملكية العقارية في الأندلُس بعد الفتح. ويبدأ ذلك بذكر إجراءات القائد مُوسى بن نُصَيْر في هذا المجال، وكيف أنه أخرج الخمس من الأراضي المفتوحة، وأقرّ بها أهلها من السبي، ليعمروا الأرضين، حتى تزداد موارد المسلمين. وقد عُرف هؤلاء بالأخماس، وأولادهم ببني الأخماس. أما النَصَارَى الذين صالحوا المسلمين على الجزية، فقد أقرّهم مُوسى على أموالهم ودينهم، لقاء دفعهم الجزية. ولعل العثور على كتاب ابن مُزَيْن يتيح اطّلاعاً أكبر على محتوياته، ومحتويات كتاب **الرايات**، الذي يشكّل مورداً مهماً من موارده، ولاسيما أنه يركز على مسائل اقتصادية واجتماعية مهمة في الحقبة الأولى من الوجود العربي الإسلامي في الأندلُس.

المصادر والمراجع:

ابن الفَرَضي، **تاريخ علماء الأندلُس**، القاهرة، الدار المصرية للتأليف والترجمة، 1966: 2/ 181 (ضمن الترجمة رقم 1558)؛ الحُمَيْدي، **جَذوة المُقتبِس**، القاهرة، الدار المصرية للتأليف والترجمة، 1966: 373 (ضمن الترجمة 880)؛ ابن الأبّار، **الحُلّة السّيراء**، تحقيق، حسين مؤنس، القاهرة، الشركة العربية للطباعة والنشر، 1963: 1/ 88، 2/ 18، 116، 129؛ ابن الشباط، **صلة السمط وسمة المرط**، (نص ابن الشباط)، تحقيق، أحمد مختار العبادي، مدريد، 1971: 21، 162؛ **ذيل** مجهول المؤلف في **أخبار ملوك الطوائف بجزيرة الأندلُس**، نُشر ملحقاً لكتاب: **البَيان المُغرِب في أخبار الأندلُس والمَغرِب** لابن عِذاري، تحقيق، ليفي بروفنسال، باريس، 1930، أعادت نشره دار الثقافة في بيروت: 3/ 296، 297، 298؛ مجهول المؤلف، **الرسالة الشريفية إلى الأقطار الأندلُسية**، نُشرت ملحقاً لكتاب **تاريخ افتتاح الأندلُس** لابن القُوطِيَّة، تحقيق، خوليان رايبيرا، مدريد، 1926: 197 ـ 200؛ مجهول المؤلف، **فتح الأندلُس**، نشر، دون خواكين دي كونثاليث، الجزائر، 1889: 13؛ الغَسّانيّ، **رحلة الوزير في افتكاك الأسير**، مخطوط المكتبة الوطنية في مدريد، رقم (5304) الورقة: 99 ـ 102، وطبعة ألفريد البستاني، طنجة، 1940: 111؛ بالنثيا، **تاريخ الفكر الأندلُسي**، تحقيق، حسين مؤنس، القاهرة، مكتبة النهضة المصرية، 1955: 212؛ روزنتال، **علم التاريخ عند المسلمين**، ط2، ترجمة، صالح أحمد العلي، بيروت، مؤسسة الرسالة، 1984: 224، [صدرت طبعة جديدة عن دار المدار الإسلامي، بيروت، 2009]؛

Pons Boigues, *Los Historidores y Geografos Arabigo-Espanoles*, Amsterdam,1972, reprint of Madrid edition, 1898: 171; Sanchez-Albornoz, "Precisiones sobre Fath al- Andalus", *Revista del Instituto de Estodios Islamicos*, IX, Madrid, 1961-62: PP 18-20؛ عنان، **دول الطوائف**، ط2، القاهرة، مكتبة الخانجي، 1969: 43 ـ 44؛ محمود عليّ مكي في «تعليقه» على نص كتاب **المقتبس**، بيروت، دار الكتاب اللبناني، 1973: 580 هامش رقم 463)؛ عبد الواحد ذنون طه، «موارد تاريخ ابن عذاري المَرّاكُشيّ عن الأندلُس من الفتح إلى نهاية عصر الطوائف»، **مجلة المجمع العلمي العراقي**، ج4/ م37، بغداد، 1986: 351 ـ 353؛ عبد الواحد ذنون طه، **نشأة تدوين التاريخ العربي في الأندلُس**، بغداد، دار الشؤون الثقافية العامة، 1988: 21 ـ 22، [صدرت طبعة جديدة عن دار المدار الإسلامي، بيروت، 2009]

10 ـ أحمد بن عُمَر العُذْري (393 ـ 478هـ/ 1002 ـ 1085م):

أبو العبّاس أحمد بن عُمَر بن أنَس بن دلهاث العُذْري الدلائي، مُحدِّث، جغرافي، مؤرخ. ينتسب إلى قبيلة عُذْرة العربية التي استقرّت في الأندلُس بعد الفتح. وكانت قرية دَلاية (Dalias) التي تقع في محافظة المَريَّة (Almeria) الحالية من أهم مراكز استقرار هذه القبيلة، وإليها تعود نسبته «الدلائي»، أو ابن الدلائي. ولد العُذْري في اليوم الرابع من ذي القعدة سنة 393هـ/ 1002م، وتلقّى تعليمه الأولي في قريته. وعندما بلغ الرابعة عشرة من عمره، رحل مع أبويه إلى المشرق لأداء فريضة الحج سنة سبع وأربعمائة هجرية، وأقام في مكة المكرمة ما يقارب التسع سنوات، سمع فيها الحديث كثيراً من أهل الحجاز، ومن جماعة من المُحدِّثين من أهل العراق وخراسان. وكان الحافظ أبو ذر عبد بن أحمد الهروي، أحد أولئك الشيوخ، وقد سمع عليه **صحيح البخاري** مرات عديدة، ولم يكن له سماع بمصر.

وبعد رجوعه إلى الأندلُس، عُرف العُذْري برواية الحديث وإقرائه وضبطه. وكان موثوقاً لدى المهتمين بهذا العلم، جليل القدر، عالي الإسناد. ومع ذلك، فقد واظب على الاستماع، وكتابة الحديث عن عدد كبير من المشايخ المشهورين في الأندلُس، منهم على سبيل المثال لا الحصر، أبو عُمَر أحمد بن محمّد بن عفيف (ت 420هـ/ 1029م)، الذي كان له إلمام بالحديث والتاريخ، والقاضي

يونس بن عبد اللّه بن مغيث، قاضي الجماعة في قُرطُبَة، ومن أعيان أهل العِلم، والمهلب بن أحمد بن أسيد بن أبي صُفرة (ت بعد سنة 420هـ/ 1029م)، وهو من الفقهاء المُحدِّثين بالأندلُس. وقد سمع من العُذْري أبو عُمَر يُوسُف بن عبد البر النمري (ت 463هـ/ 1071م)، وأبو محمّد عليّ بن سعيد بن حَزْم الأندلُسي (ت 456هـ/ 1063م)، وأبو عبد اللّه بن محمّد بن أبي نصر الحُمَيْدي (ت 488هـ/ 1095م)، وأبو عُبَيْد عبد اللّه بن عبد العزيز البكري (ت 478هـ/ 1094م)، وجماعة آخرون من كبار الأعيان والشيوخ في عصره. وقد عاش العُذْري حتى جاوز الثمانين من عمره، وتوفي في آخر شهر شعبان من سنة 478هـ/ 1085م، ودفن في مقبرة الحوض في مدينة المَريَّة، وصلّى عليه ابنه أَنَس، بتقديم من حاكم المدينة المعتصم باللّه محمّد بن صمادح.

لقد أشار الجغرافيون العرب من أمثال أبي عُبَيْد البَكْري، وأبي عبد اللّه محمّد الإدريسي (ت 560هـ/ 1160م)، وياقوت الحموي (ت 626هـ/ 1228م)، إلى اهتمام العُذْري بالجغرافية. كما ذكر بعضهم كتابه عن **المسالك والممالك**، فأسماه الإدريسي وياقوت **بنظام المرجان في المسالك والممالك**. لكن لم يتطرق غير هؤلاء ممن ترجم للعذري إلى اهتمامه بالتاريخ أو بالجغرافية أو التأليف فيهما. بل كان التركيز على اهتمامه بعِلم الحديث، والسماع والرواية. وربما يعود السبب في ذلك، كما يرى حسين مؤنس، إلى أن الناس في ذلك الوقت كانوا لا يرون الاشتغال بالجغرافية وعلوم الأوائل والفلسفة ما يستحق الذكر بين أعمال هؤلاء العلماء (**تاريخ الجغرافية والجغرافيين**: 532). ويبدو أن عناية العُذْري كانت تنهض بالمقام الأول على إقراء أمهات كتب الحديث، ولاسيما **الصحيحين**، أكثر من نهوضها على التأليف في علم الحديث وفروعه المختلفة. ولدينا أدلة كثيرة في تراجم معاصريه من أهل القرن الخامس للهجرة/ الحادي عشر للميلاد، يَرِدُ فيها ذكر سماعهم **الصحيحين** عليه. ومع ذلك فقد وردت إشارات إلى بعض المؤلفات للعُذْري في مجال علم الحديث، لكنها لا تشكّل إلا جزءاً يسيراً تغلب عليه الرواية. وقد ذكر له ابن خير الإشبيلي كتابَيْن، أحدهما هو: **فهرسة** لشيوخه، وثانيهما: **افتضاض أبكار أوائل الأخبار**، الذي يدلّ عنوانه على أنه كتاب في موضوع التاريخ، لكنه، وكما يُفهم مما ذكره ابن خير، كان عبارة عن مختارات منتقاة من كتب الحديث تتصل بالقضايا الفِقهيّة التي ظهرت في عهد الرسول صلّى

اللّه عليه وسلّم. وللعُذْري كتاب آخر أشار إليه ياقوت الحموي، عنوانه : **أعلام النبوة**. وربما كان هو الكتاب نفسه الذي يسميه ابن العماد الحنبلي **بدلائل النبوة**. ولم تصلنا هذه الكتب، كما لم يصل إلينا إلا «قطعة صغيرة» من كتاب العُذْري الجغرافي التاريخي : **ترصيع الأخبار وتنويع الآثار والبستان في غرائب البلدان والمسالك إلى جميع الممالك**. ولا تجاوز هذه القطعة عشر الكتاب الأصلي، يدور معظم أخبارها عن الأندلُس، وقد قام عبد العزيز الأهواني بتحقيق هذه القطعة، ونشرها في مدريد عام 1965.

ويتبيَّن من الأجزاء المتبقية من كتاب العُذْري، أنه كتاب جغرافية وتاريخ في آن، فهو يمزج التاريخ بالجغرافية على عادة المؤلفين الأندلُسيين الذين ساروا على نهج أحمد بن محمّد الرَّازي (ت 344هـ/ 955م)، الذي كان أول من وضع هذه القاعدة، فسار عليها مؤرخو الأندلُس بعد ذلك. ومن هؤلاء المؤرخين، أحد المعاصرين للعُذْري، وهو أحمد بن سعيد بن أبي الفَيّاض (ت 459هـ/ 1066م). فقد عاش الاثنان في عصر واحد تقريباً، وسكنا المدينة نفسها، أي المَريّة، ولابد من أنهما قد التقيا، وأثّر كل منها بالآخر، ولاسيما في اتجاههما نحو التاريخ والجغرافية. لكن صفة الجغرافية تغلُب على العُذْري أكثر من التاريخ. وتتصف المعلومات الجغرافية التي يقدمها بالعمق، ولا تعتمد على المادة المدوَّنة في الكتب وحدها، بل على انطباعاته الشخصية كذلك.

ويتلخص منهجه الجغرافي، في أنه قسّم كتابه إلى ما يشبه الفصول، كل فصل يدور حول كُورَة من كُوَر الأندلُس. ويبدأ بذكر مكان الكُورَة من التقسيم الإداري والكنسي السابق في عهد الدولة الرومانية، ثم يذكر الطريق من قاعدة الكُورَة السابقة إلى قاعدة الكُورَة التي يتحدث عنها، ثم يلي ذلك الكلام على المدن التابعة للكُورَة الواحدة، معتمداً على ما أخذه من أحمد بن محمّد الرَّازي، ثم يضيف من عنده تفصيلات في غاية الأهمية تدلّ على اطّلاع ومعرفة ومشاهدة. وأهم ما في جغرافية العُذْري ذكره لأقاليم كل كُورَة وأجزائها، وهو يذكر في الغالب عدد القرى في كل إقليم، ومقدار الضرائب المقرّرة عليه، ويفصّل فيها تفصيلاً كبيراً يدلّ على أنه كان مطّلعاً على سجلات الدولة وينقل عنها. الأمر الذي يدلّ على أنه ربما عمل في الإدارة، وتناولت يده هذه الأوراق، ونظر فيها، أو

يكون على الأقل قد اتصل بأشخاص لهم هذه الصفة، ونقل عنهم هذه البيانات. ولهذا فإن كتاب العُذْري بشكله الحالي الذي وصل إلينا، يُعدّ أوسع ما لدينا في صفة الأندلُس وجغرافيّتها، سواءً من حيث الطريقة التي سلكها العُذْري في تأليفه، أم من حيث المادة التي ضمنها إياه، فضلاً عن دقته في التحديد، وضبطه في رسم الأعلام. (مؤنس، **تاريخ الجغرافية**: 90 ـ 91).

أما التفاصيل التاريخية الخاصة بالمواضيع التي يصفها، فتتميّز بالدقة، وهي في الغالب مأخوذة عن تاريخ أحمد بن محمّد الرّازي، وابنه عيسى (ت379هـ/ 989م)، لكنه يكمل في أحيان كثيرة الأخبار إلى أيامه. وتتميّز مادته التاريخية بشكل عام بتوافر معلومات قيّمة جداً عن استقرار العرب والبربر في الأندلُس. ومما يزيد في قيمة هذه المعلومات، أن قسماً منها لم يَرِدْ في بقية المصادر بالتفصيل الذي ذكره العُذْري. ونشير على سبيل المثال إلى معاهدة الصلح التي عقدها القائد عبد العزيز بن مُوسى، والحاكم القُوطي لمنطقة تدمير المعروف بـ (Theodimer)، والتي تُعدّ من أهم الاتفاقيات التي عقدها المسلمون في الأندلُس، فالعُذْري هو أقدم من أشار إليها من الكُتّاب العرب. (**ترصيع الأخبار**: 4 ـ 5).

وبالإضافة إلى أحمد الرّازي وابنه عيسى، استفاد العُذْري من مصادر أخرى لكتابة مادته التاريخية. منها مصادر أجنبية، مثل كتاب التاريخ لهروشيش (Orosio) الذي ترجم للحَكَم المستنصر باللّه عندما كان وليًا للعهد. وتشير شُروح العُذْري لتفاسير أسماء المدن التي يتحدث عنها، وعن أصولها إلى اعتماده على هذا الكتاب. ومن الكتب القديمة الأخرى التي اعتمدها العُذْري، كتاب سان إزيدور الإشبيلي (St. Isidoro of Seville) عن **تاريخ القُوط والوندال والسويف**. وقد وصف العُذْري هذا المؤلف باسم **أشيذر**، وكلامه عن القوط يكاد يتفق تماماً مع ما جاء من حقائق تاريخية في كتاب سان إزيدور الإشبيلي. ويشير العُذْري أيضاً إلى أخذه معلومات مباشرة عن أشخاص يذكر أسماءهم أحياناً، ويُغفلها أحياناً أخرى. ويوضح كيفية حصوله على بعض الأخبار بالتفصيل، وذلك من طريق التحقيق الشخصي والاستقصاء من العارفين ببواطن الأمور ممن عاصروه.

ويراعي العُذْري التسلسل الزمني في ذكر الأحداث، لكنه يسير أحياناً في كتابة التاريخ وفق السنوات، ولاسيما في ذكر الحادثة الواحدة، فيلاحق تطورها في

al-maktabeh
http://al-maktabeh.com

عهود الأمراء المتتابعين. وفي أثناء السرد التاريخي، لا ينسى العُذْري أن يسجل الكوارث الطبيعية التي حلّت بالبلد الذي يؤرخ له. يضاف إلى ذلك أن له نظرات في المجتمع الذي يتحدث عنه، فهو لا يهمل المسائل الاجتماعية، بل يهتمّ بها، ويعطي انطباعه عن المدينة وأهلها، فيصف أهل بَلَنْسِية (Valencia) مثلاً بقلّة الهمّ، ويقول: «. . . لا تكاد ترى فيها أحداً من جميع الطبقات إلا وهو قليل الهم، مليئاً كان أو فقيراً، قد استعمل أكثر تجارها لأنفسهم أسباب الراحات والفُرج. . .». (**ترصيع الأخبار**: 18).

والعُذْري كمعظم مؤرخي القرون الوسطى، يلتزم في غالب الأحيان جانب الحكام، فنراه يميل إلى الأسرة الأموية التي حكمت الأندلُس، ويستعمل لقب «الإمام» حين يذكر أسماء معظم أمرائها تقريباً، لأن الأمير في نظره هو حامي المسلمين، وهو الإمام الشرعي. ويتميّز العُذْري بالدقة في ذكر التواريخ، حتى إنه يذكر الحادثة أحياناً باليوم والشهر والسنة، ويستعمل التاريخ الهجري عادةً، لكنه يقرنه في بعض الحالات بالتواريخ الميلادية، ويكون استعماله للتاريخ الميلادي مضبوطاً. أما الأسلوب الذي استخدمه العُذْري في الكتابة، فهو أسلوب جميل يتميّز بعبارات موجزة، لكن فيها حبكاً وطراوة، وهي تعطي للحادثة التاريخية مغزاها، بحيث تمكّن القارئ من فَهمها بسهولة ويسر. ويخلو كتاب العُذْري من الشعر باستثناء قصيدة واحدة وُجدت في صفحة مستقلة، وهي في مدح الخليفة الناصر لدين الله، ولا تُعرف صلة هذه القصيدة بما قبلها أو بعدها، وأغلب الظن أنها ليست من نظم العُذْري.

المصادر والمراجع:

العُذْري، **نصوص عن الأندلُس** من كتاب **ترصيع الأخبار وتنويع الآثار والبستان في غرائب البلدان والمسالك إلى جميع الممالك**، تحقيق، عبد العزيز الأهواني، مدريد، مطبعة معهد الدراسات الإسلامية، 1965: 4 ـ 5، 10، 15 ـ 16، 18، 56 ـ 57، 97، 98 (مع «مُقَدِّمة» التحقيق)؛ ابن حَزْم، **جمهرة أنساب العرب**، تحقيق، عبد السلام محمّد هارون، ط4، القاهرة، دار المعارف، 1962: 450؛ الحُمَيْدي، **جَذوة المُقتبِس**، القاهرة، الدار المصرية للتأليف والترجمة، 1966: 136 ـ 137 الترجمة (236)؛ الإدريسي، **نزهة المشتاق في اختراق الآفاق**،

طبعة روما : 5؛ ابن خير، **فهرسة ما رواه عن شيوخه**، تحقيق، فرانسشكة قدارة زيدين وخليان ربارة طرغوة، بيروت، دار الآفاق، عن طبعة سَرَقُسطة، 1893: 222، 430، 473، 510؛ ابن بَشْكُوَال، كتاب **الصِّلة**، القاهرة، الدار المصرية للتأليف والترجمة، 1966: 1/ 66؛ الضَّبّيّ، **بُغية المُلتَمِس**، نشر فرانسسكو كوديرا، مدريد، 1884: 182 ـ 183 الترجمة (446)؛ ياقوت، **مُعجَم البلدان**، بيروت، دار صادر، 1977، مادة: دلاية :2/ 460؛ الذهبي، **العِبر في خبر من غَبر**، تحقيق، أبو هاجر محمّد السعيد زغلول، بيروت، دار الكتب العلمية (د.ت) : 2/ 338؛ الصفدي، **الوافي بالوفيات**، باعتناء إحسان عَبّاس، فيسبادن ـ بيروت، دار صادر، 1969: 7/ 259 ـ 260؛ السخاوي، **الإعلان بالتوبيخ لمن ذَمّ أهل التاريخ**، منشور مع كتاب **علم التاريخ عند المسلمين**، لفرانتز روزنتال، ط2، ترجمة، صالح أحمد العلي، بيروت، مؤسسة الرسالة، 1983: 659 ونص الكتاب (371 ـ 725) [صدرت طبعة جديدة عن دار المدار الإسلامي، بيروت، 2009]؛ ابن العماد الحنبلي، **شذرات الذهب في أخبار من ذهب**، ط2، بيروت، دار المسيرة، 1979: 3/ 357 ـ 358؛ Pons Boigues, *Los Historiadores Y Geografos Arabigo-Espanoles*, Amsterdam, 1972, reprint of Madrid edition, 1898; 158-159; C. Brokelmann, *Geschichte der Arabischen Litteratur*, Leiden, Brill, 1938, S. I, p.581؛ كراتشكوفسكي، **تاريخ الأدب الجغرافي العربي**، ط2، ترجمة، صلاح الدين عُثمان هاشم، بيروت، دار الغرب الإسلامي، 1987: 295 ـ 296؛ حسين مؤنس، **تاريخ الجغرافية والجغرافيين في الأندلس**، ط2، القاهرة، مكتبة مدبولي، 1986: 81 ـ 96؛عبد الواحد ذنون طه، «أحمد بن عُمَر العُذْري ودوره في كتابة التاريخ العربي الإسلامي في الأندلُس»، **مجلة المؤرخ العربي**، العدد، 36، بغداد، 1988: 169 ـ 179.

11 ـ محمّد بن خلف بن عَلْقَمة الصدفي (428 ـ 509 هـ/ 1036 ـ 1115 م):

أبو عبد اللّه محمّد بن خلف بن حسين بن إسماعيل الصدفي، يُعرف بابن عَلْقَمة، مؤرخ وأديب. ولد في مدينة بَلَنْسِية (Valencia) بالأندلُس سنة 428هـ/ 1036م، وعاش فيها، وتأدب على شيوخ أهل بلده. وصحب من معاصريه أبا محمّد بن حَيّان الأروشي. وكان شاعراً وناثراً، انتحل الكتابة في أحد الدواوين في شرق الأندلُس، لكنه لم يكن بالمُبرِّز في الكتابة، وبحسب قول أبي عبد اللّه

محمّد بن الأَبّار (ت 658هـ/ 1260م) كان قاصراً في نظمه ونثره. ومع ذلك فقد نبغ ابن عَلْقَمة في كونه مؤرخاً، سجل لنا أحداث بلده بَلَنْسِية. ولا تتوافر لدينا معلومات أخرى عن حياته، وثقافته، وتلاميذه، إلا أن ابنه عبد اللّه قد روى عنه، ولاسيما كتابه المشهور عن تاريخ مدينته. ومن طريق هذه الرواية وصلت بعض أجزاء هذا الكتاب إلى ابن الأَبّار، حدّثه بها ابن عات، وابن سالم عن أبي الحسن بن فزارة عن عبد اللّه الابن. وقد توفي ابن عَلْقَمة يوم الأحد الخامس والعشرين لشوال سنة 509هـ/ 1115م.

قصّ ابن عَلْقَمة أخبار مدينة بَلَنْسِية في أيامه، ووصف ما حاق بها على أيدي الإسبان، وذلك في كتاب أسماه **البَيان الواضح في الملم الفادح**. وقد أشار لسان الدين ابن الخطيب إلى هذا الكتاب ضمن التواريخ التي أُلفت في المدن الإسلامية، وأسماه : **تاريخ بَلَنْسِية لابن عَلْقَمة (الإحاطة**: 1/ 183). كما ذكره حاجي خليفة بعنوان: **تاريخ بَلَنْسِية من بلاد الأندلُس**. وقد احتوى هذا الكتاب فضلاً عن أخبار بَلَنْسِية، على حوادث أخرى، وتراجم لعلماء، حيث اعتمده ابن الأَبّار في تدوين بعض تراجمه لعلماء بَلَنْسِية. (**التكملة**: 1/ 33، 286). بينما نقل عنه محمّد بن أحمد المَقّري التِلِمْساني خبراً عن سقوط مدينة طُلَيطُلة Toledo سنة 478هـ/ 1085م، وتاريخ معركة الزلاقة في السنة التي تليها. (**نَفح الطِّيب**: 4/ 354). ومن المحتمل أن هذه الحوادث الأخيرة كانت مُدوَّنة في تأليف آخر لابن عَلْقَمة، ويؤيّد هذا أن ابن الأَبّار أشار عند ذكره لإسناد ابنه عبد اللّه، إلى أن لأبيه تأليفاً آخر سواه بهذا الإسناد أيضاً.

ولنرجع الآن إلى كتاب **البَيان الواضح في الملم الفادح**، الذي احتفظ لنا المؤرخ ابن عِذاري المَرّاكُشيّ (كان حيًّا سنة 712هـ/ 1312م) بعدد كبير من نصوصه التي تدوّن أحداث بَلَنْسِية، وحصارها، ومن ثم احتلالها من قِبل رودريغو دياث (Rodrigo Diaz)، الذي يُعرف أيضاً باسم السيد الكبيطور، أو القنبيطور، سنة 487هـ/ 1094م. فقد نقل عنه فصولاً عديدة تشمل المواضيع الآتية:

«الكبيطور في بَلَنْسِية» و «ثورة القاضي ابن جحاف ببَلَنْسِية» و «مقتل القادر حفيد ابن ذي النـــون» و «ذِكر تغلُّب العدوّ على بَلَنْسِية» و«ذِكر غدر لذريق اللعين لمحلّة المسلمين» و «ذِكر حرق القاضي أبي أحمد بن جحاف ومحنة أهله وقرابته ومحنة أهل بَلَنْسِية». (**البَيان المُغرِب**: 4/ 31 ـ 41).

وقد أشار ابن عِذاري إلى محمّد بن عَلْقَمة مرتين في أثناء روايته لهذه الأحداث؛ الأولى، حين ابتدأ بالحديث عن وجود الكبيطور في بَلَنْسِية وتضييقه على أهلها، ثم انتقاله إلى سَرَقُسطة (Zaragoza) في شعبان عام 485هـ/ 1092م. والثانية، حين وصف المحنة التي حلّت بأهل المدينة في سنة 487هـ/ 1094م، نتيجة حصار الكبيطور لها.

وعلى الرغم من انتقاد ابن عبد الملك المَرّاكُشيّ لهذا الكتاب بشكل مُبطّن، وذلك بتعليقه بعد ذكر العنوان: **البَيان الواضح**، بعبارة «ليس بذلك»، دلالة على أنه عنوان يُلزِم مؤلفه بعهد لم يفِ به (**الذيل والتكملة**: 6/ 184)، مما يمكن أن نستَنتج معه بأن الكتاب كان مضطرباً في نظامه، رديئاً في طريقة عرضه. وقد يكون هذا صحيحاً، لأن ابن عَلْقَمة لم يكن مُبرّزاً في الكتابة، كما أشار إلى ذلك ابن الأَبّار. لكن هذا الكتاب، يُعدُّ على درجة كبيرة من الأهمية، لما تضمّنه من نصوص نادرة، ودقة في وصف الأحداث وتطورها، بحسب إمكانية المؤلف وقدرته في الكتابة. فمما يُلاحظ على نصوصه في هذا الكتاب أنه كان يهتم بتوضيح الحالة الاقتصادية للمدينة في أيام المحنة، ويُعطي معدّلاً لارتفاع الأسعار شهراً بشهر. كذلك وصف حالة الناس بكل طبقاتهم الاجتماعية، ومواقفهم المتباينة، ما يساعد في إلقاء الضوء على الأحداث المؤلمة التي حلّت بهذه المدينة في أواخر القرن الخامس للهجرة/ الحادي عشر للميلاد. ومما يزيد في قيمة هذه النصوص، وما كتبه ابن عَلْقَمة بشكل عام، أنها رواية شاهد عيان عايش الأحداث يوماً بيوم، ودوّنها بأمانة تامة. وقد جاء في «قطعة» من كتاب لمؤرخ مجهول، يُعتَقَد أنها جزء من كتاب **البَيان المُغرِب**، نشرها المستشرق الفرنسي ليفي بروفنسال (Levi-Provencal)، في كتابه **الإسلام في المَغرِب والأندلُس** (ص 232 ـ 236)؛ أن ابن عَلْقَمة، شهد هذه المواطن، وكان في الحصار، وأنه أَلّف في أمر حصارها كتاباً «يُبكي القارئ ويُذْهِل العاقل».

ولا نجد لنصوص هذا الكتاب أثراً في المصادر الأخرى، باستثناء رواية لسان الدين ابن الخطيب عن ابن جحاف، والسيد القمبيطور، وأحداث بَلَنْسِية، وهي منقولة عن ابن عِذاري، لكنه لم يعزُها إلى ابن عَلْقَمة، ولا إلى ابن عِذاري، على عادته في عدم ذكر مصادره إلا فيما ندر. (**أعمال الأعلام**: 203 ـ 205). كذلك ما جاء في بعض النصوص العربية التي عثر عليها ليفي بروفنسال، ونشرها «ذيلاً» مجهول

المؤلف للجزء الثالث من كتاب **البَيان المُغرِب** الخاص بعصر الطوائف. وهي أيضاً على الأغلَب جزء من **البَيان**، حيث ترد معلومات عن تولي ابن جحاف لبَلَنْسِية، وحصار (القنبيطور) لها، والضائقة التي حلّت بالمدينة. (**البَيان المُغرِب**: 305 ـ 306).

ومما يزيد في أهمية هذا الكتاب أيضاً أن رواية مؤلفه ابن عَلْقَمة عن حصار بَلَنْسِية، واستيلاء السيد عليها، قد نُقِلت مباشرة إلى **المُدَوَّنة العامة الأولى لتاريخ إسبانيا** *Primera Cronical General* التي كُتبت في النصف الثاني من القرن الثالث عشر للميلاد/ السابع للهجرة، في عهد الملك الفونسو العاشر (العالم) (Alfonso X El-Sabio)، حيث إن الجزء الأخير من هذه المُدَوَّنة، أي الجزء الذي يختص بحياة السيد رودريغو دياث، وحصار بَلَنْسِية، واستيلائه عليها، ما هو في الواقع إلا «تأليف تاريخي لمؤلف مسلم من أهل بَلَنْسِية»، كما لاحظ ذلك المستشرق الهولندي رينهارت دوزي R. Dozy. وأيّده في هذا الأمر أيضاً المستشرق الإسباني منندیث بيدال في كتابه عن **إسبانيا في عهد السيد**. وقد تأكد هذا الأمر بشكل لا يقبل الشك، بعد عثور ليفي بروفنسال على نصوص عربية من كتاب **البَيان المُغرِب**، تُثبت هذه المسألة، وتنصُّ صراحة على اسم كاتب هذا التأليف، وهو محمّد بن عَلْقَمة. ويقرّر بروفنسال في مقال كتبه بهذا الخصوص، عن «استيلاء السيد على بَلَنْسِية في المصادر الإسلامية والأصل العربي للمُدَوَّنة العامة لتاريخ إسبانيا»، ونُشر ضمن كتابه: **الإسلام في المَغرِب والأندلُس** (ص200 ـ 242)، بأن «نصَّ» ابن عَلْقَمة يطابق تماماً ما جاء في **المُدَوَّنة العامة الأولى**، وهو منقول نقلاً حرفياً. وبعد مقابلة النص القشتالي بالنص العربي يتبيّن صحة ما ذهب إليه دوزي منذ أكثر من قرن من الزمن عن صلة القربى القوية القائمة بين **المُدَوَّنة** و«نص» ابن عَلْقَمة. وهكذا قُدّرَ لهذا الكتاب الذي لم يصلنا كاملاً بنسخته العربية، أن يُترجم ويظهر للوجود في **المُدَوَّنة العامة لتاريخ إسبانيا**، على الرغم من وجود نقص وحذف، واضطراب أحياناً في نقل المعلومات عن ابن عَلْقَمة. ولاشك في أن كُتّاب المُدَوَّنات القشتالية في القرن الثالث عشر للميلاد قد حذفوا بعض الحقائق التي تنتقص من قيمة السيد القنبيطور، أو خفّفوا كثيراً من حدّة لهجتها على أقل تقدير.

المصادر والمراجع:

ابن الأبّار، **التكملة لكتاب الصّلة**، نشر، عزت العطار الحسيني، القاهرة،

مطبعة السعادة، 1955 ـ 1956: 1/ 23، 286، 411 ـ 412 الترجمة رقم (1165)؛ ابن عِذاري المَرّاكُشيّ، **البَيان المُغرِب في أخبار الأندلُس والمَغرِب (قطعة من تاريخ المرابطين)**، تعليق، إحسان عَبّاس، بيروت، دار الثقافة، 1967: 4/ 31، 38 ـ 39، 41، **والملحق** رقم (4): 147 ـ 148؛ مجهول المؤلف، **ذيل: في أخبار دول وملوك الطوائف بجزيرة الأندلُس**، نشره ليفي بروفنسال **ملحقاً للبَيان المُغرِب**، ج3، باريس، 1930، وأعادت دار الثقافة نشره في بيروت: 305 ـ 306؛ ابن عبد الملك المَرّاكُشيّ، **الذيل والتكملة لكتابي الموصول والصِّلة**، تحقيق، إحسان عَبّاس، بيروت، دار الثقافة، 1973: 6/ 184؛ لسان الدين ابن الخطيب، **الإحاطة في أخبار غَرناطة**، تحقيق، محمّد عبد اللّه عنان، ط2، القاهرة، مكتبة الخانجي، 1973: 1/ 83؛ ابن الخطيب، **أعمال الأعلام**، نشره ليفي بروفنسال بعنوان: **تاريخ إسبانيا الإسلامية**، ط2، بيروت، دار المكشوف، 1956: 203 ـ 205؛ الصفدي، **الوافي بالوفيات**، باعتناء، س. ديدرينغ، دمشق، المطبعة الهاشمية، 1953: 3/ 45؛ المَقّري، **نَفح الطِّيب من غصن الأندلُس الرطيب**، تحقيق، إحسان عَبّاس، بيروت، دار صادر، 1968: 4/ 354؛ حاجي خليفة، **كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون**، إستانبول، 1941 ـ 1943، أعادت طبعه بالأوفست مكتبة المُثَنّى في بغداد: 1/ 289؛ بالنثيا، **تاريخ الفكر الأندلُسي**، ترجمة، حسين مؤنس، القاهرة، مكتبة النهضة المصرية، 1955: 116؛ ليفي بروفنسال، **الإسلام في المَغرِب والأندلُس**، ترجمة السيد محمود عبد العزيز سالم وصلاح الدين حلمي، مكتبة نهضة مصر ومطابعها، 1956: 200 ـ 213؛ R. Dozy, *Le Cid de nouveaux documents: Recherches Sur L'Histoire et la Litterature de L'Espagne pendant le moyen âge*, Paris-Leiden, 1881; Menendez Pidal, *La Espana del Cid*, Madrid, 1926; Pons Boigues, *Los Historiadores Y Geografos Arabigo-Espanoles*, Amsterdam, 1972, reprint of Madrid edition 1898; كحالة، **مُعجَم المؤلفين**، دمشق، مطبعة الترقي، 1957: 9/ 283؛ عبد الرحمن عليّ الحجي، **التاريخ الأندلُسي**، دمشق ـ بيروت، دار القلم، 1976: 378؛ عبد الواحد ذنون طه، «موارد تاريخ ابن عِذاري المَرّاكُشيّ عن المرابطين والمُوَحِّدين في المَغرِب والأندلُس»، **مجلة المجمع العلمي العراقي**، ج3 / م40، 1989: 417 ـ 420.

12 ـ يحيى بن محمّد بن يُوسُف الأنصاري الغَرناطي، ابن الصيرفي: (ت570هـ/1174م)

أبو زكريا يحيى بن محمّد بن يُوسُف، يُكنّى بأبي بكر، ويُعرف بابن الصيرفي الأنصاري الغَرناطي، مُحدّث، مؤرخ، لغوي، أديب، كاتب، وشاعر. عاش في مدينة غَرناطة (Granada) في عهد الدولة المرابطية، وأخذ العلم عن كبار علماء عصره بالأندلُس، أمثال أبي الحسن بن مغيث، وأبي مروان بن بونة، وأبي بكر محمّد بن عبد اللّه المعروف بابن العربي (ت 543هـ/ 1148م)، وغيرهم. قيّد الحديث والتاريخ، وكان من أهل المعرفة بالعربية والآداب، ومن الكُتّاب المُجيدين، والشعراء المُكثرين. عمل كاتباً ووزيراً للأمير المرابطي أبي محمّد تاشِفين بن عليّ بن يُوسُف، الذي حكم الأندلُس من سنة 520 ـ 531هـ/ 1126 ـ 1136م. ولهذا فقد كان مُقرّباً من السلطة، وعلى اتصال بديوان الكتابة، وبتصرفه الكثير من الوثائق التي نفعته دون شك في تدوين مؤلفاته التاريخية. ويشير أبو عبد اللّه محمّد بن الأبّار (ت 658هـ/ 1260م)، وهو أقدم من ترجم له، إلى أنه توفي في مدينة أوريولة (Orihuela) من أعمال مُرسِيه (Murcia) سنة 557هـ/ 1161 ـ 1162م عن تسعين سنة. أما أبو جعفر أحمد بن الزُبير، المتوفى سنة 708هـ/ 1308م، فيشير إلى أن وفاته كانت في غَرناطة في حدود سنة 570هـ أو قبل ذلك عن سن عالية، وهو الأرجح، لأنه عاش وعمل في غَرناطة، ونسب إليها.

ألّف ابن الصيرفي تاريخاً للدولة المرابطية بعنوان: **الأنوار الجليّة في أخبار الدولة المرابطية**. وهذا الكتاب الذي يُسمّى أيضاً **بتاريخ ابن الصيرفي**، مفقود في الوقت الحاضر، وإن كان المستشرق الإسباني بونس بويجس Pons Boigues قد أشار إلى وجوده في تونس، وإلى استفادة كل من المستشرقين رينهارت دوزي (R.Dozy) وفرانسسكو كوديرا (F.Codera) منه. وقد امتدح ابن الزُبير كتاب ابن الصيرفي بقوله: «وألّف كتاباً في تاريخ الأندلُس وأمرائها ضمّنه عجائب وأجاد فيه كل الإجادة... بلغ فيه إلى سنة 530 ثم أوصله إلى قريب من وفاته». (**صلة الصِلة**: 183). كذلك حثّ المؤلف المجهول لكتاب **مفاخر البربر**، على قراءته، للاستزادة من أخبار المرابطين قائلاً: «ومن أراد الوقوف على أخبارهم وسِيَرِهِم فليطالع كتاب ابن الصيرفي الذي ألّفه في دولتهم، وسمّاه **بالأنوار الجليّة في الدولة المرابطيّة**، وهو كتاب ممتع ومفيد». (**مفاخر**: 59).

كان هذا الكتاب معروفاً لدى المؤرخين المعاصرين لابن الصيرفي، ومن جاء بعدهم في القرنين أو القرون الثلاثة التالية. وممن اعتمد هذا الكتاب في تدوين أخبار المرابطين، على سبيل المثال، أبو العبّاس أحمد بن محمّد بن عِذاري المَرّاكُشيّ (كان حيًّا سنة 712هـ/ 1312م)، الذي نقل منه في أثناء حديثه عن تاشِفين بن عليّ سنة 523هـ/ 1128 ـ 1129م، كما أشار إلى اسم مؤلفه أيضاً (**البَيان المُغرِب**: 4/ 80). وقد اعتمده بعد ذلك بشكل كبير، وأشار إلى عنوانه، حيث أسماه: **الأنوار الجليلة في محاسن الدولة المرابطية (البَيان المُغرِب**: 4/ 74). ولاشك في أن كلمة (الجليلة) هي تحريف لكلمة (الجليّة) التي وردت في المصادر الأخرى بصيغتها الصحيحة. وقد اكتفى ابن عِذاري في كثير من الأحيان، بالإشارة إليه بقوله: قال ابن الصيرفي، أو هكذا ذكر ابن الصيرفي، أو قال أبو بكر يحيى بن محمّد الأنصاري. كما نقل عنه أيضاً على الأقل في موضعين، ولم يشر إليه، لكن من مقارنة النصوص مع ما جاء في كتاب **الإحاطة** لابن الخطيب، و**الحُلل الموشية** لمجهول، يتبيّن أن المصدر هو ابن الصيرفي. والكلام في أحد هذين الموضعين عن أحداث سنة 519هـ/ 1125م، حيث ورد وصف لحملة ابن ردمير (الفونسو المحارب ملك أراغون Alfonso I) على غَرناطة، وموقف أهل الذمة المعاهدين من الحملة. وقد أشار ابن الخطيب في هذا النص ثلاث مرات إلى ابن الصيرفي وكتابه، كذلك ذكره مؤلف **الحُلل الموشية** مرة واحدة. (**الإحاطة**: 1/ 108، 110، 112؛ الحلل: 93).

وينقل هذان المؤلفان عن ابن الصيرفي أيضاً أحداث غزوات أخرى لتاشِفين بن عليّ، منها ما أشار إليه ابن الخطيب في محاولته لصد الإسبان عند مهاجمتهم للنواحي الغربية للأندلُس، وانتصاره عليهم، ورجوعه منصوراً إلى غَرناطة. وابن الصيرفي في روايته هذه، يتطرق إلى تنظيمات جيش الأمير تاشِفين، ويصف مواقف الأندلُسيين، ومشاهير زَناتة، وغيرهم في مباشرة الحرب. كذلك يصف شجاعة الأمير، وطريقة قتاله، ويمتدحه في قصيدة طويلة، يحذره فيها من حيل سياسة الحروب، ويعتب على بعض القبائل التي تقاعست في القتال. (**أعمال الأعلام**: 3/ 257 ـ 263). وقد نقل مؤلف (**الحُلل الموشية**: 124 ـ 129) هذه القصيدة أيضاً، مشيراً إلى أن ابن الصيرفي كان مرافقاً للأمير في أثناء القتال، وقد هنأه بالسلامة في هذه القصيدة التي مطلعها: [**الكامل**]

يـا أيـهـا الـمـلأُ الـذي يَـتَـقَـنَّـعُ من منكم البطلُ الهُمامُ الأروَعُ
ومن الذي غدر العدوُ به دُجىً فـانـفـضَ كُـلٌّ وهـو لا يـتـزعـزعُ

ولا يقتصر تاريخ ابن الصيرفي على الحروب والغزوات، فعند ملاحظة كتاب **الإحاطة** لابن الخطيب، يتضح أنه اعتمده كثيراً في ذكر معلوماته عن تراجم بعض الشخصيات التي مرّت بغَرناطة، أو كان لها دور بها. فعلى سبيل المثال، نقل عنه في ترجمة عبد اللّه بن بلقين الزيري، آخر أمراء غَرناطة في عصر الطوائف (466 ـ 483هـ/ 1073 ـ 1090م)، أنه «كان جباناً مُغمد السيف، قلقاً، لا يثبت على ظهر... يخلد إلى الراحات، ويستوزر الأغمار». (**الإحاطة**: 3/ 380). ويظهر من التراجم الأخرى التي كان مصدرها ابن الصيرفي، أن الأخير كان يهتم بالجوانب الاجتماعية والثقافية للعلماء والشخصيات التي تحدث عنها.

ويتضح مما تقدم أهمية هذا الكتاب، لمعاصرة ابن الصيرفي للأحداث التي كتب عنها، ولأنه شارك بنفسه في هذه الأحداث. وكان مقرَّباً من الأمير تاشفين بن عليّ، ما أتاح له الاطّلاع على كثير من الأمور التي ربما لا تتيسر لغيره. وقد أدرك المؤرخون الذين أعقبوه هذه الأهمية، فأكثروا من الأخذ عنه في مواضع مختلفة. ويتميّز أسلوب ابن الصيرفي في النصوص التي بين أيدينا بمتانة الصياغة، والوضوح، ولا يبدو التكلف على عباراته، حيث إنه لم يمعن في استخدام السجع، فجاءت روايته سهلة سلسة، تشدّ القارئ إليها. وقد تجنب الاستطراد والإطناب، بل راعى أحياناً الاختصار في المواضيع التي يتحدث عنها، فيقول على سبيل المثال، بعد كلامه عن تاشفين بن عليّ، وولايته لغَرناطة سنة 523هـ/ 1129م، وما قام به من أعمال: «ولولا الاختصار لأوردنا من خلاله السنية ما يضيق عنه الرحب ولا يسعه الكتب». (ابن عِذاري، **البَيان المُغرِب**: 4/ 80).

وهناك كتاب آخر لابن الصيرفي، ورد ذكره عند ابن عِذاري بصيغتين، الأولى: كتاب **الأنباء في سياسة الرؤساء**، والثانية: كتاب **أخبار الرؤساء في الأندلُس**. ومن المرجح أن هذا الكتاب هو نفس كتاب **تقصي الأنباء وسياسة الرؤساء**، الذي ينسبه بونس بويجس، إلى ابن الصيرفي، معتمداً على ميخائيل الغزيري، ورينهارت دوزي. ويبدو أن موضوع هذا الكتاب أكثر شمولاً من كتاب **الأنوار الجلية**، لأنه ابتدأه بعهود سبقت المرابطين في الأندلُس، مثل دولة محمّد بن

عبد الجبار، ودولة بني جهور في قُرطُبَة. (**البَيان المُغرِب**: 3/ 50 ـ 51، 259). كذلك ينقل عنه ابن الخطيب بعض النصوص في أخبار دولة بني عَبّاد في إشبيلية (Sevilla)، وعن اجتماع الناس على قبر المُعْتَمِد بن عَبّاد بعد وفاته، وفي تثبيت نسب بني صمادح. (**أعمال الأعلام**/ الأندلُس: 156، 165 ـ 170، 189). لكنه في الوقت نفسه، يتضمّن أخباراً عن المرابطين، ولاسيما عن أمور جرت في مدينة إشبيلية سنة 500هـ/ 1106، وشِعراً قيل بمناسبة انتصار الأمير تاشفين على الإسبان سنة 528هـ/ 1133م (**البَيان المُغرِب**: 4/ 89 ـ 90). وتدل هذه القصائد والأشعار على قوة الملكة الشعرية عند ابن الصيرفي، الذي لم يقتصر في شعره على المدح فحسب، بل كانت له موشحات مشهورة، أورد له منها ابن سعيد المغربي، نقلاً عن والده، أبياتاً جميلة، منها: [**الكامل**]

أجْرَت دمي تَحْتَ اللِّثام لِثاما ... وسَقَتْ ولم تَدْرِ الكؤوسُ مُداما

شمْس إذا سَرَقَت معاطفَ بانةٍ ... في ثوبها سَجَعَ الحُليُّ خماما

المصادر والمراجع:

ابن الأبّار، **التكملة لكتاب الصّلة**، نشر، فرانسسكو كوديرا، مدريد، 1886: 723 الترجمة (2045)؛ ابن سعيد المغربي وأسرته، **المُغرِب في حلى المَغرِب**، تحقيق، شوقي ضيف، ط2، القاهرة، دار المعارف، 1964: 2/ 118؛ ابن الزُّبير، **صلة الصّلة**، تحقيق، ليفي بروفنسال، أعادت نشره في بيروت مكتبة خياط عن طبعة الجزائر 1937: 183؛ ابن عِذاري المَرّاكُشيّ، **البَيان المُغرِب في أخبار الأندلُس والمَغرِب**، تحقيق، ليفي بروفنسال، باريس، 1930: 3/ 50 ـ 51، 259، ج4، نشر، أمبروسي هويسي ميرندة، 1960، أعادت دار الثقافة نشرهما في بيروت: 4/ 41، 42، 49، 50 ـ 51، 60، 66، 69 ـ 73، 74، 78، 80، 89، 90 ـ 91، 93، 94 ـ 95، 96؛ مجهول، **نُبذ تاريخية في أخبار القرون الوسطى** منتخبة من المجموع المُسمّى بكتاب **مفاخر البربر**، نشر، ليفي بروفنسال، الرباط، 1934: 59؛ لسان الدين ابن الخطيب، **الإحاطة في أخبار غَرناطة**، تحقيق، محمّد عبد اللّه عنان، القاهرة، مكتبة الخانجي، 1973: 1/ 108، 110، 112، 2/ 407 ـ 415؛ ابن الخطيب، **أعمال الأعلام**/ القسم الثاني، نشره، ليفي بروفنسال بعنوان: **تاريخ إسبانيا الإسلامية**، ط2، بيروت، دار المكشوف، 1956: 156، 165

http://al-maktabeh.com

ـ 170، 189؛ ابن الخطيب، **أعمال الأعلام**/ القسم الثالث، نُشر بعنوان: **تاريخ المغرب العربي في العصر الوسيط**، بتحقيق، أحمد مختار العبادي ومحمّد إبراهيم الكتاني، الدار البيضاء، دار الكتاب، 1964: 257 ـ 260؛ مجهول، **الحُلل الموشيّة في ذكر الأخبار المَرّاكُشيّة**، تحقيق، سهيل زكار وعبد القادر زمامة، الدار البيضاء، دار الرشاد الحديثة، 1979: 93، 122 ـ 124؛ السُّيوطيّ، **بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة**، تحقيق، محمّد أبو الفضل إبراهيم، بيروت، المكتبة العصرية، 1964: 2/ 416؛ حاجي خليفة، **كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون**، إستانبول، 1941 ـ 1943، أعادت مكتبة المُثَنّى في بغداد طبعه بالأوفست: 1/ 279؛ البغدادي، **إيضاح المكنون**، إستانبول، 1947، أعادت مكتبة المُثَنّى في بغداد طبعه بالأوفست: 1/ 11، 215، 282؛ البغدادي، **هَديّة العارفين**، إستانبول، 1951، أعادت مكتبة المُثَنّى في بغداد طبعه بالأوفست: 2/ 520؛ بالنثيا، تاريخ الفكر الأندلُسي، ترجمة، حسين مؤنس، القاهرة، مكتبة النهضة المصرية، 1955: 241؛ Pons Boigues, *Los Hitoriadores Y Geografos Arabigo-Espanoles*, Amsterdam, 1972, reprint of Madrid, edition 1898: 240-241; ابن سودة، **دليل مؤرخ المَغرب الأقصى**، ط2، الدار البيضاء، دار الكتاب، 1960: 1/ 125؛ الزركلي، **الأعلام**، ط2، القاهرة، مطبعة كونستانوماس، 1955: 9/ 208؛ كحالة، **مُعجَم المؤلفين**، دمشق، مطبعة الترقي، 1957: 13/ 230؛ الهرفي، **دولة المرابطين في عهد عليّ بن يُوسُف بن تاشِفين**، بيروت، دار الندوة الجديدة، 1985: 352؛ عبد الواحد ذنون طه، «موارد تاريخ ابن عِذاري المَرّاكُشيّ»، **مجلة المجمع العلمي العراقي**، ج4/ م37، بغداد (1986): 358 ـ 359، ج3 و 4 / م40 (1989): 426 ـ 429.

13 ـ اليسع بن عيسى بن حَزْم الغافقي (ت575هـ/1179)

أبو يحيى اليسع بن عيسى بن حَزْم بن عبد اللّه بن اليسع الغافقي الجَيّاني، مُحدِّث، مُقرئ، مؤرخ، كاتب، وخطيب، أصله من مدينة جيان (Jaen) في الأندلُس. سكن أبوه المَريَّة (Almeria)، وبها نشأ. تنقَّل في مدن عدة، واستقرّ في بعضها، مثل مدينة بَلَنْسِية (Valencia)، ومالقة (Málaga). واهتم منذ صغره بعلوم القرآن الكريم، فأخذ القراءات عن أبيه، وأبي العبّاس القصبي، وأبي القاسم بن

رجا، وأبي الحسن بن شريح. وسمع منهم الحديث، ومن أبي عبد اللّه بن زُغَيْبة، ولاسيما **صحيحَي البخاري ومسلم**، ومن أبي الحسن بن موهب، **السُّنَن** لأبي داود. ولقي بمالقة أبا عبد اللّه بن معمر، الذي حدثه في منزله، كما لقي في بَلَنْسِية شيوخاً متعددين، وأخذ عنهم، أمثال أبي حفص بن واجب، وأبي إسحاق بن خفاجة. وأجازه بعضهم الآخر، ولاسيما أبو محمّد بن عتاب، وأبو عمران بن أبي تليد، وأبو عبد اللّه الفراء، وأبو عليّ حسين بن محمّد المعروف بابن سكرة الصدفي وغيرهم. وقد روى عنه أبو الحسن بن المفضل المقدسي، وأبو القاسم الصفراوي، وأبو عبد اللّه التُّجيبي.

ولا تتوافر معلومات كثيرة عن حياته في الأندلُس، لكن أسماء شيوخه المتعددين فيها، تشير إلى نشاطه وحركته الدائبة في مختلف مدنها. وتوجد إشارة إلى أنه قد كتب لبعض أمراء بني هود في الثغر الأعلى بالأندلُس. لكنه لم يستقر بعد ذلك، ورحل إلى المشرق. وفي طريقه استقرّ لبعض الوقت في المغرب، وبالذات في مدينة مَرّاكُش، حيث اتصل بالخليفة الموحدي عبد المُؤمن بن عليّ (524 ـ 558هـ/ 1130 ـ 1163م)، وخالط أشياخ المُوَحِّدين، وروى عنهم أخبار الدعوة الموحدية، وأحداث فَتْح مدينة مَرّاكُش عام 541هـ/ 1146م.

غادر اليسع مَرّاكُش سنة 543هـ/ 1148م، في طريقه إلى مصر، فاستقرّ أولاً في الإسكندرية، ثم توجّه إلى القاهرة، واتصل بالسلطان صلاح الدين الأيوبي، الذي قرّبه، وأجزل له العطاء، وأجرى له في كل شهر ما يحتاجه من مال. وكان يُكرمُه، ويُشَفِّعُه في حوائج الناس. ويرجع السبب في ذلك، بالإضافة إلى علمه، وعلو شأنه في الفقه والأدب، إلى موقف اليسع الشجاع الذي أبداه، عندما أراد السلطان صلاح الدين أن يقطع الخطبة للخلفاء الفاطميين، ويدعو للخليفة العبّاسي. فقد تردَّد خطباء مصر في القيام بهذه المهمة، ولم يتجاسروا على ذلك، فأبدى اليسع استعداده للخطبة، فصعد المنبر، ودعا للخليفة العبّاسي المستضيء باللّه. وقد استمرت مكانة اليسع العالية في مصر، وكان له منزل على شاطئ النيل، يعقد فيه مجالسه، ويزوره الناس فيه. وظلّ في مصر حتى بعد مغادرة صلاح الدين لها، حيث توفي في يوم الخميس التاسع عشر من شهر رجب سنة 575هـ/ 1179.

ألّف اليسع الغافقي بعد سنة 560هـ/ 1164م كتاباً جمعه للسلطان صلاح الدين

الأيوبي، عنوانه: **المعرب أو المغرب في أخبار (محاسن) أهل المغرب**. وهو كتاب شامل، فيه تراجم ومعلومات تاريخية وجغرافية عن المَغرِب والأندلُس. وهذا الكتاب مفقود في الوقت الحاضر، لكن العديد من المؤرخين أشاروا إليه، واعتمدوه، منهم أبو عبد اللّه محمّد بن الأَبّار (ت 658هـ/ 1260م)، الذي اطّلع عليه، ونقل عنه في ترجمة عبد اللّه بن فروخ المتوفى بمصر سنة 175هـ/ 791م. كذلك اطّلع عليه أبو العبّاس أحمد بن محمّد بن خَلّكان (ت 661هـ/ 1282م)، وأخذ منه دون أن يذكر اسم مؤلفه. أما أحمد بن محمّد المَقّري التِلِمْساني (ت 1041هـ/ 1631م)، فقد نقل عنه مواد كثيرة، منها عن جغرافية الأندلُس، وأخبار افتتاحها، وتراجم لعلماء وأدباء أندلُسيين، ومعلومات عن سقوط بعض المدن الأندلُسية بيد الإسبان. كما يُفهم منه أيضاً، أن كتاب اليسع تضمّن معلومات عن مدينة القيروان في إفريقيّة.

لكن أفضل أخبار الكتاب، وأهم مواده من الناحية التاريخية هي دون شك، تلك التي عاصرها اليسع، ولاسيما في عهدي المرابطين والمُوَحِّدين. وقد استفاد أبو عليّ حسين بن القَطّان الكتامي، والمؤلف المجهول لكتاب **الحُلل الموشيّة** من هذا الموضوع، ولاسيما معلوماته التي أوردها عن بداية المُوَحِّدين، وبيعة المَهْدي محمّد بن تُومَرْت، وعصر عبد المُؤمِن بن عليّ. وقد اعتمد فيها اليسع على ملاحظاته ومشاهداته، وحضوره لمجلس عبد المُؤمِن بن عليّ، وكذلك على شهادات كبار المُوَحِّدين الذين رافقهم ووثق بهم. ويبدو من بعض هذه النصوص، أن معلوماته لا تقتصر على السرد التاريخي المجرّد، بل يتحدث أحياناً عن مسائل اقتصادية، تشمل الأسعار، وقيمة بعض المبيعات. من ذلك مثلاً، وصفه لبستان غرسه عبد المُؤمِن بن عليّ خارج مَرّاكُش، ومقدار ما يُدرُّه من منتج، فقال: «وما خرجت أنا من مَرّاكُش في سنة ثلاث وأربعين وخمسمائة، إلا وهذا البستان الذي غرسه عبد المُؤمِن، يبلغ مبيع زيتونه، وفواكهه ثلاثين ألف دينار مؤمنية، على رخص الفواكه بها». (**الحُلل الموشيّة**: 146).

وقد استفاد ابن عِذاري المَرّاكُشيّ، الذي كان حيًّا سنة 712هـ/ 1312م، أيضاً من كتاب اليسع، على الأقل لمرة واحدة بشكل مباشر، حين أخذ عنه نصاً يتعلق بنشاط محمّد بن تُومَرْت، وصعوده إلى جبل إيجليز بالقرب من مَرّاكُش، وتحصُّنه فيه، ودعوة رجاله لقتال المرابطين سنة 518هـ/ 1124م (**البَيان المُغرب**: 4/ 68). لكنه

اعتمد بعد ذلك على كتاب **نظم الجُمان** لابن القَطّان، فيما نقله الأخير عن اليسع، ما يدلّ على أنه لم يطّلع عليه، واكتفى بأخذ نصه منقولاً من رواية ابن القَطّان. ويشير عليّ بن سعيد المغربي (ت 685هـ/ 1286م)، إلى مصنّف آخر لليسع أسماه **بالمعرب في آداب المغرب**، كتبه في مصر على غرار كتاب **قلائد العِقيان** للفتح بن خاقان. وينتقد ابن سعيد هذا الكتاب بشدّة، ولا يرى بأن اليسع قد جاء فيه بجديد، فهو يقول بأن: «نثره كزٌّ ثقيل، ونظمه مغسول، ليس عليه طلاوة، وكأنه أراد معارضة كتاب **القلائد**، فنهق إثر صاهل، ولم يأت في جميع ما أورده بطائل...». (**المُغرب في حلى المَغرِب**: 2/ 88). ومن الجدير بالذكر أن ابن الأبّار يشير إلى أن اليسع مُتهم أيضاً في كتابه الأول: **المُغرِب في محاسن المَغرِب** (**التكملة**: 744). لكنه لم يقدم أي دليل على هذا الاتهام. وقد نقد ابن حجر العسقلاني أسلوب اليسع بشكل عام بقوله: «يظهر على عباراته مجازفة»، لكنه أشار في الوقت نفسه إلى أن للرجل مؤلفات وأدباً وفنوناً، ولم يطعن في نسبة الكتاب إليه، الأمر الذي لا يساعد على ترجيح اتهام ابن الأبّار.

المصادر والمراجع:

ابن الأبّار، **التكملة لكتاب الصّلة**، نشر، كوديرا، مدريد، 1886: 744 ـ 745، (الترجمة 2112)؛ ابن الأبّار، **المُعجَم في أصحاب القاضي الإمام أبي علي الصدفي**، القاهرة، دار الكتب العربي، 1967: 334 ـ 335؛ ابن القَطّان، **نظم الجُمان**، تحقيق، محمود عليّ مكي، تطوان، 1966، (نشر كلية الآداب والعلوم الإنسانية في الرباط): 75، 76، 77، 80، 95، 102، 123؛ ابن سعيد وأسرته، **المُغرِب في حلى المَغرِب**، ط2، تحقيق، شوقي ضيف، القاهرة، دار المعارف، 1964: 2/ 88؛ ابن خَلّكان، **وفيات الأعيان**، تحقيق، إحسان عَبّاس، بيروت، دار الثقافة، 1968: 5/ 47، 50، 7/ 112 ـ 113؛ ابن عِذاري المَرّاكُشيّ، **البَيان المُغرِب في أخبار الأندلُس والمَغرِب**، نشر، أمبروسي هويسي ميرندة، 1960، وقد أعادت دار الثقافة نشره في بيروت 1976: 4/ 68؛ مجهول المؤلف، **الحُلل الموشيّة في ذكر الأخبار المَرّاكُشيّة**، تحقيق، سهيل زكار وعبد القادر زمامة، الدار البيضاء، دار الرشاد الحديثة، 1979: 62، 68، 82، 107، 132، 139، 146، 148 ـ 149؛ ابن حَجَر، **لسان الميزان**، ط2، بيروت، مؤسسة الأعلمي، 1971: 6/ 299 ـ 300؛

المَقَّري، **نَفح الطِّيب من غصن الأندلُس الرطيب**، تحقيق، إحسان عَبّاس، بيروت، دار صـادر، 1968: 1/ 127، 164، 208، 265، 672، 2/ 379، 487، 3/ 163، 397، 4/ 314، 455 (الترجمة171)؛ ابن العماد الحنبلي، **شذرات الذهب في أخبار من ذهب**، ط2، بيروت، دار المسيرة، 1979: 4/ 250؛ حاجي خليفة، **كشف الظنون**، إستانبول، 1941 ـ 1943، أعادت مكتبة المُثَنّى طبعه بالأوفست في بغداد: 1/ 306؛ البغدادي، **هَدية العارفين**، إستانبول، 1951، أعادت مكتبة المُثَنّى طبعه بالأوفست في بغداد: 2/ 536؛ Pnos Boigues, *los Hitoryadores Y Geografos Arabigo-Espanoles*, Amsterdam, 1972, reprint of Madrid edition 1898: 248؛ بالنثيا، **تاريخ الفكر الأندلُسي**، ترجمة، حسين مؤنس، القاهرة، مكتبة النهضة المصرية، 1955: 242؛ ابن سودة، **دليل مؤرخ المَغرِب الأقصى**، ط2، الدار البيضاء، دار الكتاب، 1960: 1/ 193؛ كحالة، **مُعجَم المؤلفين**، دمشق، مطبعة الترقي، 1957: 13/ 239؛ عبد الواحد ذنون طه، «موارد تاريخ ابن عِذاري المَرّاكُشيّ عن المرابطين والمُوَحِّدين في المَغرِب والأندلُس»، **مجلة المجمع العلمي العراقي**، ج 3 و4 / م40، بغداد، 1989: 429 ـ 432.

14 ـ عبد الملك بن محمّد ابن صاحب الصلاة (ت أواخر القرن السادس للهجرة/ الثاني عشر للميلاد):

أبو مروان عبد الملك بن محمّد بن أحمد بن محمّد بن إبراهيم الباجي المعروف بابن صاحب الصلاة، أي الذي كان يَؤُمُّ بالناس في صلواتهم. ويُكنّى أيضاً بأبي محمّد، كاتب ومؤرخ. أصله من مدينة باجَه (Beja)، التي تقع في البرتغال الحالية، والتي كانت تضم نخبة لامعة ممن حملوا هذا اللقب الشريف. وقد نُعت أيضاً بالإشبيلي لكونه استوطن بعد ذلك مدينة إشبيلية (Sevilla). ولم تزوّدنا معاجم رجال العصر الموحدي بشيء عن أوليته، ولا عن نشأته وتربيته، باستثناء ابن الأبّار، الذي ترجم له في سطرين فقط، ذكر فيهما اسمه وكنيته ولقبه. وكذلك ابن عبد الملك المَرّاكُشيّ، الذي أضاف إلى هذا أنه روى عن أبي بكر بن هارون، وابن مالك، وأبي عبد اللّه بن عُميرة الكاتب، وأبي عليّ بن الأشيري. ولم يذكر الاثنان تاريخ ولادته ووفاته. وقد نقل عَبّاس إبراهيم، في كتابه **الإعلام**، بالنص ترجمة ابن عبد الملك المَرّاكُشيّ.

لكن من حسن الحظ، فإن «السِفْر الثاني» من كتاب ابن صاحب الصلاة: تاريخ المنّ بالإمامة الذي وصلنا، يلقي بعض الضوء على حياة هذا المؤرخ الكبير. فنستطيع التعرف إلى نشاطه، وحركاته، في كل من الأندلُس والمَغرِب. وقد بدأ بالإشارة إلى نفسه في سنة 557هـ/ 1161م، حيث كان وهو لم يجاوز العشرين من عمره في مدينة قَرمونة (Carmona) القريبة من إشبيلية، متعاوناً مع المُوَحِّدين. وعندما اتخذ هؤلاء قُرطُبَة (Cordoba) مركزاً للحكم الموحدي في الأندلُس، استُدعي ابن صاحب الصلاة ضمن جماعة مشهورة من أعيان إشبيلية ونظائرها، لملء الأُطر التي يتطلبها تعمير قُرطُبَة. وقد عُيّن للأشغال، ورُشّح للكتابة دوائر الحكم. لكنه، ولسبب لم يذكره، اعتذر واستعفى، وقنع تاركاً المجال لغيره، إلا أنه مع ذلك أقام في قُرطُبَة في عداد الكُتّاب المرموقين.

ويبدو أنه أصبح مقرَّباً من أمراء المُوَحِّدين، لأنه صحب والي قُرطُبَة أبا سعيد إلى جبل طارق، للالتقاء بأخيه السيد أبي حفص. وعبر الجميع بعد ذلك إلى سبتة، ومن ثم إلى فاس، ومَرّاكُش سنة 560هـ/ 1164م للقاء الخليفة أبي يعقوب يُوسُف بن عبد المُؤمِن (558 ـ 580هـ/ 1163 ـ 1184م). ولقد كانت لابن صاحب الصلاة اتصالات علمية مع بعض شيوخ فاس، أمثال عبد اللّه بن عبد الرحمن العراقي. وكذلك في مَرّاكُش، التي أقام فيها رَدَحاً من الزمن، مكّنه من الاستفادة من بعض كبار علماء البلاط الموحدي، أمثال الفقيه الخطيب أبي الحسن عليّ ابن الإشبيلي. وكان هذا من المبرّزين في علم الأصول، فسمع عليه قراءة كتاب **عقدة التوحيد** المعروف **بالمرشدة**، وكتاب **العقيدة المباركة المُسمّاة بالطهارة**، وكتاب **أعز ما يطلب** لمحمّد بن تُومَرْت. وكان خلال إقامته بمَرّاكُش مرتبطاً بالقصر، يلازم السقائف المخصصة للكُتّاب والأشياخ.

وقد رجع ابن صاحب الصلاة إلى الأندلُس، حيث كانت له صلات طيبة مع والي غَرناطة (Granada)، الموحدي الشيخ محمّد بن أبي إبراهيم. ثم زار مَرّاكُش مرّة أخرى سنة 566هـ/ 1170م، وربما جاءها هذه المرة مُوفداً من قِبل رجال الحكم الموحدي في الأندلُس، ليقدّم التهاني بمناسبة شفاء الخليفة الموحدي من مرض ألمّ به. وقد خصه الخليفة أبو يعقوب هذه المرة، وكما يقول هو: «بظهير كريم (أي مرسوم مَلَكي) بإسهام ومواساة معها أعانتني على الزمان الذميم، وأغنتني عن اللئام، ووسمتني بميسم الأولياء للأمر العزيز المَنصور الأعلام...». (**المن**

بالإمامة: 429). وقد ظلّ ابن صاحب الصلاة في مَرّاكُش طيلة أيام الأفراح التي أعقبت شفاء الخليفة، ثم صحب ركب الخليفة في تحركه إلى الأندلُس في زيارة لها. وقد وصف بدقة تنقلاته، واستقبالاته، واحتفالاته، وتشييده وتدشينه للمباني الموحدية في إشبيلية.

وشارك ابن صاحب الصلاة في حملة الخليفة على مدينة وبذة (Huette)، حيث كان له «اسم ورسم في الزِمام» في ذلك الرَكْب العظيم. ثم اتجه إلى بَلَنْسِية (Valencia)، وبعدها مُرسِيه (Murcia)، بصحبة الرَكْب الخلافي، وبعدها غادر الجميع إلى إشبيلية، حيث أمسى ملازماً لمجلس الخليفة. وفي سنة 578هـ/ 1182م زار المغرب مرّةً أخرى، وشارك في حملة الخليفة على بلاد السُوس. ويبدو أنه اكتسب منزلة سامية عند الخليفة، لا تقلُّ عن منزلة الطبيب أبي بكر بن زهر، والفيلسوف أبي الوليد بن رشد. فقد زار بمعيّتهما عند الرجوع من الحملة، وبرفقة الخليفة، قبر المَهْدي محمّد بن تُومَرْت، وقبر عبد المُؤمِن بن عليّ في تنملل. (ابن عِذاري، **البَيان المُغرِب**: 148).

وبفضل معلومات كتاب **تاريخ المنّ بالإمامة**، يمكن تتبع استمرار صلة ابن صاحب الصلاة بالبلاط الموحدي، حتى بعد وفاة الخليفة أبو يعقوب، وذلك في عهد ابنه أبي يُوسُف يعقوب المَنصور (580 ـ 595هـ/ 1184 ـ 1199م). حيث حضر تركيب «التفافيح» بأعلى منارة جامع إشبيلية سنة 594هـ/ 1198م. وقد أشركه الخليفة، بالنظر إلى كبر سنّه، وتقديراً لمركزه كعالِم مجاهِد، في الخطبة مع أبي الحَكَم عبد الرحمن بن حَجّاج اللّخميّ، في الجامع الأعظم بإشبيلية في هذه السنة ذاتها. ويبدو أن ابن صاحب الصلاة قد توفي بعد ذلك بمدة يسيرة، إذ ينقطع تاريخه، إلى هذا الحد، كما يختفي النقل عنه أيضاً في أواخر القرن السادس للهجرة.

لقد روى بعض علماء الأندلُس عن ابن صاحب الصلاة، فمن تلاميذه الذين رووا عنه، أبو محمّد عبد اللّه بن مغيث الأنصاري القُرطُبي المعروف بأبي الصفار، وأبو الحَكَم عبد الرحمن بن حَجّاج اللّخميّ. وكان ابن صاحب الصلاة يتصف بأخلاق كريمة طيبة، فهو على الرغم من اعتناقه لمذهب المُوَحِّدين في الاعتماد على الأصول من الكتاب والسُنّة، ونَبْذ كتب الفروع، فإنه لا يتناول مخالفيه، أو الدول التي سبقت المُوَحِّدين بشتائم أو نقائص، كما فعل غيره، وهذا بالتأكيد نابع من طبيعة شخصيته، وتديُّنه وتقواه.

وصف ابن الأبّار ابن صاحب الصلاة، بأنه صاحب **التاريخ**، في حين أن ابن عبد الملك المَرّاكُشيّ، ذكر أنه صنّف **تاريخ ثورة المريدين في الأندلُس، ودولة بني عبد المُؤْمِن** ومن أدرك من بنيه. وقد وصلنا «السِفْر الثاني» من الكتاب الأخير، الذي يُسمّى **بتاريخ المنّ بالإمامة على المستضعفين** بأن جعلهم اللّه أئمة وجعلهم الوارثين. ويقع هذا الكتاب في ثلاثة أسفار، فُقد الأول والثالث منها. وقد حقق الأُستاذ الدكتور عبد الهادي التازي السِفْر الثاني منه، وهو الذي اعتمدناه في هذه الدراسة. ويبدو من تحليل المحقق، أن السِفْر الأول كان «مُقَدِّمة» تناول فيه المؤلف حياة المَهْدي محمّد بن تُومَرْت، والثاني عن حياة وأخبار الخليفة أبي يعقوب، والثالث تناول فيه خاتمة حياة أبي يعقوب، فهو كتاب أُلّف على شرف هذا الخليفة الموحدي، لِما له من أفضال على المؤلف، سبقت الإشارة إليها.

ويظهر من أسلوب ابن صاحب الصلاة في هذا الكتاب، أنه حافظ على صفة الأديب والمؤرخ. ومعلوماته التي استقاها، تتسم بالصدق والضبط، وهي مأخوذة من ثلاثة موارد: أولها: الرواة الذين تحدّثوا إليه، وثانيهما: وهي الأهم: ما شاهده بنفسه، وشارك فيه من أحداث، وثالثهما: ما ينقله عن بعض المؤلفين المعروفين، أمثال حَيّان بن خلف بن حَيّان وغيره، أو عن بعض الوثائق الرسمية للدولة، مما أستأثر به على سائر المؤرخين. ويبدو أنه كان يحاول أن يكتب على طريقة «الحوليات»، أي تناول الأحداث سنة بسنة من عام (554 ـ 569 هـ/ 1159 ـ 1173م). لكنه لم يلتزم في بعض الأحيان بهذا، وكان يستطرد في ذكر الأحداث، ويشير إلى أمور لاحقة أو سابقة، ما زاد من فائدة الكتاب، لإلقائه الضوء على معلومات من تاريخ المُوَحِّدين ظلّ المؤرخون يتعطشون إلى معرفتها. وبالنظر إلى قيمة هذا الكتاب فقد ظلّ مرجعاً لعدد كبير من المؤرخين اللاحقين والمتأخرين، أمثال ابن الأبّار وابن عِذاري، وابن عبد الملك المَرّاكُشيّ، وابن أبي زرع، والجزنائي، وابن الخطيب والمَقّري، وغيرهم.

أما كتابه الثاني **ثورة المريدين**، فقد تناول معالجة حقبة قلقة من تاريخ الأندلُس في أعقاب دولة المرابطين، تميّزت بظهور طائفة دينية تستشعر التقشف والزهد، بزعامة أبي اليأس أحمد بن قسي، الذي استطاع أن يجمع حوله أنصاراً آمنوا بأفكاره، عُرفوا بالمريدين، وسيطروا على أجزاء من الأندلُس. ومما لاشك فيه أن هذا الكتاب قد تضمّن بالإضافة إلى ذكر الأحداث التاريخية الخاصة بتلك

الحقبة، الإشارة إلى آثار أدبية مما صدر عن المريدين، أو معارفهم. لكن مما يؤسف له أن هذا الكتاب قد فُقِد، ولم يتبقَّ لدينا منه سوى إشارات قليلة، أحال إليها ابن صاحب الصلاة في كتابه **المنُّ بالإمامة**، وكذلك ابن الأَبّار في كتاب **الحُلَّة السّيَراء**، وابن عبد الملك المَرّاكُشيّ في **الذيل والتكملة**.

وبالإضافة إلى هذه الآثار النثرية، فقد كانت لابن صاحب الصلاة آثار في الشعر، نجد بعضه في كتاب **المنُّ بالإمامة**، وكذلك فيما ساقه له ابن عِذاري المَرّاكُشيّ في تهنئة السيد أبي إسحاق. بمناسبة افتتاح الخليفة لمدينة قَفْصَة سنة 567هـ. (**البَيان المُغرِب**: 142).

وفي أي حال، فإن شِعر ابن صاحب الصلاة، لم يكن بالقوة التي يمكن أن نعتبره فيها في عِداد الشعراء المبرزين.

المصادر والمراجع:

ابن صاحب الصلاة، **تاريخ المَنّ بالإمامة على المستضعفين**، تحقيق عبد الهادي التازي، بيروت، دار الأندلُس، 1964: «مُقَدِّمة» المحقق، وصفحات كثيرة من الكتاب؛ ابن القَطّان، **نظم الجُمان**، تحقيق، محمود عليّ مكي، تطوان، 1966، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية في الرباط: 32 و(هامش 2)، 33، 225؛ ابن الأَبّار، **التكملة لكتاب الصّلة**، نشر، كوديرا، مدريد، 1886: 620 الترجمة رقم 1726، 416 رقم 1394، وطبعة عزت العطار الحسيني، القاهرة، 1955 ـ 1956: 1/ 58 رقم 168، 2/ 756 الترجمة رقم 1879؛ ابن الأَبّار، **الحُلَّة السّيَراء**، تحقيق، حسين مؤنس، القاهرة، الشركة العربية للطباعة والنشر، 1963: 2/ 154 ـ 155، 212، 221، 228، 233، 256؛ ابن عِذاري المَرّاكُشيّ، **البَيان المُغرِب في أخبار الأندلُس والمَغرِب**/ قسم المُوَحِّدين، تحقيق، محمّد إبراهيم الكتاني ورفاقه، بيروت، دار صادر، 1985: 8، 16، 20، 23، 24، 30، 35، 44، 81، 88، 90، 92، 98، 142، 148؛ ابن عبد الملك المَرّاكُشيّ، **الذيل والتكملة لكتابي الموصول والصِّلة**، تحقيق، إحسان عَبّاس، بيروت، دار الثقافة، 1973: السِفْر الخامس/ القسم الأول: 32؛ ابن أبي زرع الفاسي، **الأنيس المطرب بروض القرطاس**، الرباط، دار المَنصور للطباعة والوراقة، 1973: 184، 196، 202؛ عليّ الجزنائي، **جني زهرة الآس في بناء مدينة فاس**، الرباط، المطبعة الملكية،

1967: 80؛ ابن الخطيب، **الإحاطة في أخبار غرناطة**، تحقيق، محمّد عبد اللّه عنان، القاهرة، مكتبة الخانجي، 1974 ـ 1975: 2/ 144، 3/ 213؛ مجهول، **الحُلَل الموشية في ذكر الأخبار المَرّاكُشية**، تحقيق، سهيل زكار وعبد القادر زمامة، الدار البيضاء، دار الرشاد الحديثة، 1979: 16، 143؛ عَبّاس إبراهيم، **الإعلام بمن حلّ مَرّاكُش وأغمات من الأعلام**، تحقيق، عبد الوهاب بن منصور، الرباط، المطبعة الملكية، 1977: 8/ 361؛ ابن سودة، **دليل مؤرخ المَغرب الأقصى**، ط2، الدار البيضاء، دار الكتاب، 1960: 1/ 135 ـ 136؛ Gayangos, *The History of the Mohammedan Dynasty in Spain*, London, 1840-1843, Vol. II, p. 519; Pons Poigues, *Los Historiadores Y Geografos Arabigo-Espanoles*, Amsterdam, 1972, reprint of Madrid edition 1898, p. 245-246; ميكيلي أماري، المكتبة الصِقِلِّيَّة، لايبسيك، 1857، أعادت نشرها مكتبة المُثَنّى في بغداد: 197 ـ 198؛ بالنثيا، **تاريخ الفكر الأندلُسي**، ترجمة، حسين مؤنس، القاهرة، مكتبة النهضة المصرية، 1955: 242.

15 ـ هشام بن عبد اللّه القُرطُبي (606 هـ/1209م):

أبو الوليد هشام بن عبد اللّه بن هشام بن سعيد الأَزدي القُرطُبي، فقيه، مُحدِّث، ومؤرخ. لم يُفرد له كُتّاب التراجم ترجمة خاصة به، وكل ما نعرفه عنه جاء من خلال الكلام عن ابنه الفقيه المُحدّث الشاعر، أبي بكر بن هشام الأَزدي المتوفى سنة 635هـ/ 1237م. عاش أبو الوليد في مدينة قُرطُبَة (Cordoba) في الأندلُس في عصر المُوَحِّدين. وحسبما يُشير أبو عبد اللّه محمّد بن الأَبّار المتوفى سنة 658هـ/ 1260م، فقد كان أبو الوليد «أحد حكام قُرطُبَة». (**المقتضب من تحفة القادم**: 210). ولابد من أنه يقصد تولّيه القضاء في هذه المدينة، لأنه كان فقيهاً مالكياً، ومن العلماء المرموقين في بلده، بدليل مؤلفاته التي أشار إليها بعض من ترجم لابنه. ويبدو أن أسرة أبي الوليد هشام، كانت من الأُسر المعروفة بالعلم والجاه، ففضلاً عن نبوغ ابنه أبي بكر، كان أخوه الآخر أبو القاسم بن هشام المتوفى سنة 623هـ/ 1226م، شاعراً وأديباً مشهوراً في الأندلُس.

أَلّف أبو الوليد كتاباً في الفِقه بعنوان: **المفيد للحكام فيما يعرض لهم من نوازل الأحكام**، وكتاباً آخر في التاريخ بعنوان: **بهجة النفس وروضة الأنس**. وقد روى عنه هذين الكتابين ابنه أبو بكر، وغيره من علماء عصره. وانتقل الكتاب

http://al-maktabeh.com

الأول إلى أبي الحسن عليّ بن محمّد الرُّعَيْني الإشبيلي المتوفى سنة 566هـ/ 1267م، بالمناولة من طريق ابنه أبي بكر. وقد فُقد هذا الكتاب، ولا تتيسر لدينا منه نصوص منقولة تمكّننا من وصفه، أو معرفة محتوياته.

أما كتابه الثاني، فهو مفقود أيضاً، لكن يتوافر لدينا لحسن الحظ بعض فقراته، ونصوصه المنقولة من طريق أحد مؤرخي المغرب المشهورين، وهو أحمد بن محمّد بن عِذاري المَرَّاكُشيّ، الذي كان حيًّا سنة 712هـ/ 1312م. وتغطي هذه النصوص حقبة زمنية واسعة تقريباً، تبدأ منذ الفتح العربي الإسلامي للأندلُس، وتنتهي بأحداث سنة 278هـ/ 891م، حيث ينقل ابن عِذاري عن **بهجة النفس** معلومات عن المتمرد عُمَر بن حفصون. (**البَيان المُغرِب**: 2/ 123). ويتضح من هذه النصوص أن الكتاب يضم تاريخاً عاماً للأندلُس يبدأ بالفتح، وينتهي على الأقل في أواخر عصر الإمارة. لكن بالنظر إلى أن أبا الوليد عاش في عصور متأخرة، وامتدت حياته إلى حدود سنة 606هـ/ 1209م، فلابد من أنه كتب عن الأحداث التي تلت عصر الإمارة، وربما إلى وقت قريب من عصره، لكننا لم نعثر على مثل هذه النصوص عند ابن عِذاري، أو عند غيره من المؤرخين. ويشير بونس بويجس (Pons Boigues)، إلى أن كتاب **بهجة النفس** يحتوي على تاريخ الأُمويين والعبّاسيين. ويبدو أنه استند في ذكر العبّاسيين إلى أحد النصوص التي نقلها ابن عِذاري عن تمرُّد العلاء بن مغيث الجذامي على الأمير عبد الرحمن الداخل، وعلاقة هذا التمرد بالخليفة العبّاسي أبي جعفر المَنصور. (**البَيان المُغرِب**: 2/ 52). لكن هذا النص لايمكن أن يُتخذ دليلاً على أن الكتاب قد اهتم بتاريخ العبّاسيين، لأن موضوعه هو حدث أندلُسي، وفيه إشارة عابرة فقط إلى أبي جعفر المَنصور، ولا تشير بقية النصوص المنقولة عن الكتاب إلى أيّ أحداث عَبّاسية.

فالكاتب أندلُسي، واهتماماته ـ حسبما وصلنا من نصوص ـ منصبَّة على العصور المبكرة الأولى من وجود المسلمين في هذه البلاد. ومن المحتمل أن مؤلف الكتاب كان على معرفة بلغة أخرى غير العربية، مثل اللاتينية، والرومانسية (Romance)، وهي الإسبانية القديمة الناجمة عن اللهجة الآيبيرية واللاتينية، لأنه يذكر بحسب ما ينقل عنه ابن عِذاري عن فتوح القائد مُوسى بن نُصَيْر، ووصوله إلى أماكن نائية في جنوب فرنسا : «ورأيت في بعض كتب العَجَم أن المسلمين انتهوا إلى

مدينة لَوْطوُن قاعدة الإفرنج». (**البَيان المُغرِب**: 2/ 12 ـ 13). وهذا يعزز من مكانة أبي الوليد الثقافية، الذي لم يكتف بالفِقه والحديث، بل خاض في موضوعات التاريخ، واستخدم مصادر أخرى إلى جانب العربية، تعزز من روايته للأحداث.

المصادر والمراجع:

ابن الأبّار، **التكملة لكتاب الصِّلة**، نشر، عزت العطار الحسيني، القاهرة، مكتبة الخانجي، 1955 ـ 1956: 1/ 222 (ضمن ترجمة ابنه أبي بكر، رقم 598)؛ ابن الأبّار، **المقتضب من تحفة القادم**، تحقيق، إبراهيم الإبياري، بيروت، دار الكتاب اللبناني، 1983: 211؛ الرُّعَيْني، **برنامج شيوخ الرُّعَيْني**، تحقيق، إبراهيم شبوح، دمشق، وزارة الثقافة والإرشاد القومي، 1962: 200؛ ابن عِذاري المَرّاكُشيّ، **البَيان المُغرِب في أخبار الأندلُس والمَغرِب**، نشر، كولان وليفي بروفنسال، ليدن، 1948، أعادت دار الثقافة نشره في بيروت: 1 / 2، 2/ 12 ـ 13، 32، 34، 51، 57، 87، 123؛ حاجي خليفة، **كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون**، إستانبول، 1941 ـ 1943، أعادت مكتبة المُثَنّى طبعه بالأوفست في بغداد: 2/ 1778؛ البغدادي، **هَديَة العارفين**، إستانبول، 1951، أعادت مكتبة المُثَنّى طبعه بالأوفست في بغداد: 2/ 509، 510؛ Pons Boigues, *Los Historiadores Y Geografos Arabigo-Espanoles*, Amsterdam, 1972, reprint of Madrid, edition 1898: 393؛ الزركلي، **الأعلام**، ط2، القاهرة، مطبعة كونستانوماس، 1955: 9 / 84؛ كحالة، **مُعجَم المؤلفين**، دمشق، مطبعة الترقي، 1957: 13/ 149؛ عبد الواحد ذنون طه، «موارد تاريخ ابن عِذاري المَرّاكُشيّ عن الأندلُس من الفتح إلى نهاية عصر الطوائف»، **مجلة المجمع العلمي العراقي**، ج4/ م37، بغداد، 1986: 359 ـ 360.

16 ـ الحُسين بن عتيق المعروف بابن رشيق التَغلِبي (ت 696هـ/1296م):

أبو عليّ الحُسين بن عتيق بن الحُسين بن رشيق التَغلِبي، مؤرخ، أديب، وشاعر. أصله من مدينة مُرسِيه (Murcia) في الأندلُس، واستوطن مدينة سَبتة المغربية. وهو ينتمي إلى أسرة عريقة، فقد كان جدُّه الأعلى عبد الرحمن بن رشيق، أحد قادة الأندلُس، ومن الثائرين على المُعْتَمِد بن عَبّاد في عصر الطوائف.

عاش حقبة من الزمن في مدينة المَرِيَّة (Almeria)، وكتب لأميرها من بني الأحمر الرئيس عليّ بن يُوسُف بن الأحمر، ولأخيه الأصغر محمّد من بعده. وقد أُسر بعض أولاده من قِبل النَصَارَى، فتوسل إلى أمير المَرِيَّة عليّ بن يُوسُف ليساعده على تخليصهم، فتمّ له ذلك. وقد زار مدينة غَرناطة (Granada) عاصمة بني نصر، وامتدح سلطانها، ثم انتقل إلى سَبتة، فتولّى فيها القضاء في عهد أميرها محمّد بن أحمد العزفي. وقد استدعاه السلطان يُوسُف بن عبد الحق المريني (685 ـ 706هـ/ 1286 ـ 1306م) إلى فاس، حيث عمل كاتباً في ديوانه. وقد توفي ابن رشيق في يوم الأربعاء التاسع من شهر المحرَّم سنة 696هـ، بتازة من بلاد المغرب، حين كان متوجّهاً مع وفد من أهل سَبتة للقاء السلطان يُوسُف المريني.

كان ابن رشيق متبحراً في التاريخ، وفي الأدب، كما كان شاعراً مُفْلِقاً، مشاركاً في كثير من الفنون اللسانية، والتعاليمية. منها أنه اخترع شكلاً مستديراً لسفرة الشطرنج. كما جرت بينه وبين معاصره الشاعر والأديب مالك بن عبد الرحمن المُرحل (ت 699هـ/ 1299م) مهاترات، ومُلح شعرية على أشدّ ما يجري بين متناقضَيْن. منها نظمه لقصيدة طويلة تشتمل من التعريض والتصريح على كل غريب قبيح، أشار ابن الخطيب إلى بعض أبياتها. (**الإحاطة**: 1/ 473 ـ 479)، مطلعها: [**الكامل**]

لكلاب سَبتة في النباح مداركُ ... وأشد إدراكاً لذلك مالكُ

شيخٌ تفانى في البطالةِ عُمرهُ ... وأحال فكّيه الكلامُ الآفكْ

كلبٌ له في كل عِرْضٍ عضةٌ ... وبكل مُحصنةٍ لسانٌ آفكُ

ومن مؤلّفات ابن رشيق، كتاب كبير في **التاريخ**، و**نجح الطلب**، وفي **أغلاط ابن شرف**، وكتاب **ميزان العمل في أيام الدول**، الذي قال عنه ابن الخطيب، إنه من أطرف الموضوعات وأحسنها شهرة. وقد فُقِدت هذه الكتب جميعاً، باستثناء نصوص قليلة نقلها مؤرخون متأخرون من كتاب **ميزان العمل**. ويأتي في طليعة هؤلاء، المؤلف المجهول لكتاب **مفاخر البربر**، الذي نقل عنه معلومات عن دولة المُوَحِّدِين، وأوقات تولي حكامها. كذلك اعتمده عليّ بن أبي زرع الفاسي في تثبيت بيعة ووفاة المَهْدي بن تُومَرْت الزعيم الروحي للموحدين، وغيره من خلفاء

هذه الدولة. كما أخذ عنه أيضاً أحمد بن القاضي المكناسي. (**جَذوة الاقتباس**: 2/ 492). أما ابن عِذاري المَرَّاكُشيّ، فقد ذكر اسم كتاب ابن رشيق في «مُقَدِّمته» عن المصادر التي استخدمها، فأشار إليه أيضاً في النص الذي أورده عن وفاة يُوسُف بن محمّد بن يعقوب الملقب بالمستنصر باللّه، حيث قال: «كانت وفاته يوم السبت الثاني عشر لذي الحجة سنة عشرين وستمائة فكانت خلافته على ما حققه ابن رشيق وغيره عشر سنين وأربعة أشهر ويومان». (**البيان المُغرِب**: 243). ويبدو من هذا النص، ومن النصوص الأخرى التي نقلها بقية المؤرخين، أن ابن رشيق كان من الباحثين المحققين الذين اختصوا بمعرفة أوقات دول المغرب، ومُدد حكمها بشكل دقيق. وقد عَرف عنه هذا الاهتمام، بعض المؤرخين الذين عاصروه، أو جاؤوا بعده، واستفادوا منه في مؤلفاتهم.

المصادر والمراجع:

ابن عِذاري المَرَّاكُشيّ، **البَيان المُغرِب في أخبار الأندلُس والمَغرِب**/ القسم الموحدي، نشر، أمبروسي أويسي ميرينْدة مع مساهمة محمّد بن تاويت ومحمّد إبراهيم الكتاني، تطوان، دار كريماديس للطباعة، 1960: 243؛ مجهول، **نُبَذ تاريخية في أخبار القرون الوسطى** منتخبة من المجموع المُسمّى بكتاب **مفاخر البربر**، نشر، ليفي بروفنسال، الرباط، 1934: 59 ـ 60؛ ابن أبي زرع، **الأنيس المطرب بروض القرطاس**، الرباط، دار المَنصور للطباعة والوراقة، 1972: 181، 258؛ ابن الخطيب، **الإحاطة في أخبار غَرناطة**، ط2، تحقيق، محمّد عبد اللّه عنان، القاهرة، مكتبة الخانجي، 1973: 1/ 472 ـ 476؛ ابن القاضي المكناسي، **جَذوة الاقتباس**، الرباط، دار المَنصور للطباعة والوراقة، 1973: 1/ (180 ـ 182)، 2/ 492؛ ابن القاضي المكناسي، **دُرّة الحِجال في أسماء الرِجال**، تحقيق، محمّد الأحمدي أبو النور، القاهرة ـ تونس، دار التراث والمكتبة العتيقة، 1970: 1/ 244؛ مجهول، **بُلغة الأمنية ومقصد اللبيب فيمن كان بسَبتة في الدولة المرينية من مُدرّس وأُستاذ وطبيب**، تحقيق، عبد الوهاب بن منصور، الرباط، المطبعة الملكية، 1984: 22؛ البغدادي، **إيضاح المكنون**، إستانبول، 1947، أعادت مكتبة المُثَنّى نشره في بغداد بالأوفست: 2 / 323، 612، 626؛ البغدادي، **هَدية العارفين**، إستانبول، أعادت مكتبة المُثَنّى نشره في بغداد بالأوفست، 1950:

Pos Boigues, *Los Historiadores Y Geografos Arabigo-Espanoles*, 312/1؛ Amsterdam, 1972, reprint of Madrid edition 1898, P. 303. ابن سودة، **دليل مؤرخ المَغرِب الأقصى**، ط2، الدار البيضاء، دار الكتاب، 1960: 166، 250؛ **مجلة البحث العلمي**، العدد 13، الرباط: 24؛ عبد الواحد ذنون طه، «موارد تاريخ ابن عِذاري المَرَّاكُشيّ عن المرابطين والمُوَحِّدين في المَغرِب والأندلُس»، **مجلة المجمع العلمي العراقي**، ج3 و 4 / م40، 1989: 446 ـ 447.

al-maktabeh.com
مكتبة المهتدين

www.al-maktabeh.com
مكتبة
المهتدين

المبحث الرابع

علوم القرآن والحديث والفِقه واللغة العربية

al-maktabeh

1 ـ سُليمان بن محمّد بن بطّال (402هـ/ 1011م):

أبو أيوب سُليمان بن محمّد بن بطال البَطَلْيوسي، ويدعى أيضاً بالمُتَلَمِّس: فقيه مالكي، وشاعر محسن، ولد في مدينة بَطَلْيوس (Badajoz) بالأندلُس، وينتمي إلى بني بَطّال، وهم بالأصل من القبائل العربية التي جاءت من اليمن. تُلْمِذَ في بلده، وفي قُرطُبَة لشيوخ عصره، ثم انتقل إلى مدينة إلبيرة (Elvira) التي توفي بها عام 402هـ/ 1011م وقد انقطع عقبه. وهذا يعني أنه عاصر حقبة الخلافة الأندلُسية، ورموزها الكبار في الأندلُس منذ أواخر عهد عبد الرحمن الناصر، ثم عهد ابنه الحَكَم المستنصر، وعاش الصدر الأخير من حياته في ظل الدولة العامرية بزعامة الحاجب المَنصور وأبنائه حتى نهاية عهدهم سنة 399هـ/ 1009م. لكن لا يبدو أنه تقلد منصبًا للدولة على الرغم من أنه كان مُقدّماً في أهل العلم، والفِقه، والفهم، والشعر، والأدب، وأن كتابه **المقنع في أصول الأحكام**، كان عليه مدار المُفتين والحكّام.

ولا تشير المصادر المتيسرة إلى أسماء شيوخه، لكن لدينا أسماء بعض تلامذته، وأحد أصدقائه، وهو أبو عبد اللّه محمّد بن ابن زمنين (ت 398هـ/ 1007م)، الذي اشتُهر بتحرير الشروط، ونبغ في دراسة الفِقه، وألّف مُدَوَّنته المشهورة، وله تصانيف في الوعظ والزُهد وأخبار الصالحين. ومن المحتمل أن ابن بَطّال تدارس هذه العلوم معه، وأخذ كل واحد منهما عن الآخر. أما أهم تلاميذه، فهو أبو عُمَر يُوسُف بن عبد اللّه بن عبد البر النمري، عالِم الحديث المعروف

الذي روى عنه (ت 463هـ/ 1070م)، وحَكَم بن محمّد بن حَكَم من أهل قُرطُبَة، الذي رحل إلى المشرق، وعاد فتوفي في الأندلُس سنة 400هـ/ 1009م. ومن تلاميذه أيضاً ابن أبي الربيع الإلبيري، وابن الدمغة، وابن الحصّار الإمام.

كان سُليمان بن بَطّال في شبابه كثير الشِعر، ينشده على البديهة، ويطرق مختلف أبوابه وفنونه، ولاسيما الغزل، والوصف، وقد أُطلق عليه لقب (العين جودي) لكثرة ما كان يردد هذه العبارة في أشعاره. لكنه عندما كبر في السن، ترك ذلك، ومال إلى الزهد والانقباض. والتفرغ للتأليف في موضوعات الفِقه وغيرها من الكتب الدينية. ولعل من أهم مؤلفاته ما يأتي :

1 ـ كتاب **المقنع في أصول الأحكام** : ولقد وصفه تلميذه ابن عبد البر، قائلاً إنه «ليس لمالكي مثله في معناه»، وكان هذا الكتاب مرجعاً للمُفتين والحُكّام، وقد استمر بالتداول، فذكره ابن خير الإشبيلي (ت 575هـ/ 1179م) في «فهرسته» نقلاً عن محمّد بن عتّاب القُرطُبي، عن أبي عُمَر بن عبد البر النمري تلميذ سُليمان بن بَطّال. ويبدو أن كتاب **المقنع** كان يتضمن أيضاً معلومات تاريخية، يمكن بواسطتها توثيق بعض أحداث الأندلُس. فقد أشار ابن الأبّار (**الحُلّة السّيَراء** : 1/ 155) إلى تولّي جودي بن أسباط، وهو أحد أعيان العرب في إلبيرة المناصب في هذه المدينة، ولا سيما الشرطة والقضاء، وذلك نقلاً عن كتاب **المقنع في الأحكام** لابن بَطّال.

2 ـ كتاب **الدليل إلى طاعة الجليل**.

3 ـ كتاب **أدب المهموم**.

4 ـ كتاب **الموقظ** (وهو في الزهد).

5 ـ كتاب **شرح البخاري**، أشار إليه المَقّري (**نَفح الطّيب**، 3/ 451)، وقال إن ابن حَجَر أكثر من النقل عنه في **فتح الباري**. ولم يذكر ذلك غيره ممن ترجموا لابن بَطّال، وربما كان المَقّري، قد خلط بينه وبين عليّ بن خلف بن بَطّال المتوفى سنة 449هـ/ 1057م، الذي اشتُهر بتأليفه لكتاب **شرح الجامع الصحيح للبخاري**.

المصادر والمراجع:

الحُمَيْدي، **جذوة المُقتبس**، القاهرة، الدار المصرية للتأليف والترجمة، 1966: 222؛ عِياض، **ترتيب المدارك**، تحقيق، سعيد أحمد أعراب، الرباط، 1983: 8/ 29 ـ 30؛ ابن خير، **فهرسة ما رواه عن شيوخه**، ط2، تحقيق، فرانشسكة قدارة زيدين وخليان ربارة طرغوة، بيروت، منشورات دار الآفاق الجديدة، 1979، عن طبعة سَرَقُسطة 1893: 252، 531؛ ابن بَشْكُوَال، كتاب **الصِّلة**، القاهرة، الدار المصرية للتأليف والترجمة، 1966: 1/ 197؛ الضَّبّيّ، **بُغية المُلتَمِس**، نشر، فرانسسكو كوديرا، مدريد، 1884: 282؛ ابن الأَبّار، **الحُلَّة السِّيَراء**، تحقيق، حسين مؤنس، القاهرة، الشركة العربية للطباعة والنشر، 1963: 1/ 155؛ المَقَّري، **نَفح الطِّيب**، تحقيق، إحسان عَبّاس، بيروت، دار صادر، 1968: 3/ 292، 450 ـ 451؛ الزُّبَيدي، **تاج العروس**، بيروت، منشورات دار مكتبة الحياة: 7/ 229؛ البغدادي، **إيضاح المكنون**، ط3، طهران، 1967 عن طبعة إستانبول 1947: 1/ 478؛ كحالة، **مُعجَم المؤلفين**، دمشق، مطبعة الترقي، 1957: 4/ 273.

2 ـ عليّ بن خلف بن بطّال (449هـ/1057م):

عليّ بن خلف بن عبد الملك بن بَطّال البكري القُرطُبي المالكي، ويُعرف أيضاً بابن اللجّام، يُكنّى بأبي الحسن. مُحدّث وفقيه. من أهل قُرطُبَة (Cordoba) في الأندلُس، وبنو بَطّال بالأصل من القبائل العربية التي جاءت من اليمن. أما لقبه، ابن اللجّام، فربما يعود إلى اشتغال والده بصنع اللجام للخيل، ولو أن هذه اللفظة قد تحرفت أو تصحفت أيضاً إلى ابن اللحّام، فيتغيّر بذلك المعنى. (عِياض: **ترتيب المدارك**: 8/ 160). كان ابن بَطّال من أهل العلم والمعرفة والفهم، مليح الخط، حسن الضبط، وقد عني بالحديث النبوي الشريف العناية التامة، وأتقن ما قيّدَ عنه.

عاصر عليّ بن بَطّال أواخر عهد الخلافة الأُموية في الأندلُس، وشاهد انهيار الدولة العامرية في أوائل سنة 399/ 1009، ثم سقوط الخلافة الأُموية نهائياً عام 422هـ/ 1031 وما رافقها من فتنة عمّت الأندلُس بعامة، ومدينة قُرطُبَة بخاصة. وقد

اضطر نتيجة لتلك الظروف القاسية إلى مغادرة قُرطُبَة والاستقرار في مدينة بَلَنْسِية (Valencia) في شرق الأندلُس، التي كانت تُحكم من قِبل عبد العزيز بن عبد الرحمن بن أبي عامر، أحد أحفاد الحاجب المَنصور، الذي دامت إمارته في بَلَنْسِية نحو أربعين سنة، إلى وفاته عام 452هـ/ 1061م. وقد استطاع عبد العزيز أن يمدّ سلطته إلى مناطق أخرى مثل مُرسِيه (Murcia)، والمَرِيَّة (Almeria). وكانت مدينة لُورقة (Lorca) تتبع المَرِيَّة، وتشير المصادر إلى تولّي ابن بَطّال القضاء في هذه المدينة الأخيرة. ومن المحتمل أن ذلك حصل بعد استيلاء عبد العزيز العامري عليها، وإخضاعها ضمن سلطته. ولا نعرف كم استغرقت ولايته على قضاء هذه المدينة. وهل توفي فيها أم أنه رجع إلى بَلَنْسِية حيث لفظ أنفاسه الأخيرة في شهر صفر سنة 449هـ/ 1057م.

درس ابن بَطّال الحديث ورواه عن شيوخ عصره في الأندلُس، من أمثال أبي عُمَر أحمد بن محمّد بن عبد اللّه الطلمنكي المُحدّث المشهور الذي توفي سنة 429هـ/ 1037م . وأبي المطرف عبد الرحمن بن مروان القنازعي المتوفى سنة 413هـ/ 1022م، وأبي الوليد عبد اللّه بن محمّد المعروف بابن الفَرَضي، صاحب كتاب **تاريخ علماء الأندلُس** (ت 403هـ/ 1012م)، والقاضي المهلب بن أحمد بن أبي صفرة التميمي (ت 436هـ/ 1044م)، وقاضي الجماعة في قُرطُبَة، أبي الوليد يونس بن عبد اللّه بن مغيث، الذي كان من أعيان أهل العِلم في الأندلُس، وله الكثير من المؤلفات في معاني الزهد وضروبه (ت 429هـ/ 1037)، وغيرهم.

ولا تشير المصادر التي تُرجمت لابن بَطّال إلا إلى عدد محدود من تلاميذه، الذين حدّثوا عنه، ويكتفي بعضٌ منها بالقول: «وحدّث عنه جماعة من العلماء، ولدينا أسماء اثنين من هؤلاء التلاميذ، وهما : عبد الرحمن بن بشرى من مدينة سالم (Medinaceli) في الشمال الشرقي من الأندلُس، وأبو داود سُليمان بن نجاح، الذي نبغ وأصبح عالماً بالقراءات، واللغة العربية، وعلم العروض، وألّف كتاباً في الرسم القرآني بعنوان 'التنزيل'».

وقد صنّف ابن بَطّال بعض المؤلفات، يأتي في مُقَدّمتها **شرح الجامع الصحيح للبخاري**، الذي كان يتألف من عدة أسفار، استفاد منه العديد من المحدّثين الذين جاؤوا بعده، ونقلوا عنه. ويبدو كما يشير حاجي خليفة، إلى أن

http://al-maktabeh.com

غالب هذا الشرح كان من فِقه الإمام مالك، من غير تعرض لموضوع الكتاب. (**كشف الظنون** : 1/ 546). أما كتابه الثاني، فهو أيضاً في الحديث، وهو بعنوان : **الاعتصام في الحديث**. وله كتاب آخر، لكن في موضوع الزهد والرقائق. ومن المحتمل أنه تأثر بأُستاذه القاضي أبي الوليد يونس بن عبد اللّه، الذي كان مهتماً بهذه المواضيع وألّف فيها، كما أسلفنا.

المصادر والمراجع:

القاضي عياض، **ترتيب المدارك**، تحقيق، سعيد أحمد أعراب، الرباط، 1983 : 8/ 160؛ ابن بَشْكُوَال، كتاب **الصِّلة**، القاهرة، الدار المصرية للتأليف والترجمة، 1966 : 2/ 414؛ الضَّبّيّ، **بُغية المُلتَمِس**، نشر، فرانسسكو كوديرا، مدريد، 1884 : 409؛ الذهبي، **سِيَر أعمال النبلاء**، تحقيق، شعيب الأرناؤوط ومحمّد نعيم العرقسوسي، بيروت، مؤسسة الرسالة، 1413هـ : 18/ 43؛ ابن فرحون، **الديباج المذهب**، تحقيق، محمّد الأحمدي أبو النور، القاهرة، دار التراث، 1974 : 2/ 105 ـ 106؛ ابن العماد، **شذرات الذهب**، بيروت، المكتب التجاري : 2/ 283؛ ابن مخلوف، **شجرة النور الزكية**، بيروت، دار الكتاب العربي، عن طبعة 1349هـ : 115؛ الزُّبَيدي، **تاج العروس**، بيروت، منشورات دار مكتبة الحياة : 7/ 229؛ حاجي خليفة، **كشف الظنون**، بيروت، دار الكتب العلمية، 1992، عن طبعة إستانبول، 1941 : 1/ 119، 546؛ البغدادي، **هَدِيّة العارفين**، إستانبول، 1955 : 1/ 688؛ الزركلي، **الأعلام**، ط2، القاهرة، مطبعة كونستانوماس، 1955 : 5/ 96؛ كحالة، **مُعجَم المؤلفين**، دمشق، مطبعة الترقي، 1957 : 7/ 87.

3 ـ محمّد بن عليّ بن عبد اللّه بن ياسر الجَيّاني (492 ـ 563هـ/ 1098 ـ 1167م):

أبو بكر محمّد بن عليّ بن عبد اللّه بن ياسر الأنصاري الجَيّاني، مُحدّث، مفسر، وعالم بالقراءات. ولد في مدينة جَيّان (Jaen) في الأندلُس سنة 492هـ، وتلقّى تعليمه الأوّلي فيها. رحل إلى المشرق قبل عام 520هـ/ 1126م، فأدى فريضة الحج، وقدم إلى دمشق، وسكن قنطرة سنان. وكان يُعلم بالقرآن فيها، ويتردد إلى بعض علمائها، أمثال أبي الفتح نصر اللّه بن محمّد، ويسمع منه الحديث، وأبي

القاسم عليّ بن الحسن بن هبة اللّه بن عساكر (ت 571هـ/ 1175م)، مؤلف كتاب **تاريخ مدينة دمشق**، الذي صاحبه ورحل معه، إلى بغداد سنة 520هـ. وقد سمع الاثنان في بغداد من هبة اللّه بن الحصين وغيره. ثم خرج الأنصاري إلى خراسان، فسمع بها من حمزة الحسيني، وأبي عبد الواحد الفراوي، وأبي القاسم الشَمّاخي وغيرهم. وفي بلخ، التي سكنها مدة، سمع من جماعة، منهم، أبو محمّد الحسن بن عليّ الحسني، وأبو النجم مصباح بن محمّد المكي، وتفقّه في مدينة بخارى، حتى مَهُرَ في المذهب والخلاف والجدل.

وقد رجع الأنصاري من رحلته في المشرق إلى الموصل، حيث أقام فيها مدّة يُؤخذ عنه ويُسمع منه. ومن أهم تلامذته الذين أخذوا عنه في الموصل، أبو المحاسن يُوسُف بن رافع بن تميم المعروف ببهاء الدين بن شداد (ت 632هـ/ 1234م)، الذي قرأ عليه **صحيح مسلم** من أوله إلى آخره، و**الوسيط** للواحدي، وقد أجاز له رواية ما يرويه عنه، ذلك في سنة 559هـ/ 1163م. (ابن خَلّكان، **وفيات الأعيان**: 7/ 86) وقد روى عنه علماء كبار آخرون، أمثال صديقه ابن عساكر، وأبي حفص الميانشي، وأبي المَنصور مظفر بن سوار اللّخميّ، وأبي محمّد عبد اللّه بن عليّ بن سُويرة، وابن أبي سنان وغيرهم.

انتهى الأنصاري في رحلته المشرقية إلى مدينة حلب، التي استوطنها، وبرز فيها بعلمه وروايته للحديث. فسُلّمت إليه خزانة الكتب النورية، وحُدد له مرتّب معيّن. وكان يُعرف في حلب بتديُّنه وفضله وصدقه، وبدقّته في تخريج الأحاديث وحفظها، وإسناده العالي الذي ساوى به بعض شيوخ البخاري ومسلم وأبي داود والنَّسائي والتِّرمِذيّ. وكان فيه عسر في الرواية والإعارة معاً. وقبل أن يتوفى في حلب في شهر جُمَادى الأولى سنة 563هـ/ 1167م، وقف كتبه على أصحاب الحديث النبوي الشريف. ومن مؤلفاته كتاب **الأربعين في رواية المحمّدين**، ألّفه سنة 577هـ/ 1162م، وقد أشار بروكلمان إلى وجوده في باريس برقم أول 277:3، وفي القاهرة ثان : 1/ 88.

المصادر والمراجع:

ابن عساكر، **تاريخ مدينة دمشق**، نسخة على القرص المرن، بإشراف مركز

التراث لأبحاث الحاسوب الآلي : 54/ 399 ـ 400؛ ابن المستوفي، **تاريخ إربل**، تحقيق، سامي بن السيد خماس الصقار، بغداد، دار الرشيد، 1980: 1/ 113، 160، 167، 369؛ ابن الأبّار، **التكملة لكتاب الصّلة**، نشر عزت العطار الحسيني، القاهرة، مكتبة الخانجي، 1955 ـ 1956: 2/ 500 ـ 501؛ ابن خَلّكان، **وفيات الأعيان**، تحقيق، إحسان عَبّاس، بيروت، دار الثقافة، 1968: 7/ 86 (ضمن ترجمة ابن شداد)؛ ابن العديم، **بغية الطلب في تاريخ حلب**، تحقيق، سهيل زكار، بيروت، دار الفكر، 1988: 1/ 381، 7/ 340، 3410؛ المَقّري، **نَفح الطّيب من غصن الأندلس الرطيب**، تحقيق، إحسان عَبّاس، بيروت، دار صادر، 1968: 2/ 58، 157؛ كارل بروكلمان، تاريخ الأدب العربي، ترجمة، السيد يعقوب بكر ورمضان عبد التواب، القاهرة، دار المعارف، 1977: 6/ 277؛ ناطق صالح مطلوب، «الرحلة في طلب العلم والحياة الثقافية في الموصل»، فصل ضمن **موسوعة الموصل الحضارية**، الموصل، دار الكتب للطباعة والنشر، 1992: 2/ 367؛ عبد الواحد ذنون طه، «صُوَر من التأثير العلمي بين الموصل والأندلُس»، بحث ضمن محاضر **المؤتمر العلمي الأول لتاريخ العلوم عند العرب**، جامعة بغداد، مركز التراث العلمي العربي، 4 ـ 6 مايو/ أيار 12: 2002 ـ 13.

4 ـ يحيى بن سعدون الأزْدي القُرطُبي (486 ـ 567 هـ/ 1093 ـ 1171م):

أبو بكر يحيى بن سعدون بن تَمّام بن محمّد الأزْدي القُرطُبي، عالم بالقراءات، محدّث، نحوي، لغوي. أندلُسي من أهل قُرطُبَة (Córdoba)، تلقّى فيها تعليمه الأولي، ثم اهتم بالحديث النبوي الشريف، فسمعه فيها من أبي محمّد عبد الرحمن بن محمّد بن عتّاب (ت 531هـ/ 1136م). وقرأ القرآن الكريم على أبي القاسم خلف بن إبراهيم الحصّار، وأبي الحسن عون اللّه بن عبد الرحمن. وخرج من الأندلُس في عنفوان شبابه، وقدم مصر، فسمع في الإسكندرية من أبي عبد اللّه محمّد بن إبراهيم الرّازي، وفي القاهرة من أبي صادق مرشد بن يحيى بن القاسم المدني، وأبي طاهر أحمد بن محمّد الأصبهاني المعروف بالسّلَفيّ. ودخل إلى العراق، فوصل بغداد سنة 517هـ/ 1123م، وقرأ بها القرآن على الشيخ المقرئ أبي محمّد عبد اللّه بن عليّ، سبط أبي منصور الخياط، وسمع عليه كتباً كثيرة، منها كتاب سيبويه. وسمع بها الحديث من أبي القاسم بن الحصين، وأبي بكر محمّد بن

عبد الباقي البزاز، المعروف بقاضي المارستان، وأبي العز بن كادش، وغيرهم.

انتقل الأَزْدي إلى مدينة دمشق، وأقام بها مدة يُقرئ القرآن والنحو، وانتفع به عدد كبير من الناس. وقد سمع منه أبو القاسم عليّ بن الحسن بن عساكر (ت571هـ/ 1175م)، وقال عنه إنه «ثقةٌ ثَبَتٌ»، ونقل عنه في كتاب **تاريخ مدينة دمشق** الكثير من مروياته. وكذلك أقرأ في حلب، ثم رحل إلى الموصل وسكنها، وغادر بعد ذلك إلى أصفهان، وعاد إلى الموصل، التي استوطنها بشكل نهائي، وأصبح عَلماً من أعلامها البارزين. وقد أخذ عنه في هذه المدينة أبرز شيوخها، ولاسيما القاضي بهاء الدين أبو المحاسن يُوسُف بن رافع بن تميم المعروف بابن شداد (ت 632هـ/ ـ 1160م)، فقرأ عليه بالطرق السبع، وأتقن عليه فن القراءات. ولنستمع إلى شهادة ابن شداد التي دوَّنها في أحد مؤلفاته: **دلائل الأحكام**، ونقلها عنه ابن خَلِّكان (**وفيات الأعيان**: 7/ 84 ـ 85) : «أول من أخذت عنه شيخي الحافظ صائن الدين أبو بكر يحيى بن سعدون بن تمام بن محمّد الأَزْدي القُرطُبي، رحمه الله تعالى، فإني لازمت القراءة عليه إحدى عشرة سنة، فقرأت عليه معظم ما رواه من كتب القراءات، وقراءة القرآن العظيم، ورواية الحديث وشروحه، والتفسير، حتى كتب لي بخطه، شهد بأنه ما قرأ عليه أحد أكثر مما قرأت، وعندي خطه بجميع ما قرأت عليه في قريب من كُرّاسين، وفهرستُ ما رواه جميعه عندي وأنا أرويه عنه. ومما يشتمل عليه **فهرستُ البخاري ومسلم** من عدة طرق، وغالب كتب الحديث، وغالب كتب الأدب وغيره، وآخر روايتي عنه **شرح الغريب** لأبي عُبَيْد القاسم بن سلام، قرأته عليه في مجالس، آخرها في العشر الأخير من شعبان سنة سبع وستين وخمسمائة». أي قبل نحو أربعين يوماً من وفاة الأَزْدي، لأنه توفي يوم الجمعة في عيد الفطر من هذه السنة. وكان ابن شداد يفخر بروايته وقراءته عليه. ومن تلاميذه الذين قرأوا عليه في الموصل أيضاً كمال الدين ابن يونس أبو الفتح مُوسى بن أبي الفضل بن منعة الفقيه الشافعي الموصلي المتوفى سنة 639هـ/ 1241م، ومجد الدين أبو السعادات ابن الأثير المبارك بن محمّد، وكذلك عبد الله بن الحسن بن الحدوس المتوفى سنة 625هـ/ 1227م، وفخر الدين محمّد بن أبي الفرج بن معالي الموصلي المتوفى سنة612هـ/ 1215م.

كان ابن سعدون الأَزْدي، كما وصفه معظم من ترجم له: رجلاً صدوقاً،

ثقة، ثَبَتاً، ديّناً، كثير الخير، ناسكاً، قليل الكلام، ورعاً، بالغ الحرمة، عليه وقار وهيبة وسكينة، يُحضِّر طعامه بيده. وهو يُعدّ أحد الأئمة المتأخرين في القراءات وعلوم القرآن الكريم، والحديث النبوي الشريف، والنحو، واللغة، وغير ذلك من اهتمامات أخرى. فقد حدَّث بكتاب أبي القاسم الزمخشري الموسوم بِـ **أسماء الجبال والمياه**. (ابن الأبّار، **التكملة**: 724). كما كان له اهتمام بالشعر ونظمه، حيث أشار ابن سعيد المغربي، إلى أن الصاحب كمال الدين ابن أبي جرادة المعروف بابن العديم(ت 660هـ/ 1261م)، قد أنشده أبياتاً للأزْدي هي: **[البسيط]**

عَرِّج على منزل الأحباب يا حادي ... بباب أبرز حيث الكوكب الهادي

لعلنا نلتقي ليلاً بهم وعسى ... نُلقي إليهم حديثاً ليس بالبادي

يا حادي العيس لا تعْجَل و ها كبدي ... ودع عيني عن ماءٍ وعن زاد

(وأبرز بلدة بفارس)

المصادر والمراجع:

ابن عساكر، **تاريخ مدينة دمشق**، نسخة على القرص المرن، بإشراف مركز التراث لأبحاث الحاسوب الآلي: 64/ 230 ـ 231، وصفحات متفرقة في أجزاء كثيرة؛ ياقوت، **مُعجَم الأدباء**، بيروت، طبعة دار المستشرق: 17/ 72، 19/ 171، (20/ 14 ـ 15)؛ ابن الأثير، **الكامل في التاريخ**، بيروت، دار صادر، 1979: 11/ 376؛ ابن الشعار، **قلائد الجُمان في فرائد شعراء هذا الزمان**، مخطوط مصور في قسم اللغة العربية/ كلية التربية/ جامعة الموصل، عن الأصل المحفوظ في مكتبة أسعد أفندي الملحقة بالمكتبة السليمانية في إستانبول، رقم (2324): ج10، الورقة 176 أ؛ ابن الأبّار، **التكملة لكتاب الصِّلة**، نشر، فرانسسكو كوديرا، مدريد، 1886: 724؛ ابن خَلِّكان، **وفيات الأعيان**، تحقيق، إحسان عَبّاس، بيروت، دار الثقافة، 1968: 6/ 171 ـ 172، 7/ 84 ـ 85 (ضمن ترجمة ابن شداد)؛ ابن سعيد المغربي وأسرته، **المُغرب في حلى المَغرِب**، تحقيق، شوقي ضيف، القاهرة، دار المعارف، 1964: 1/ 135؛ ابن الزُّبير، **صلة الصِّلة**، نشر، ليفي بروفنسال، بيروت، مكتبة خياط: 177؛ الذهبي، **سير أعلام النبلاء**، تحقيق، بشار عواد معروف ورفاقه، بيروت، مؤسسة الرسالة، 1986: 20/ 529، 546 ـ 548؛

الذهبي، **المعين في طبقات المحدثين**، تحقيق، همام عبد الرحيم سعيد، عمان، دار الفرقان، 1404هـ: 172؛ الذهبي، **العبر في خبر من غبر**، تحقيق، أبو هاجر محمّد السعيد زغلول، بيروت، دار الكتب العلمية: 3/ 125؛ اليافعي، **مرآة الجنان**، الهند، حيدر آباد الدكن، 1338: 3/ 380؛ ابن كَثير، **البداية والنهاية**، بيروت، مكتبة المعارف: 12/ 270؛ ابن الجزري، **غاية النهاية**، باعتناء، ج. برجستراسر، بيروت، دار الكتب العلمية، 1980: 2/ 372؛ ابن تَغري بِردي، **النجوم الزاهرة**، مصورة عن طبعة دار الكتب، القاهرة، وزارة الثقافة: 6/ 66؛ السُّيوطيّ، **بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة**، تحقيق، محمّد أبو الفضل إبراهيم، بيروت، المكتبة العصرية، 1964: 2/ 334؛ المَقَّري، **نَفح الطِّيب من غصن الأندلُس الرطيب**، تحقيق، إحسان عَبّاس، بيروت، دار صادر، 1968: 2/ 117 ـ 118؛ ابن العماد الحنبلي، **شذرات الذهب**، ط2، بيروت، دار المسيرة، 1972: 4/ 225؛ C. Brokelmann, *Geschichte der Arabischen Litteratur*, Leiden, E.J. Brill, 1938, Vol. I, p. 551 (429)؛ الزركلي، **الأعلام**، القاهرة، مطبعة كوستانوماس، 1955: 9/ 181؛ عبد الواحد ذنون طه، «صُوَر من التأثير العلمي بين الموصل والأندلُس»، بحث ضمن محاضر **المؤتمر العلمي الأول لتاريخ العلوم عند العرب**، جامعة بغداد/ مركز التراث العلمي العربي، 4 ـ 6 مايو / أيار، 2002: 12.

5 ـ أحمد بن عبد الرحمن بن الصقر الخَزرَجي (492هـ/م1098 ـ 569هـ/1173 م):

أحمد بن عبد الرحمن بن محمّد بن الصقر الأنصاري الخَزرَجي، أبو العبّاس، فقيه ومُحدّث وأديب، أصله من الثغر الأعلى من مدينة سَرَقُسطة (Zaragoza) في الأندلُس، حيث منازل الأنصار. انتقل جَدّ أبيه إلى بَلَنْسِية (Valencia) فولد له فيها ابنه عبد الرحمن، والد أبـي العبّاس. ثم انتقل عبد الرحمن هذا إلى المَريَّة (Almeria)، فولد بها أبو العبّاس. ونقله أبوه منها إلى مدينة سَبتة في المغرب، وعمره نحو سبع سنوات، ثم تحوَّل إلى مدينة فاس، فاستقر بها، ثم استوطن مَرّاكُش.

عُني به والده منذ صغره، فأسمعه كثيراً من الشيوخ، وشاركه في بعضهم، وعُنِيَ هو بنفسه، واشتد طلبه للعلم، والحرص عليه، والتواضع في إلتماسه، شغفاً به، فأخذه

عن الصغير والكبير، واستكثر من ذلك حتى اتسعت روايته، وجلّت معارفه. فأصبح محدثاً مكثراً، ثقة، ضابطاً، مقرئاً مجوّداً، حافظاً للفقه، متقناً لمسائله، عارفاً بأصوله، متقدماً في علم الكلام، عاقداً للشروط، بصيراً بعللها، حاذقاً بالأحكام، كاتباً بليغاً، شاعراً محسناً، جميل الخط. (ابن الخطيب، **الإحاطة**: 3/ 183).

وقد أشار محمّد بن عبد الملك المَرّاكُشيّ إلى نحو خمسين شيخاً من شيوخه، الذين قرأ عليهم القرآن الكريم، وروى عنهم الأحاديث النبوية الشريفة، وتحمّل عنهم العِلم. فقد تلا القرآن برواية ورش أبي سعيد، على أبيه، وأكثر عنه، وأجاز له بها. وتلا بها أيضاً على أبي عبد اللّه بن حسين التطيلي المقرئ، وهو أول من قرأ عليه. وتلا بقراءة نافع على أبي عليّ الحسن بن عبد اللّه المروي، وأبي عبد اللّه بن عبد اللّه، وبقراءة أبي عمرو على أبي عبد اللّه بن أحمد، وبالسبع على أبي العبّاس بن فيرة بن فضل اليحصبي، وأبي القاسم عُثمان بن إدريس، الذي أخذ عنه أيضاً بعض مصنفات أبي عُمَر الداني.

ومن شيوخه الذين روى عنهم الحديث، أبو إسحاق بن أبي الفضل بن صواب، وأبو بحر بن سُليمان بن العاصي، وأبو بكر عبد اللّه بن عطيّة اليابري، وغالب بن عطيّة، وأبو بكر بن العربي، ويحيى بن عبد اللّه التُجِيبي. وقد استفاد بالتأكيد من رحلته إلى الأندلس، وتنقُّله بين مختلف مدنها، ومدن المَغرِب الأقصى في سماع الشيوخ، ومنهم أبو القاسم خلف بن بَشْكُوَال، صاحب كتاب **الصِّلة**، وأبو محمّد بن أحمد الوحيدي بمالقة (Malaga)، وعبد الحق بن عطيّة في غَرناطة (Grananda)، وابن عليّ سبط بن عُمَر بن عبد البر في أغمات وريكة، وعبد المجيد بن عبدون في مَرّاكُش، فأخذ عنهم قراءة وسماعاً، كما سمع من أبي عبد اللّه بن أحمد الجَيّاني البغدادي، وناوله، ومالك بن وهيب، ولازمه في مَرّاكُش.

ومن أشهر من روى عنه ابنه أبو عبد اللّه محمّد، فقد تلا عليه، وأخذ عنه كثيراً من كتب الحديث والفقه. كذلك روى عنه أبو محمّد بن محمّد بن عليّ بن وهب القُضاعي، وأبو خالد يزيد بن رفاعة، وغيرهم. ولا تشير المصادر التي ترجمت لأبي العبّاس الخَزرَجي إلى قيامه برحلة مشرقية، لكن ابن عبد الملك المَرّاكُشيّ، يورد له أبياتاً من الشعر في وداع قبر الرسول صلّى اللّه عليه وسلم، ما يدلّ على رحلته إلى الحجاز لأداء فريضة الحج. (**الذيل والتكملة**: 1/ 230).

عاصر أبو العبّاس الخَزرَجي دولتَي المرابطين والمُوَحِّدين في المَغرب والأندلُس، وشهد سقوط الأولى، ودخول المُوَحِّدين إلى مدينة مَرّاكُش عام (541 هـ / 1146 م). حيث عانى محنة كبيرة نتيجةً لاستباحة المُوَحِّدين لهذه المدينة، فاضطر إلى الاختفاء، حتى نودي بالعفو عمن تبقّى فيها، فكان من القلائل الذين نجوا من هذه المحنة. ومع هذا، لم تكن علاقة أبي العبّاس سيئة مع حكام كلتا الدولتين، بل على العكس، فقد تولّى في عهدهما مناصب دينية مرموقة. وفي أول وصوله إلى مَرّاكُش، تعرف عليه أحد سراة قبيلة لَمتونَة من المرابطين، وكان عاملاً على مدينة دُكالة في المغرب، فرغب في صحبته، وضمن أن يعطيه ألف دينار مرابطية، نظير ذلك، فامتنع، قائلاً إنه لو أعطاه مُلك الدنيا على أن يخرج عن طريقه أو يفارق دينه، وخدمة أهل العِلم ومداخلة الفقهاء، والانخراط في سلكهم، لِما رضي. فعجب اللمتوني من علو همّته، ورغب في صحبته على ما أراده.

وكانت بداية تولّيه أعمالاً في عهد الدولة المرابطية، هي سنة 527 هـ/ 1132م، حيث عمل كاتباً للقاضي أبي عبد اللّه بن حسون البزاز، أيام تولّيه القضاء على مَرّاكُش للمرة الأولى. وبعد أن صُرف الأخير عن القضاء، غادر أبو العبّاس مَرّاكُش بصحبة أبي القاسم بن حمزة، الذي تولّى قضاء غرناطة، فكتب له هناك، وكان يستخلفه أحياناً. ولما توفي أبو القاسم، واستقضى بدله أبا الفضل عياض بن مُوسى، استكتبه أيضاً لصحبة قديمة كانت بينهما. وظل معه إلى أن صُرف الأخير عن القضاء سنة 534 هـ / 1140، بأبي عبد اللّه بن عليّ الأزْدي الجَيّاني ابن الحاج الأفطس، الذي قدّم أبا العبّاس لتولّي الأحكام والصلاة بوادي آش (Guadix) التي تقع إلى الشمال الشرقي من غرناطة. فأقام بها نحو سنتين إلى وفاة أبي عبد اللّه الجَيّاني سنة 536 هـ/ 1142 م، ثم عاد إلى مَرّاكُش، حيث تولّى الكتابة للقاضي أبي عبد اللّه بن حسون، حين أُعيد هذا الأخير لمنصب القضاء في مَرّاكُش للمرة الثانية. وظلّ معه إلى أن صُرف عن القضاء، فبقي أبو العبّاس متولّياً للأحكام والصلاة في مسجد مَرّاكُش، إلى أن اختلّت أحوال الدولة المرابطية، فاستعفى عن الأحكام، فأُعفي، وَرُغِّبَ في التزام خطة القضاء، فامتنع، وبقي على الإمامة بالجامع، إلى قيام دولة المُوَحِّدين. (المَرّاكُشيّ، **الذيل والتكملة**: 1/ 227 ـ 228).

وفي عهد المُوَحِّدين نال أبو العبّاس الخَزرَجي احترام الخليفة عبد المُؤمِن بن عليّ (524هـ/ 1130م ـ 558 هـ/ 1163م)، الذي ألحقه بجُملة طلبة العِلم

الملازمين لحضور مجلسه، وبالغ في الإحسان إليه، وعيّنه على الأحكام في مدينة مَرّاكُش، ثم ولاّه قضاء غَرناطة، وبعدها قضاء إشبيلية (Sevilla)، بصحبة ابنه وولي عهده أبو يعقوب يُوسُف. وعندما أصبح الأخير خليفة (558هـ/ 1163م ـ 580هـ / 1184 م)، ألزمه خدمة الخزانة العلمية أو العالية، التي كانت من الخطط الجليلة، التي لايُعيَّن لتولّيها إلا النخبة من رجال العِلم وأكابرهم. وكانت مواهب وصلات الخليفة عبد المُؤمِن بن عليّ وابنه يعقوب إليه جزيلة ومتوالية، لكنه كان يصرفها جميعاً إلى المحتاجين من معارفه وأهله، لِما اعتاده من الزُهد في حياته. ولم يكتسب شيئاً من عَرَض الحياة الدنيا، وظلّ مقتنعاً باليسير، راضياً بالبساطة في العيش، مع همّة عالية مصروفة إلى العِلم وأسبابه، ونفس أبيّة، حتى وفاته في مَرّاكُش يوم الأحد لثمان خلون من جُمَادى الأولى سنة 569 هـ / 1173 م. وصلّى عليه القاضي أبو يُوسُف حَجّاج، ورثاه صديقه وجاره الطبيب والفيلسوف أبو بكر بن الطُفيل بأبيات بعث بها من إشبيلية إلى ابنه أبي عبد اللّه.

وعلى الرغم من قول ابن عبد الملك المَرّاكُشيّ إنه «كتب من دواوين العِلم ودفاتره ما لا يُحصى كثرة وجوداً»، فإنه لا يشير إلا إلى اثنين من مؤلفاته فقط (**الذيل والتكملة**: 1/ 225، 227، 230)، وهما: أولاً: **شرحه لكتاب الشهاب في الآداب والأمثال والمواعظ المروية عن رسول اللّه صلّى اللّه عليه وسلّم**، وهو بالأصل من تأليف أبي عبد اللّه بن محمّد بن سلامة بن جعفر القُضاعي (ابن خير، **فهرسة**: 182)، وثانياً: **تصنيفه لكتاب أنوار الأفكار فيمن حل جزيرة الأندلُس من الزهاد والأبرار**. لكنه توفي قبل إتمام هذا الكتاب، فأكمله، وهذّبه، ونقحه، ورتبه، أبو عبد اللّه ابنه. وقد اطّلع ابن عبد الملك المَرّاكُشيّ على هذا الكتاب، وأخذ معظم أخبار أبي العبّاس عنه. ويبدو من عنوانه، أنه كان مختصاً بالتراجم للزهاد والعلماء الصالحين الذين حلّوا في الأندلُس.

ولقد حصل أبو العبّاس على معلوماته هذه من شيوخه الكثيرين، وثروته العلمية الضخمة التي كوّنها طوال حياته، نتيجة طلبه للعلم، وتتبُّعه لأخبار العلماء، وكان في حوزته أيضاً مجموعة كبيرة جداً من الكتب التي كان يحرص على اقتنائها، ولو بذل فيها كل ما عنده، بل يفضّلها على قوت نفسه وأسرته. ومما يُروى عنه في هذا المجال، أنه كان في أثناء حصار المُوَحّدِين لمَرّاكُش، وقد عدمت فيها الأقوات، يخرج بالدرهم ليشتري به قوتاً له ولأولاده، فربما صادف

في طريقه كتاباً للبيع، فيشتريه بذلك الدرهم، ويرجع دون قوت. وهكذا استطاع أن يُجمّع عدداً كبيراً من الكتب، أخذ منها خمسة أحمال إلى غَرناطة، حين توجَّه إليها مع القاضي أبي حمزة. ومما يؤسف له أن هذه الأحمال الخمسة فُقدت، حين تعرضت غَرناطة لفتنة داخلية بين أهل البلد، والحامية المرابطية في المدينة. وبعد تغلُّب الحامية، استُبيحت المدينة، ونُهبت، وتعرّضت دار أبي العبّاس إلى هذا النهب، ولم يبق فيها شيء من الكتب وغيرها. كذلك فَقَد أبو العبّاس مجموعة أُخرى من كتبه في أثناء اقتحام مَرّاكُش من قِبل المُوَحِّدين سنة 541 هـ / 1146م.

وكان أبو العبّاس الخَزرَجي مع تقدُّمه في الفِقه والحديث والأدب، بكيء اللسان، قصير الباع في الكلام، لفرط حياء كان فيه. لكنه كان على العكس من ذلك تماماً في الكتابة حين يخلو إلى نفسه، حيث تتفجر فيه مَلَكة التأليف، والبلاغة، وفنون المعرفة. ولأبي العبّاس أيضاً موهبة متميّزة في نظم الشِعر، ولاسيما شعره في الزهد وطريقته في هذا الباب، كما يرى المَرّاكُشيّ، «لاينفذ فيها إلا من قويت عارضته وتوفرت مادته...». (**الذيل والتكملة**: 1/ 230). وشِعره في هذا المجال كثير، وقد أشارت مصادر ترجمته إلى نماذج منه تدلّ على جودته وسلاسته وإبداعه.

المصادر والمراجع:

ابن الأبّار، **التكملة لكتاب الصّلة**، نشر، عزت العطار الحسيني، القاهرة، مكتبة الخانجي، 1955 ـ 1956: 1/ 76؛ ابن الأبّار، **المقتضب من كتاب تحفة القادم**، ط2، تحقيق، إبراهيم الأبياري، بيروت، دار الكتاب اللبناني، 1983، ص 102؛ ابن عبد الملك المَرّاكُشيّ. **الذيل والتكملة**، تحقيق، محمّد بن شريفة، بيروت، دار الثقافة، 19، السِفْر الأول: 1/ 223 ـ 232؛ ابن الخطيب، **الإحاطة في أخبار غَرناطة**، ط2، تحقيق، محمّد عبد اللّه عنان، القاهرة، مكتبة الخانجي، 1973: 1/ 182 ـ 186؛ ابن فرحون، **الديباج المذهب**، تحقيق، محمّد الأحمدي أبو النور، القاهرة، دار التراث، 1972: 1/ 211 ـ 214؛ الصفدي، **الوافي بالوفيات**، باعتناء إحسان عَبّاس، بيروت، دار صادر، 1969: 7/ 47 ـ 48؛ المَقّري، **نَفح الطّيب من غصن الأندلُس الرطيب**، تحقيق، إحسان عَبّاس، بيروت، دار صادر، 1968: 3/ 333، 4/ 319؛ العبّاس بن إبراهيم، **الإعلام بمن حلّ مَرّاكُش وأغمات من الأعلام**، المطبعة الملكية، الرباط، 1974: 2/ 72 ـ 84.

http://al-maktabeh.com

6 ـ عليّ بن محمّد بن عليّ بن جميل المعافري (605 ـ هـ/ 1208م):

أبو الحسن عليّ بن محمّد بن عليّ بن جميل المعافري المالقي، محدّث، نحوي، مقرئ. من أهل مالقة Malaga في الأندلُس، نشأ بها، وأخذ عن شيوخها، أمثال أبي القاسم السهيلي. ثم عبر إلى المغرب، فأخذ بسَبتة عن أبي الصبر الفِهْري، وببجاية عن محمّد بن عبد الحق بن الخراط. وأكمل علومه في مصر، فسمع من أبي الفتح محمود بن أحمد عليّ القابوني، ثم في دمشق، حيث أخذ عن أبي طاهر الخشوعي، وأبي القاسم عليّ بن عساكر. وحج إلى مكة سنة 577هـ/ 1181م، ولقي هناك أعلاماً روى عنهم. كذلك سمع في المسجد الأقصى عن جماعة من العلماء سنة 582هـ/ 1186م، منهم أبو الفرج يحيى بن أبي الرجاء، وسعد بن أبي طاهر، وأحمد بن محمود بن أحمد الثقفي. كما سمع أيضاً عن جمال الدين أبي القاسم عبد الرحيم بن عليّ القرشي سنة 604هـ/ 1207م.

استقرّ المعافري في المسجد الأقصى، ومن الذين أخذوا عنه ببيت المقدس، أخوه أبو زيد عبد الرحمن، وأبو الحسن بن محمّد بن خروف القُرطُبي. وقد عُرِف المعافري هناك بالشيخ المالقي، وكان ورعاً، زاهداً، فاضلاً، حافظاً للحديث، عارفاً بالقراءات، إماماً في النحو، حسن الخط، اشتهر في بلاد الشام بمتانة الدين، وكمال الفضل. وعندما افتتح السلطان صلاح الدين الأيوبي بيت المقدس سنة 583هـ/ 1187م، التُمس إماماً يكون خطيبه، وصاحب الصلاة به. فأجمع من حضر هناك من العلماء والأفاضل على ترشيحه لذلك المنصب. فعيّنه السلطان إماماً في قبة الصخرة المشرفة. وينقل ابن عبد الملك المَرّاكُشيّ عن العماد الأصبهاني قوله في هذه المناسبة: «ورتب السلطان في قبة الصخرة إماماً من أحسن القراء تلاوة، وأزينهم طلاوة، وأنداهم صوتاً، وأسماهم في الديانة صيتاً، وأعرفهم بالقراءات السبع بل العشر، وأطيبهم في العَرْف والنشر، وأغناه، وأقناه، وأولاه لِما ولاّه، ووقف عليه داراً وأرضاً وبستاناً، وأسدى إليه معروفاً دارًا وإحساناً».

واستمر هذا الرجل في منصبه، وكان خلال ذلك لا يكتفي بالقيام بواجبات منصبه الديني فحسب، بل واصل الدراسة وتلقّي العلم، وساهم في الحياة الثقافية في مدينة القدس، فسمع في شهر رمضان من سنة 596هـ/ 1199م كتاب **فضائل القدس** على مصنفه الحافظ بهاء الدين أبي القاسم بن عساكر. (الحنبلي، **الأنس الجليل**: 2/

135). وبذلك يكون هذا العالِم قد أسهم مساهمة فعالة في نقل العِلم الذي أخذه في شبابه عن شيوخ مالقة، إلى المشرق، ثم أكمله في بقية جولاته في المشرق، وظهر واضحاً في رفد الحركة الثقافية في مدينة القدس بعد التحرير. وكان أثره كبيراً في هذه المدينة حتى وفاته سنة 605هـ/ 1208م، فكانت جنازته مشهورة لم يتخلف عنها أحد، حتى نصارى كنيسة القيامة، الذين ساروا وراءه، ورموا بثيابهم على نعشه، للتبرُّك به. ولا يوافق ابن عبد الملك المَرَّاكُشيّ، على ما نقله عن ابن الأَبّار من أن المعافري قد رجع إلى الأندلُس، وهو محقٌّ في هذا، ومع ذلك فإن ما وصلنا من ترجمة مختصرة للمعافري عند ابن الأَبّار لا يتضمّن هذا الخبر.

المصادر والمراجع:

العماد الأصبهاني، **الفتح القسي في الفتح القدسي**، تحقيق، محمّد محمود صبح، القاهرة، الدار القومية للطباعة والنشر، 1965: 141 ـ 142؛ ابن الأَبّار، **التكملة لكتاب الصِّلة**، نشر، فرانسسكو كوديرا، مدريد، 1886: 6775 الترجمة 1879؛ ابن واصل، **مفرج الكروب في أخبار بني أيوب**، تحقيق، جمال الدين الشيال، القاهرة، المطبعة الأميرية، 1957: 2/ 230؛ ابن عبد الملك المَرَّاكُشيّ، **الذيل والتكملة لكتابَي الموصول والصِّلة**، تحقيق، إحسان عَبّاس، بيروت، دار الثقافة، 1965، السِفْر الخامس/ القسم الأول: 314 ـ 316؛ الحنبلي، **الأنس الجليل في تاريخ القدس والخليل**، عمان، 1973: 2/ 135؛ ابن العماد الحنبلي، **شذرات الذهب**، ط2، بيروت، دار المسيرة، 1979: 5/ 17؛ عبد الجليل حسن عبد المَهْدي، **الحركة الفكرية في ظلّ المسجد الأقصى في العصرَين الأيوبي والمملوكي**، عمان، مكتبة الأقصى، 1980: 54؛ أحمد بدر، «الأندلُسيون والمغاربة في القدس»، **مجلة أوراق**، العدد الرابع، مدريد، 1981: 132؛ عبد الواحد ذنون طه، «القدس وعلماء الغرب الإسلامي عشية الاحتلال الصليبي وفي أثناء التحرير»، **مجلة التراث العربي**، العددان 86 ـ 87، دمشق، 2002: 239 ـ 240.

7 ـ محمّد بن أحمد بن سُليمان الزهري الأندلُسي (560 ـ 617 هـ/ 1164 ـ 1220م):

أبو عبد اللّه محمّد بن أحمد بن سُليمان الزُهري الأندلُسي الإشبيلي، أديب،

نحوي، لغوي، بياني، مُحدِّث، وعالِم بالقراءات. ولد في مدينة مالقة (Málaga)، وتنقَّل في كثير من مدن الأندلُس طلباً للعِلم. واستوطن في بعضها لهذا فقد عُرف أيضاً بالإشبيلي، وبالشريشي، كما لُقب أيضاً بالغزّال، لأنه ربما كان يمتهن مهنة غزل الصوف. خرج من الأندلُس في رحلة علمية في أواخر العقد التاسع من القرن السادس للهجرة، فدخل مصر، وسمع الحديث بالإسكندرية عن أبي البركات هبة اللّه بن عبد اللّه بن هبة اللّه بن أوس الأَزْدي، وأبي المعالي بن أبي محمّد بن عبد اللّه بن عليّ المازري، وروى عنهما. ثم دخل بلاد الشام والجزيرة، وسمع ولقي بها بعض فضلاء العلماء. كذلك أقام بالموصل مدة في طلب الحديث، وسمع وكتب فيها. ولقي في إربل الشيخ أبا المظفر المبارك بن طاهر الخزاعي. ثم قدم بغداد سنة 590هـ/ 1194م، وعمره ثلاثون عاماً، وأقام بها مدة، وسمع من شيوخها كأبي الفرج بن كليب، وذاكر بن كامل الخفاف، ويحيى بن أسعد بن بوش، وأبي محمّد عبد الخالق بن عبد الوهاب الصابوني وغيرهم.

وتوجَّه الزهري من العراق إلى أصبهان، وسمع فيها من أبي جعفر الصيدلاني، ومن أصحاب أبي عليّ الحسن بن الحداد، ومن بعده. ثم خرج إلى الكَرَج، التي هي مدينة بين همدان وأصبهان، وهي إلى همدان أقرب. وقد استقرّ فيها وتزوج، لكنه، وكما يبدو من شعره، لم يكن مرتاحاً فيها. (**تاريخ اربل**: 1/ 90): **[الرمل]**

أنا مأسور بحيطان الكَرَج ... في عناءٍ أسألُ اللّهَ الفرجْ

ليس بالمغبوط من يسكنها ... إنما المغبوطُ من منها خرجْ

لكن ياقوتاً الحموي، الذي كان قد التقى به في بغداد، يشير إلى أن استقراره بعد مغادرة بغداد، وزيارة بلاد الجبل، كان ببلدة بَرُوجِرْد، التي تأهل فيها، وولد له بها أولاد. ويحتمل أنه انتقل من الكَرَج إلى برُوجِرْد، كما أشار إلى ذلك الصفدي. وفي أي حال، فالمدينتان قريبتان الواحدة من الأخرى، فبرُوجِرْد تقع بين همدان والكَرَج، ولا تبعد عن الأخيرة سوى عشرة فراسخ، كما يقول ياقوت. وربما كان جمال نساء هذه المنطقة هو الذي شدَّ الزهري للتزوج منهم، والاستقرار بين ظهرانيهم، على الرغم من «لؤم سكانها» و «بخلهم». وهذا يفسر ضيقه من مدينة الكَرَج، ورغبته بالخروج منها، ويؤيد هذا ما أورده ياقوت من أبيات يهجو بها بعضهم أهل بَرُوجِرْد: **[المتقارب]**

بَـرُوجِـرْدُ فـي طـيـبـهـا جَـنَّـةٌ وما عـيـبـهـا غـيـر سُـكّـانـهـا
ولـكـن يُـغـطّـي عـلـى لـؤمـهـم وبـخـلـهـمُ جـود نِـسْـوانـهـا

وقد أقام الزهري في هذه المدينة يُقرئ الأدب إلى حين تعرُّض المنطقة إلى خطر داهم العالم الإسلامي من جهة الشرق، ذلك هو هجوم التتار، الذين خرجوا من أطراف الصين، ووصلوا في سنة 617هـ/ 1220م إلى مناطق الرَّيّ والجبل وهمدان، وما فيها من البلاد التي من ضمنها منطقة الكَرَج وبَرُوجِرْد. فخربوا هذه المناطق، وقتلوا الكثير من سكانها، وكان منهم الزهري، الذي استشهد يوم 17 رجب من هذا العام.

لقد تميّز الزهري بنشاطه العلمي الكثيف، الذي مارسه بشكل كبير في كل المناطق التي تواجد فيها خلال جولاته المتعددة، ورحلاته العلمية. وكان يترك أثراً إيجابياً في تلك المناطق، تدفع ببعض زملائه من العلماء إلى تتبُّع أخباره، حتى بعد مغادرته. من ذلك مثلاً، ما أشار إليه ابن المستوفي، بعد أن ذكر نشاطه في إربل، واتصاله بشيخه أبي المظفر المبارك الخزاعي، فيقول: «وهو الآن ـ فيما ذُكر لي ـ ببلاد العَجَم». (**تاريخ إربل**: 1/ 89). أما مُحب الدين محمّد بن محمود ابن النجار (643هـ/ 1245م)، فقد اجتمع به في أصبهان، وصادقه، وكتب عنه أحاديث وأناشيد. كذلك لقيه ياقوت الحموي في بغداد، التي أكثر الزهري من سماع الحديث فيها، ويقول عنه: «. . . وكتب بخطه الكثير، وصنَّف... وكان لي صديقاً مُعاشراً، حسن الصحبة عُذريّ القلب، جيد الشِعر، أنشدني كثيراً من شِعره، لم أثبته. . .». (**مُعجَم الأدباء**: 17/ 277).

ويبدو أن غالبية كتبه وتصانيفه التي صنّفها، كانت في مكان استقراره الأخير في الكَرَج وبَرُوجِرْد. فيشير ياقوت إلى شرحه **الإيضاح في النحو** في المدينة الأخيرة. وكتاب **الإيضاح**، الذي شرحه، هو بالأصل لأبي عليّ الفارسي، الذي ألّفه لعضد الدولة البويهي. وقد بلغ حجم شرح الزهري خمسة عشر جزءاً. كذلك شرح الزهري **مقامات الحريري** في مجلد واحد، أسماه **شرح المقامات**. كما ألّف **شرح اليميني** في مجلد، وكتاب **اليميني** هو لأبي النصر محمّد بن عبد الجبار العتبي، كاتب السلطان محمود الغزنوي، وهو الموسوم **بتاريخ العتبي** أو **اليميني في تاريخ يمين الدولة محمود سبكتكين**، وهو مطبوع.

ومن مؤلفاته الأخرى : كتاب **البيان والتبيين في أنساب المُحدّثين**، وهو في ستة أجزاء، و**البَيان فيما أُبهم من الأسماء في القرآن**، في مجلد واحد، و**أقسام البلاغة وأحكام الفصاحة أو (الصناعة)**، جزءان، وهذه الكتب مفقودة الآن.

المصادر والمراجع:

ياقوت، **مُعجَم الأدباء**، بيروت، طبعة دار المستشرق :17/ 277؛ ياقوت، **مُعجَم البلدان**، بيروت، دار صادر، 1977 :1/ 404، 4/ 446؛ ابن الأثير، **الكامل في التاريخ**، بيروت، دار صادر، 1979: 12/ 358 (عن هجوم التتار)؛ ابن المستوفي، **تاريخ إربل**، تحقيق، سامي الصقار، بغداد، دار الرشيد، 1980 :1/ 89، 2/ 99 ـ 102؛ المنذري، **التكملة لوفيات النقلة**، تحقيق، بشار عواد معروف، القاهرة، مطبعة عيسى البابي الحلبي، 1975: 5/ 25 الترجمة 1754؛ ابن عبد الملك المَرّاكُشيّ، **الذيل والتكملة لكتابي الموصول والصِّلة**، تحقيق، إحسان عَبّاس، بيروت، دار الثقافة، 1965، السِفْر الخامس/ القسم الثاني: 644 ـ 645 وهامش (2)؛ الصفدي، **الوافي بالوفيات**، باعتناء هلموت ريتر، فيسبادن، 1961 أعيدت طباعته في طهران: 2/ 104 ـ 105 الترجمة 426؛ السُيوطيّ، **بغية الوعاة**، تحقيق، محمّد أبو الفضل إبراهيم، بيروت، المكتبة العصرية، 1964 :1/ 25 ـ 26؛ المَقّري، **نَفح الطِّيب من غصن الأندلُس الرطيب**، تحقيق، إحسان عَبّاس، بيروت، دار صادر، 1968: 2/ 214؛ حاجي خليفة، **كشف الظنون**، إستانبول، 1941 أعادت طبعه مكتبة المُثَنّى في بغداد : 1/ 136، 212، 262، 263؛ كحالة، **مُعجَم المؤلفين**، دمشق، مطبعة الترقي، 1957 :8/ 265؛ عبد الواحد ذنون طه، «صور من التأثير العلمي بين الموصل والأندلُس»، بحث ضمن محاضر **المؤتمر العلمي الأول لتاريخ العلوم عند العرب**، مركز التراث العلمي العربي/ جامعة بغداد، 4 ـ 6 مايو/ أيار 2002.

8 ـ محمّد بن أحمد الأنْدَراشي، ابن البَلَنْسي (544 ـ 621هـ/م 1149 ـ 1224م):

أبو عبد اللّه محمّد بن أحمد بن محمّد بن عبد اللّه، يُعرف بابن اليتيم وابن البَلَنْسي وبالأنْدَراشي، مُحدّث وعالم بالقراءات. أندلُسي من أهل المَريَّة (Almeria)، وأصله من مدينة بَلَنْسِية (Valencia). ولد يوم الأحد الخامس من

شوال عام 544هـ، وسمع منذ صغره الحديث النبوي الشريف عن أبيه أبي العبّاس وأكثر عنه. وطاف في عدد كبير من مدن الأندلُس، بحثاً عن السماع، وملاقاة الشيوخ. فقد رحل إلى بَلَنْسِية في رجب من سنة 562هـ/ 1166م، ولقي فيها أحد كبار مقرئيها أبا الحسن بن هُذَيل، ولقي أيضاً أبا الحسن بن النعمة، وأبا محمّد بن عاشر، وأبا عبد اللّه بن سعادة. وفي مُرسِيه (Murcia) لقي أبا القاسم بن حبيش، وفي مالقة (Málaga) لقي أبا إسحاق بن قُرقُول، وأبا عبد اللّه بن الفخّار، وأبا عبد اللّه الإستِجي الخطيب السهيلي. ولقي عدداً آخر من شيوخ الأندلُس في مختلف المدن الأخرى، مثل أُشونة (Osuna)، وقُرطُبَة (Cordoba)، وغَرناطة (Granada)، وكاتبَ من لم يستطع أن يلقاه في بعض المدن الأخرى، مثل إشبيلية (Sevilla)، حيث كتب إليه منها أبو إسحاق بن فرقد.

وللأَنْدَراشي رحلة طويلة خارج الأندلُس في طلب العلم، ابتدأها سنة 566 أو 567 هـ/ 1170 أو 1171م، شملت المغرب وشمال إفريقيا، ومصر، والحجاز، والعراق، وبلاد الشام. وبعد رجوعه من هذه الرحلة، تولّى مناصب متعددة، منها القضاء في دَلاية (Dalias)، التي تقع في محافظة المَريّة الحالية، ثم تولّى الخطبة في المسجد الجامع في قصبة المَريّة. وكذلك تولّى القضاء في أَنْدَراشْ (Andrax)، ربما لمدة طويلة، ولهذا لُقّب بالأَنْدَراشي.

لقي الأَنْدَراشي في رحلته العلمية عدداً كبيراً من الشيوخ، الذين كان يقصدهم في كل بلد يحلّ فيه، سواءٌ كان في الأندلُس أم المغرب أم المشرق. وعدد هؤلاء الشيوخ الذين لقيهم وأجازوا له يزيد على مائة شيخ، وقد أشرنا إلى بعضهم في الأندلُس، ونذكر قسماً آخر منهم في مختلف المناطق التي حلّ فيها، ففي مدينة فاس لقي أبا الحسن بن حنين، وسمع منه **المُوَطَّأ** وأجاز له. وفي بِجاية لقي أبا محمّد عبد الحق الإشبيلي وسمع منه، وسمع في المَهْدية من قاضيها أبي يحيى بن الحداد، وفي الإسكندرية من أبي محمّد العثماني وأبي طاهر السِّلَفيّ، وأبي عبد اللّه الحضرمي، وفي القاهرة من أبي محمّد عُثمان بن فرج. ولقي في مكة عدداً كبيراً من الشيوخ، منهم أبو محمّد المبارك بن الطباخ. وفي بغداد لقي أبا الفرج الجوزي، وشُهْدة بنت الآبري. وفي دمشق أبا القاسم بن عساكر صاحب **تاريخ مدينة دمشق**، وفي الموصل، لقي أبا الفضل عبد اللّه بن عبد القادر الطوسي، وأبا الفتح نصر بن عبد الملك السري الموصلي.

وقد روى عن الأَنْدَراشي في المشرق والأندلُس عدد كبير من العلماء الذين التقوه، وأخذوا عنه، أشار ابن عبد الملك المَرّاكُشيّ إلى نحو عشرين رجلاً منهم. (**الذيل والتكملة** : 6/ 479). ما يدلّ على غزارة علمه وإقبال طلبة العِلم عليه. لقد كان الأَنْدَراشي معدوداً في المُجوِّدين من مُقرئي القرآن، حسن التصرف في طريقة الحديث، برّ المعاملة، جميل العشرة، كريم الأخلاق، عدلاً، ثقةً في ما يرويه. ومع هذا فقد غمزه بعض منافسيه بالاضطراب في روايته. ويبدو أن هذا محض اتهام، لا ينبغي الالتفات إليه. ولو كان ذلك صحيحاً لما أَخذ عنه جلة العلماء في المشرق والمَغرِب والأندلُس، ووثقوه، واستجازوه، أمثال أبي سُليمان بن حوط اللّه، الذي هو من أقرانه في الأندلُس. وكذلك أكابر أصحاب أبي عبد اللّه محمّد بن الأبّار، الذي طلب هو الآخر من الأَنْدَراشي أن يجيزه في جميع روايته، فتمّ له ذلك في شعبان سنة 610هـ/ 1213م. وقد استمر هذا العالم بالعطاء إلى أن وافته المنية في 18 ربيع الأول عام 621هـ/ 1224م في طريقه إلى مالقة، فنقل جثمانه إلى المَريّة، حيث دفن بجانب والده في مقبرة باب بجانة.

المصادر والمراجع:

المنذري، **التكملة لوفيات النقلة**، تحقيق، بشار عواد معروف، القاهرة، مطبعة عيسى البابي الحلبي، 1975: 5/ 201 الترجمة (2009) ؛ ابن الأبّار، **التكملة لكتاب الصّلة**، نشر، عزت العطار الحسيني، القاهرة، مكتبة الخانجي، 1955 ـ 1956: 2/ 613 ـ 615؛ ابن عبد الملك المَرّاكُشيّ، **الذيل والتكملة لكتابَي الموصول والصّلة**، تحقيق، إحسان عَبّاس، بيروت، دار الثقافة، 1973: 6/ 44 ـ 48؛ الذهبي، **تاريخ الإسلام**، الطبقة 63، تحقيق، بشار عواد معروف وشعيب الأرناؤوط وصالح مهدي عَبّاس، بيروت، مؤسسة الرسالة، 1988: 66؛ الذهبي، **سِيَر أعلام النبلاء**، ط3، تحقيق، بشار عواد معروف ومحيي هلال السرحان، بيروت، مؤسسة الرسالة، 1986: 22/ 250 ـ 252؛ الصفدي، **الوافي بالوفيات**، ط2، باعتناء، هلموت ريتر، طهران، 1961: 2/ 116؛ ابن حَجَر، **لسان الميزان**، ط2، بيروت، مؤسسة الأعلمي، 1971: 5/ 50؛ ابن العماد الحنبلي، **شذرات الذهب**، ط2، بيروت، دار المسيرة: 5/ 95 ـ 96.

9 ـ محمّد بن يُوسُف بن أبي يداس البِرزاليّ الإشبيلي (577 ـ 636هـ/ 1181 ـ 1238م):

زكي الدين أبو عبد اللّه محمّد بن يُوسُف بن محمّد بن أبي يداس البِرزاليّ الإشبيلي، مُحدِّث، أندلُسي من مدينة إشبيلية (Sevilla)، ينتمي إلى قبيلة برزالة البربرية. وهو جدّ شيخ ابن عساكر، الحافظ علم الدين بن القاسم بن محمّد بن يُوسُف البِرزاليّ، مؤرخ دمشق. ولد سنة 577هـ، وتلقّى تعليمه الأولي في بلده الأندلُس. رحل إلى المشرق بقصد الحج وطلب الحديث النبوي الشريف سنة 602هـ/ 1205م. فقصد مدينة الإسكندرية، حيث باشر سماع الحديث وكتابته. فسمع فيها من الحافظ عليّ بن المفضل، وعبد اللّه العثماني. وسمع في القاهرة من القاضي عبد اللّه بن مجلي، وكان زميله في السماع الحافظ المنذري، الذي تبادل معه السماع عند شيخهما الحافظ أبي الحسن المقدسي في القاهرة. (**التكملة لوفيات النقلة**: 6/ 313). وقدم مكة، فجاور فيها مدة تقرب من ثلاث سنوات، سمع خلالها من شيوخ متعددين أمثال زاهر بن رستم، ويونس الهاشمي. وغادر إلى دمشق التي وصلها في سنة 605هـ/ 1208م، وعاد بعدها إلى مصر، ثم كرّ راجعاً إلى دمشق، التي لم يبقَ فيها طويلاً أيضاً، حيث رحل إلى خراسان مبتدئاً جولة جديدة من السماع وطلب الحديث النبوي الشريف. فسمع في أصبهان من عين الشمس الثقفية، وفي نيسابور من منصور الفراوي، والمؤيد بن محمّد بن عليّ الطوسي، الذي سمع منه **صحيح مسلم**، وغير ذلك. واستمع إلى شيوخ كثيرين في هراة، ومرو، وهمذان، وإربل. ثم زار بغداد وتكريت، حيث التقى بأبي الفتوح يحيى بن أبي السعادات بن سعد اللّه التكريتي (618هـ/ 1221م)، صاحب دار الحديث فيها، وسمع منه، ووصل إلى الموصل، وحران ثم استوطن أخيراً في دمشق وأعقب فيها، وقد استمع فيها إلى عدد من علمائها، منهم : أبو البركات بن عساكر، وأبو الحسن عليّ بن محمود الصابوني، وأبو القاسم الحُسين بن صصرى، والقاضي أبو القاسم الحرستاني، وغيرهم.

عُرف البِرزاليّ في دمشق بخلقه الراقي، وبشاشته، وكثرة احتماله، وأنه كان ثقة يحفظ الحديث ويذاكر به، جيد الضبط، صحيح العقيدة، حسن الخط، نسخ لنفسه وللناس بخط حلو مغربي. وجمع من الحديث شيئاً كثيراً، وخرّج لأشياخه

عوالي مفيدة، وجمع لهم أسماء شيوخهم، ضمن تصنيف عرف **بالمُعجَم الكبير في الشيوخ**. وكان إماماً بمسجد فُلوس بدمشق، وشيخاً للحديث في مشهد ابن عروة. وتخرّج عليه كثيرون، منهم أبو حامد بن الصابوني، وعُمَر بن يعقوب الأربلي، وأبو المجد بن العديم، وجمال الدين بن واصل الحموي، وأبو الفضل بن عساكر، ومحمّد بن يُوسُف الذهبي، وغيرهم. توفي البِرزاليّ في مدينة حَماة في 14 رمضان سنة 636هـ/ 1236م.

المصادر والمراجع:

ابن المستوفي، **تاريخ أربل**، تحقيق سامي بن السيد خماس الصقار، بغداد، دار الرشيد، 1980: 1 / 300 وهامش(1)، 2/ 502 ـ 503؛ المنذري، **التكملة لوفيات النقلة**، تحقيق، بشار عواد معروف، القاهرة، مطبعة عيسى البابي الحلبي، 1976: 6/ 312 ـ 313 (الترجمة 2893)؛ ابن الأبّار، **التكملة لكتاب الصّلة**، نشر، عزت العطار الحسيني، القاهرة، مكتبة الخانجي، 1955 ـ 1956: 2/ 642 ـ 643؛ أبو شامة، **ذيل الروضتين**، تحقيق، عزت العطار الحسيني، دمشق، 1947: 168؛ ابن الصابوني، **تكملة إكمال الإكمال**، تحقيق، مصطفى جواد، بغداد، مطبعة المجمع العلمي العراقي، 1957؛ الذهبي، **تذكرة الحفاظ**، ط4، بيروت، دار إحياء التراث العربي، عن نسخة الحرم المكي: 4/ 1423 ـ 1424؛ الذهبي، **سِيَر أعلام النبلاء**، ط3، تحقيق، بشار عواد معروف ويحيى هلال السرحان، بيروت، مؤسسة الرسالة، 1986: 23/ 55 ـ 56؛ الذهبي، **العِبر في خبر من غَبر**، تحقيق، أبو هاجر محمّد بسيوني زغلول، بيروت، دار الكتب العلمية: 3/ 314؛ الصفدي، **الوافي بالوفيات**، باعتناء، س ديدرينغ، فيسبادن، 1970: 5/ 252 الترجمة (2331)؛ اليافعي، **مرآة الجنان**، الهند، حيدر آباد الدكن، 1338: 4/ 94؛ ابن كَثير، **البداية والنهاية**، ط2، بيروت، دار المعارف، 1977: 13/ 153؛ ابن تَغري بِردي، **النجوم الزاهرة**، مصورة عن طبعة دار الكتب، القاهرة، وزارة الثقافة: 6/ 314؛ ابن القاضي، **دُرّة الحجال في أسماء الرجال**، تحقيق، محمّد الأحمدي أبو النور، تونس، القاهرة، المكتبة العتيقة ودار التراث، 1971: 2/ 298؛ ابن العماد الحنبلي، **شذرات الذهب**، ط2، بيروت، دار المسيرة، 1972: 5/ 182؛ البغدادي، **هَدِيّة العارفين**، إستانبول، 1955، منشورات مكتبة المثنى في

بغداد : 2/ 113؛ الزركلي، **الأعلام**، ط2، القاهرة، مطبعة كوستانوماس، 1955: 8/ 24.

10 - إبراهيم بن محمّد بن إبراهيم البَطَلْيوسي (637هـ/1239م):

إبراهيم بن محمّد بن إبراهيم، يُكنّى أبا إسحاق، ويُعرف بالأعلم. أديب، لغوي، مقرئ، ويرد أيضاً في بعض المصادر على أنه إبراهيم بن القاسم. ولد في مدينة بَطَلْيوس (Badajoz)، في غرب الأندلُس، وسكن في إشبيلية (Sevilla). روى عن أبيه وعن أبي زيد المعروف بابن الجنديرة في بَطَلْيوس. وعن أبي الحسن بن سُليمان المقرئ، وأبي عبد اللّه بن زرقون، وأبي العبّاس بن سعيد، وغيرهم. وقد اختص بأبي الحسن بن سُليمان المقرئ ولازمه كثيراً. وقرأ النحو بشكل خاص على الأُستاذ النحوي هذيل بن محمّد بن هذيل الأنصاري الإشبيلي، الذي كان لطيفاً، كثير النوادر، فأخذ عنه علم العربية، وحكى الكثير من نوادره أيضاً، وكان ينزع منزعه في موارده ومصادره (ابن سعيد، **اختصار القِدح المعلّى** : 157). وكان على اتصال بأبي بكر محمّد بن زهر، صاحب الموشحات المعروف، الذي عاش صدراً من حياته في الأندلُس وبقيتها في مَرّاكُش وتوفي سنة 595هـ/ 1198م. وقد نقل عنه، كما أشار (المَقّري، **نَفح الطّيب** : 7/ 6/ 7) بعض آرائه وتقويماته للوشاحين بالأندلُس.

ويُعدّ عليّ بن سعيد المغربي (ت685هـ/ 1286م) من أبرز تلاميذ إبراهيم البَطَلْيوسي، فقد قرأ عليه بإشبيلية، ولازمه مدة طويلة، وحين غادر ابن سعيد إشبيلية، كان البَطَلْيوسي من أشهر المتصدرين للإقراء في هذه المدينة. وينتقد ابن سعيد أُستاذه بسبب عدم تواضعه، وتعاليه، فيقول : «قرأت عليه مدة ما شاء اللّه من كتب، ووقفت على جملة من تصانيفه التي كان يزعم أنه لم يخلق اللّه تعالى من يصنّف مثلها في فنون العرب». (ابن سعيد، **اختصار القِدح المعلّى** : 157). كذلك يأخذ عليه، ضيق خلقه، وصعوبة التعامل معه، قائلاً : إنه لم ير في أشياخ الأدباء أصعب خُلُقاً منه. ويورد في ذلك أمثلة منها، أنه كان يغضب حتى من طيران الذباب حوله، ويضرب من يلمزه أو يتبسم من حركاته أو كلامه. ومما يشير أيضاً إلى شدة تبرُّمه وشكاسة خُلقه أنه قال شِعراً في هجاء إشبيلية، المدينة الجميلة، التي لم يقل أحد من الشعراء شِعراً في هجائها أو تفضيل بلد آخر عليها.

وقد أورد المترجمون له البيتين الآتيين، اللذين قالهما في هذا الشأن : **[المجتث]**

يـا حِـمـصُ لا زلـتِ داراً　　لـكـل بـؤس وسـاحـة

مـا فـيـك مـوضـع راحـة　　إلا ومـا فـيـه راحـة

ويبدو أن تَبرُّم إبراهيم البَطَلْيوسي، وسوء خُلُقه قد جاء نتيجة الأوضاع المتردية التي عاصرها في أواخر عهد الدولة الموحدية في الأندلُس، وفي إشبيلية بالذات، التي تغلَّب عليها محمّد بن يُوسُف بن هود الجذامي. لكن الأوضاع لم تستقر فيها، حيث نشبت حركة تمرد وانشقاق في المدينة قادها أحد أعيانها ويدعى بالباجي، فخلع طاعة ابن هود، وأبدل أعلامه العبّاسية السود. وقد نجم عن هذه الفتنة الكثير من القَتْل، والنهب فضلاً عن حصار المدينة وانتشار الفقر بين الناس. ما سبَّب هجرة الكثيرين من أهلها، والاستياء والكآبة للبَطَلْيوسي. ويعبّر ابن سعيد عن وجهة نظر البَطَلْيوسي برواية ينقلها عن والده، الذي كان كثيراً ما يتعجب من تبرُّم البَطَلْيوسي بالزمان، وعدم رضائه بالأوضاع السائدة في عصره، فيقول : «جلست معه يوماً، وأُخذتُ فيما حلّ بإشبيلية أيام فتنة الباجي وقَتْلِ من قُتِلَ، وفقر من فقر، فأطرق وتنفس الصعداء، وقال دعهم، لا يفلحوا إذا أبداً. ثم أنشد: **[الوافر]**

دَع الأيـام تُـنـصـفُ مـن أنـاسٍ　　إذا صارت لهم حقروا الكراما

ولا تَدمع جفونك إن تفانوا　　ولا تـقـرأ عـلـى أحـد سـلامـا

ونكّب عن مصارعهم جزاء　　ولا تـحـفـظ لـمـذموم ذِمـامـا

وفـكـر فـي صـنـيـعـهـم ولاةً　　لـتـشـك فـي تـسرُّعه الـحـمـامـا

صحبت الناس جيلاً بعد جيل　　فـلـم أر مـن أودُّ لـه الـمـقـامـا»

مارس البَطَلْيوسي التدريس، فأقرأ تلاميذه القرآن الكريم، وعلوم اللغة العربية، واشتهر بكثرة تصانيفه التي بلغت نحو خمسين مؤلفاً (المَقَّري، **نَفح الطِّيب** : 3/ 452)، منها **شروح على الإيضاح**، **والجُمل**، **والكامل**، **والأمالي**، **والجمع بين الصحاح للجوهري**، **والغريب المصنَّف**. وقد كان له اهتمام بالتاريخ أيضاً، فألّف كتاباً في **تاريخ بَطَلْيوس**، أو في **أهل بَطَلْيوس** (ابن الأَبّار، **التكملة** : 1/ 170). ومن المؤسف أن هذه الكتب تعدُّ في المفقودات، وليس لدينا عنها، سوى هذه الإشارات

العابرة، وشهادة ابن سعيد التي تقول إنه وقف على جملة منها، لكنه مع ذلك لا يشير إلى أسمائها أو موضوعاتها. وقد استمر البَطَلْيوسي بالإقراء في إشبيلية إلى أن توفي فيها سنة 637هـ/ 1240م أو نحوها بحسب قول ابن الأبّار. أما ابن سعيد فيشير إلى أن تاريخ وفاته حسبما بلغه هو 642هـ/ 1244م.

المصادر والمراجع:

ابن الأبّار، **التكملة لكتاب الصّلة**، نشر، عزت العطار الحسيني، القاهرة، 1956: 1/ 170؛ ابن سعيد، **المُغرِب في حلى المَغرِب**، تحقيق، شوقي ضيف، القاهرة، دار المعارف، 1964: 1/ 369؛ ابن سعيد، **اختصار القِدح المعلّى**، اختصره، محمّد بن عبد اللّه بن خليل، ط2، تحقيق، إبراهيم الأبياري، بيروت، دار الكتاب اللبناني، 1980، 157؛ السُّيوطيّ، **بغية الوعاة**، تحقيق، محمّد أبو الفضل إبراهيم، القاهرة، 1965: 1/ 422؛ المَقّري، **نفح الطّيب**، تحقيق، إحسان عبّاس، بيروت، دار صادر، 1968: 3/ 451 ـ 452، 596، 7/ 6، 7؛ الزركلي، **الأعلام**، ط2، القاهرة، مطبعة كونستانوماس، 1955: 1/ 60.

11 ـ عبد اللّه بن أحمد الأنصاري الداني (591 ـ 646هـ/ 1195 ـ 1248م):

أبو محمّد عبد اللّه بن أحمد بن عبد اللّه بن محمّد، فقيه، أديب، شاعر، وله اهتمام بالطب، أندلُسي من أهل دانية (Dania)، وسكن مدينة شاطِبة (Játiva). درس في مدينته الآداب على عمّه أبي الحُسين يحيى بن عبد اللّه، والعربية على أبي عبد اللّه التُجيبي. وسمع الحديث من أبي بكر أسامة بن سُليمان، وأبي القاسم بن إدريس. وانتقل إلى مدينة إشبيلية (Sevilla)، حيث سمع فيها **مُوطّأ مالك**، برواية يحيى بن يحيى الليثي، عن أبي القاسم بن بقي.

كان الأنصاري، كما يصفه بعض مترجميه، من أهل التواضع والطهارة، نزيه النفس، نبيه البيت. لم يكتف بما حصّله من الأندلُس من علم ومعرفة، فرحل رحلتين خارجها لطلب السماع: الأولى، وهي الأطول والأهم، شملت الشمال الأفريقي، ومن ضمنه مصر، ثم بلاد الشام، والعراق، ولاسيما مدينة الموصل. وقد التقى في تونس بأبي عبد اللّه محمّد بن الأبّار القُضاعي (ت 658هـ/ 1258م)، الذي صاحبه لمدة، وسمع منه كثيراً، وقد سمع الأنصاري من ابن الأبّار أيضاً،

لكن بدرجة أقل من ذلك. وقد أجاز لابن الأبّار بلفظه ما رواه وجمعه وأنشأه، الأمر الذي ربما يدلّ على أن لقاءهما كان في طريق رجوعه من رحلته المشرقية الأولى، بعد أن رجع محمّلاً بعلوم المشرق وثقافته. وكان الأنصاري قد سمع في الإسكندرية ودمشق والموصل، عدداً كبيراً من الشيوخ، نذكر منهم على سبيل المثال لا الحصر، أبا عبد اللّه بن عماد الحرّاني، وأبا عبد اللّه محمّد بن عبد الواحد المقدسي، وأبا إسحاق إبراهيم بن أبي طاهر الخشوعي، وأبا الحسن بن أبي السنان، وغيرهم.

ولقد شاهده في مدينة الموصل كمال الدين أبو البركات المبارك ابن الشعار الموصلي المتوفى سنة 654هـ/ 1256م، فوصفه بأنه شاب أسمر مربوع، وقال: «شاهدته بمدينة الموصل شاباً تفقّه على مذهب الإمام الشافعي ـ رضي اللّه عنه ـ بالمدرسة البدرية ـ حرسها اللّه تعالى. وذكر أنه سمع الحديث كثيراً في الأندلُس، وحفظ كتاب اللّه تعالى، وله نظم ونثر ويحفظ من أشعار الأندلُسيين والرسائل والموشحات صدراً جيداً». وقد روى عنه ابن الشعار العديد من القصائد والأبيات في فنون مختلفة. ومن المحتمل أنه راسل، وهو في الموصل عدداً من علماء بغداد المعروفين بروايتهم للحديث، وأنهم من مُسْندي بغداد المشهورين، أمثال أبي صالح نصر بن عبد الرزاق الجيلي، وأبي القاسم عليّ بن أبي الفرج الجوزي، وأبي عبد اللّه الحُسين بن مبارك الزُّبَيدي، وغيرهم ممن في طبقتهم، فكتبوا إليه.

وعلى الرغم من ميل الأنصاري الداني إلى الأدب والشعر، واهتمامه بهما نثراً ونظماً، فقد كانت له اهتمامات طبية، وميل إلى علم الطب وعنايةٍ به، لكننا لا نعلم إلى أي حد بلغ به هذا الاهتمام، لسكوت المصادر عن التفصيل في ذلك. وقد جمع الأنصاري شعر أبي العلاء المعري، مسموعاً برواية أبي إسحاق بن أبي اليسر عن والده عن جدّه عن أبي العلاء، مما يشير إلى اهتمامه، ومحاولته الوصول إلى أفضل وأصح رواية، ترجع إلى صاحبها الأصلي.

ويبدو أنه اشتاق للرحلة ثانية إلى المشرق في أواخر أيامه، فتوجّه في ذي الحجة سنة 645هـ للقيام بذلك. وبالفعل غادر الأندلُس، ووصل إلى مصر، لكنه توفي في مدينة القاهرة، يوم الجمعة منسلخ شهر شعبان من سنة 646هـ/ 1248م.

المصادر والمراجع:

ابن الشعار، **قلائد الجُمان في فرائد شعراء هذا الزمان**، مخطوط مصور في قسم اللغة العربية في كلية التربية/ جامعة الموصل عن الأصل المحفوظ في مكتبة أسعد أفندي الملحقة بالمكتبة السليمانية في إستانبول رقم (2324): الورقة 143ب، وقد نُشر الجزء الثالث من هذا المخطوط بتحقيق: نوري حمودي القيسي ومحمّد نايف الدليمي، الموصل، دار الكتب للطباعة والنشر، 1992: 3/ 183؛ ابن الأبّار، **التكملة لكتاب الصِّلة**، نشر، عزت العطار الحسيني، القاهرة، مكتبة الخانجي، 1955 ـ 1956: 2/ 903 ـ 905؛ ناطق صالح مطلوب، «الرحلة في طلب العلم والحياة الثقافية في الموصل»، فصل ضمن **موسوعة الموصل الحضارية**، الموصل، دار الكتب للطباعة والنشر، 1992: 2/ 373 ـ 374.

12 ـ محمّد بن الحسن بن الزُّبير الثقفي الجَيّاني (570 ـ 663هـ/ 1174 ـ 1264م):

محمّد بن الحسن بن الزُّبير بن الحسن بن الحُسين الثقفي العاصمي الخطيب، مقرئ، مُحدّث، أديب. ولد في مدينة جيّان (Jaen) في الأندلُس، التي تبعد نحو 100 كيلومتر إلى الشمال من غَرناطة (Granada). وقد تنقل في مدن الأندلُس الجنوبية، ولاسيما مالقة (Málaga)، وغَرناطة، وسكن في كلتيهما، فضلاً عن مسقط رأسه جيّان، ثم استقرّ أخيراً في مدينة غَرناطة، بعد سقوط جيّان بأيدي الإسبان سنة 643هـ/ 1245م. وينتمي محمّد بن الحسن إلى قبيلة ثقيف القيسية، التي دخل بعض أفرادها الأندلُس أيام الفتح العربي الإسلامي، ولاسيما عاصم بن مسلم بن كعب، الذي يرجع نسب ابن الزُّبير إليه. ومنزل أسرته في جيّان، وحَسَبه فيها أصيل، وثروته معلومة. وهو قريب أبي جعفر أحمد بن إبراهيم بن الزُّبير الثقفي، العالِم الأندلُسي المعروف، صاحب كتاب **صلة الصِّلة**، المتوفى سنة 708هـ/ 1308م.

دَرَس محمّد بن الحسن اللغة العربية والأدب على الأُستاذ أبي الحُسين بن عبد اللّه السعدي، كما تلا عليه القرآن الكريم بالسبع. وأخذ الحديث ورواه عن أبي عبد اللّه بن أُمية، وعن ابن حنون، وأبي الفضل بن عبد السلام الغَيْدوي. وكذلك عن هشام القلعي، الذي قرأ عليه أيضاً كتاب **التيسير في القراءات**، لأبي

عمرو عُثمان بن سعيد المقرئ الداني المتوفى سنة 444هـ/ 1054. ولا تشير المصادر المتيسرة إلى تلامذته، باستثناء قريبه أبي جعفر بن الزُّبير، الذي درس عليه، وروى عنه، وأصبح فيما بعد خاتمة المُحدِّثين، وإليه انتهت الرئاسة بالأندلُس في دراسة العربية، وتجويد القرآن، ورواية الحديث، والمشاركة في الفقه، والقيام على التفسير. وتشير اهتمامات التلميذ هذه بالتأكيد إلى تفوُّق أُستاذه الثقفي فيها.

تولّى محمّد بن الحسن القضاء ببعض الأماكن القريبة من بلده جيّان. ويبدو أنه قضى مدة لابأس بها من عمره في مدينة مالقة، واشتهر فيها حتى إنه تولّى الخطبة بجامع قصبتها أيام أبي عبد اللّه محمّد بن يُوسُف بن هود الجذامي، الذي استغل ضعف السلطة الموحدية، وسيطر على عدة مدن أندلُسية في الحقبة الممتدة من 625 ـ 634هـ/ 1227 ـ 1236م، ومنها مالقة. وقد تصدّى ابن الحسن الثقفي أيضاً إلى عقد الشروط في هذه المدينة. وهذا يدلّ على أنه كان متمكناً من تحرير الشروط والوثائق العامة، بصيراً بعقدها. ولم تكن هذه المهمة ذات علاقة بالدولة، لأن النظام القضائي في الأندلُس كان يترك الناس أحراراً في اختيار من يقوم بتحرير ما يتعاقدون عليه من شروط. وكان لبعض هؤلاء الذين يعقدون الشروط مؤلفات في هذا المجال تُسمّى **بالوثائق**، لكن لم يصلنا شيء عن قيام عالمنا هذا بالتأليف في هذا الموضوع أو في غيره من العلوم.

قضى ابن الحسن الثقفي السنوات الأخيرة من عمره في غَرناطة، لكننا لا نعرف بالضبط متى ترك مدينة مالقة. ومن المحتمل أنه جاء إلى غَرناطة إثر استقرار سلطة الدولة النصرية فيها بعد سنة 634هـ/ 1236 على يد مؤسسها محمّد بن يُوسُف ابن الأحمر النصري. وقد امتد عمر ابن الحسن الثقفي، حتى جاوز التسعين عاماً، ووصفه ابن عبد الملك المَرَّاكُشيّ في أواخر أيامه، بأنه «كان شيخاً سنيًّا منقبضاً عن الناس، مقرئاً، مجوّداً، محدّثاً متقناً، أديباً، فاضلاً، ليّن الجانب، حسن الخلق». (**الذيل والتكملة** : 6/ 161). وقد فقد بصره في السنوات الأخيرة من عمره، فلزم داره نحو سبعة أعوام، إلى أن توفي في غَرناطة سنة 663هـ/ 1264.

المصادر والمراجع:

ابن عبد الملك المَرَّاكُشيّ، **الذيل والتكملة لكتابَي الموصول والصِّلة،**

تحقيق، إحسان عَبّاس، بيروت، دار الثقافة، 1973: 6/ 161، الترجمة (431)؛ الذهبي، **تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام**، (وفيات سنة 663هـ)، نسخة مصورة عن نسخة مكتبة أحمد الثالث برقم (3010) في حوزة الدكتور صالح مهدي عَبّاس.

13 ـ محمّد بن أحمد بن سُجْمان الشريشي المالكي (601 ـ 685هـ/1205 ـ 1286م):

أبو بكر جمال الدين محمّد بن أحمد بن عبد اللّه بن سُجْمان البكري الوائلي الشريشي المالكي، فقيه، لغوي، ومفسر أندلُسي، ولد في مدينة شريش (Jerez de la Frontera) سنة 601هـ. ولا تتوافر معلومات عن حياته الأولى في الأندلُس، سوى أنه رحل في مقتبل شبابه إلى المشرق، مارًّا بمصر، حيث سمع الحديث بالإسكندرية من أبي عبد اللّه محمّد بن عماد الحرّاني، وببغداد من مجموعة كبيرة، منهم أبو الحسن القطيعي، وابن روزبة، وأبو بكر بن بهروز، والأنجب بن أبي السعادات، وياسمين بنت العطار، وأبو صالح الجيلي، وغيرهم. وسمع بأربل من الفخر الأربلي، وبحلب من أبي البقاء يعيش بن عليّ النحوي، وغيره، وبدمشق من مكرّم بن أبي الصقر، وابن الشيرازي، وغيرهما.

وهكذا ازدادت ثقافة الشريشي المالكي، بتنوع شيوخه، وتعدد الأقطار التي زارها لطلب العلم، فأصبح فقيهاً في المذهب المالكي، وأتقن العربية، والأصول، والتفسير، فدرّس وأفتى، وأقرأ الحديث، وعُني به، وقال الشِعر. وبالنظر إلى مؤهلاته العلمية العالية، فقد أُختير للتدريس في الرباط الناصري بدمشق، ودرّس فيه بحضور واقفه السلطان الناصر صلاح الدين بن يُوسُف (646 ـ 658هـ/ 1250 ـ 1260م). ثم دخل مصر، ودرّس في المدرسة الفاضلية، وجاء إلى القدس، وأقام بها مدة، وَوُلّي مشيخة المدرسة فيها، ثم رجع إلى دمشق، واستقرّ فيها. وهناك درّس بالمدرسة النورية، وفي الحلقة التي في الجامع مع مشيخة الرباط، ومشيخة أم صالح. ثم طُلِب إليه تولّي قضاء دمشق على مذهب مالك، فامتنع، وبقي المنصب شاغراً حتى وفاته يوم الاثنين الرابع والعشرين من رجب سنة 685هـ، ودفن بسفح جبل قاسيون بدمشق.

أخذ عن الشريشي الكثير من الناس وطلبة العلم في مختلف الأماكن التي تواجد فيها، وتخرّج على يديه الكثير، ومنهم ابنه الشيخ كمال الدين، وابن تيميّة، والحافظ أبي الحَجّاج يُوسُف المزي، والصيرفي، والبِرزاليّ، وابن الخباز. كما أجاز للشيخ شمس الدين الذهبي جميع مروياته. وقد ذكره تلميذه أبو العلاء محمود الفَرَضي في مُعجَمه، فقال عنه: «كان إماماً عالماً، فقيهاً فاضلاً، مفتياً، مدرساً، عارفاً بالمذهب، جامعاً لأنواع العلوم، حائزاً لقصب السبق في فنون الفضائل». كما مدحه العلاّمة أبو الحسن عليّ بن محمّد السَّخاوي بقصيدة كتب بها إليه، ذكر فيها فضائله ومحاسنه.

ومن تصانيفه، **شرح ألفية ابن مالك**، كما شرح أيضاً **الألفية لابن معطي**، بعنوان: **التعليقات الوفية في شرح الألفية لابن معطي**، كذلك **شرح مقامات الحريري**، وألّف كتاباً بعنوان **الاشتقاق**.

المصادر والمراجع:

الذهبي، **العِبر في خبر من غبر**، تحقيق، أبو هاجر محمّد السعيد بن بسيوني زغلول، بيروت، دار الكتب العلمية: 3/ 360؛ الصفدي، **الوافي بالوفيات**، باعتناء، هلموت ريتر، فيسبادن، 1961، أعيد طبعه في طهران: 2/ 131 ـ 132 الترجمة 479؛ اليافعي، **مرآة الجنان**، ط2، بيروت، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، 1970: 4/ 201؛ ابن رافع السلامي، **تاريخ علماء بغداد**، تحقيق، عَبّاس العزاوي، بغداد، مطبعة الأهالي، 1938: 177 ـ 179 الترجمة 150؛ ابن كَثير، **البداية والنهاية**، ط2، بيروت، مكتبة المعارف، 1977: 13/ 308؛ ابن قاضي شهبة، **طبقات النحاة واللغويين**، مخطوط مصور في مكتبة الأوقاف في بغداد برقم (110) عن نسخة المكتبة الظاهرية (الأسد) في دمشق: 16 ـ 17؛ ابن تَغري بِردي، **النجوم الزاهرة**، مصورة عن طبعة دار الكتب، القاهرة، وزارة الثقافة والإرشاد القومي: 7/ 307؛ المَقّري، **نَفح الطّيب من غصن الأندلُس الرطيب**، تحقيق، إحسان عَبّاس، بيروت، دار صادر، 1968: 2/ 217 ـ 218؛ ابن العماد الحنبلي، **شذرات الذهب**، ط2، بيروت، دار المسيرة، 1979: 5/ 392؛ البغدادي، **هَديَة العارفين**، إستانبول، 1951: 2/ 235؛ كحالة، **مُعجَم المؤلفين**، دمشق، مطبعة الترقي، 1957: 9/ 9 ـ 10؛ عبد الواحد ذنون طه، «صور من التأثير العلمي بين الموصل والأندلُس»،

بحث ضمن محاضر **المؤتمر العلمي الأول لتاريخ العلوم عند العرب**، مركز التراث العلمي العربي/ جامعة بغداد، 4 ـ 6 أيار/ مايو 2002.

14 ـ محمّد بن عبد اللّه بن خميس الأنصاري (613 ـ 688هـ /1217 ـ 1289م):

أبو عبد اللّه محمّد بن عبد اللّه بن محمّد بن عليّ بن أبي بكر بن خميس الأنصاري، فقيه، أديب، شاعر. ولد بمدينة إسطبونة، أو إشتبونة (Estepona) بالأندلُس في يوم الأحد ثامن عشر ذي القعدة سنة 613 هـ/ الموافق السادس والعشرين من شباط/ فبراير سنة 1217م. وهي ثغر صغير يقع على شاطئ البحر المتوسط جنوبي غرب مالقة Málaga، وشمالي جبل طارق على مقربة من ثغر مربلة (Marbella). وقد تلقى ابن خميس تعليمه الأولي في هذه المدينة، وقضى طفولته وشطراً من شبابه فيها، ثم انتقل عنها، ليسكن في مدينة الجزيرة الخضراء (Algeciras) سنة 635 أو 636هـ / 1237 أو 1238. ولهذا عُرف بنزيل الجزيرة الخضراء، التي استمرت مُستقراً لأبنائه وأحفاده من بعده لحين سقوطها بيد الإسبان.

وكان من أول شيوخه في بلده ابن عم أبيه أبي عمران بن فتح بن خميس، ثم روى عن أبي جعفر بن الفحام، وأبي عبد اللّه بن ثابت، وأبي القاسم عبد اللّه بن يحيى بن أُبيّ، وأبي مُوسى عمران السلوي. ومن تلاميذه المشهورين، ابنه أبو جعفر أحمد بن محمّد بن عبد اللّه بن خميس الأنصاري، الذي تولّى الخطابة في الجزيرة الخضراء، والمتوفى سنة 748هـ/ 1347 م (ابن القاضي: **جذوة الاقتباس**: 1/ (298). وكذلك قريبه أبو بكر محمّد بن محمّد بن إدريس القَلَلُوسي المتوفى سنة 707هـ/ 1307م، الذي أضحى إماماً في العربية والعروض والقوافي والفقه والقراءات، والفرائض، وَوُلّي الخطابة في إسطبونة. وألّف عنها كتاباً بعنوان: **الدُرّة المكنونة في محاسن إسطبونة**، ومن تلاميذه أيضاً، أبو عبد اللّه محمّد بن عُمَر بن رُشيد الفِهْري المتوفى سنة 721هـ/ 1321م صاحب الرحلة الحجازية المعروفة، بـ **ملء العيبة في ما جمع بطول الغيبة في الوجهة إلى الحرمين مكة وطيبة**. كذلك لقيه في الجزيرة الخضراء وسمع بعض كلامه أبو عبد اللّه محمّد بن عبد الملك الأنصاري المَرّاكُشيّ، صاحب كتاب **الذيل والتكملة لكتابَي**

الموصول والصّلة، المتوفى سنة 703/ 1303م، وقد أجازه وأجاز اثنين من أولاده، هما : أحمد ومحمّد.

والواقع أن معلوماتنا عن ابن خميس، ترجع بكاملها إلى ما كتبه عنه ابن عبد الملك الأنصاري المَرّاكُشيّ. وعلى الرغم من عدم تيسر مصادر أخرى، فإن ترجمة المَرّاكُشيّ، تُعدّ على درجة كبيرة من الأهمية، لمعاصرته والتقائه به. وتدل أسماء تلامذته الذين أسلفنا ذكرهم والذين نبغوا فيما بعد، على أنه كان ذا باع طويل في العِلم، ومقدرة جيدة في التدريس. فهو بحسب وصف المَرّاكُشيّ له : «كان حافظاً للفقه، حاضر الذِكر لجواب ما يُسأل عنه من النوازل فيه، دمثاً، متواضعاً، حسن اللقاء، دَيِّناً، ذا حظ وافر من الأدب، وقرض الشِعر، بارع الخط...». (**الذيل والتكملة** : 6/ 313). وقد تولّى إمامة الصلاة في الجامع الأعظم بالجزيرة الخضراء طويلاً، كما خطب فيه عقب وفاة خطيبه أبي محمّد بن مُوسى الركيبي، بِخُطَبٍ كان يكتبها للجمع والأعياد. واستمر على الإمامة والخطابة إلى وفاته ليلة السبت، الخامس والعشرين من صفر عام 688 هـ/ 1289 م، ودفن بمقبرة البير التي على الطريق خارج باب المقبرة، وشهد جنازته جمع غفير من الناس، وأثنوا عليه لصلاحه، ولأنه كان أهلاً لذلك. وقد خَلَّفَ من بعده من سلك طريقه في العِلم والمعرفة، ولا سيما ابنه أحمد وحفيده محمّد بن أحمد المتوفى سنة 750هـ/ 1349م، اللذان توليا الخطبة والإقراء في جامع الجزيرة الخضراء، ثم انتقل الحفيد إلى سَبتة، بعد تغلب الإسبان على مدينته، فاستقرّ فيها خطيباً إلى حين وفاته.

المصادر والمراجع:

ابن عبد الملك المَرّاكُشيّ، **الذيل والتكملة لكتابَي الموصول والصِّلة**، تحقيق، إحسان عَبّاس، بيروت، دار الثقافة، 1973: 6 / 312 ـ 313؛ ابن الخطيب، **الإحاطة في أخبار غَرناطة**، تحقيق، محمّد عبد اللّه عنان، القاهرة، مكتبة الخانجي، 1975: 3 / 183 ـ 185 (ترجمة الحفيد) ؛ ابن القاضي المكناسي، **جذوة الاقتباس في ذِكر من حلّ من الأعلام بمدينة فاس**، الرباط، دار المَنصور للطباعة والوراقة، 1973: 1 / 298؛ مجهول المؤلف، **بُلغة الأمنية ومقصد اللبيب، فيما كان بسَبتة من مُدرّس وأُستاذ وطبيب**، تحقيق، عبد الوهاب ابن منصور، الرباط، المطبعة الملكية، 1984: 26. (ترجمة الحفيد).

15 ـ سعد بن أحمد بن عليّ التُّجيبي (ت 722هـ/1322م):

سعد بن أحمد بن عليّ التُّجيبي الغرناطي، فقيه، محدّث، وله مشاركة في العلوم العقلية. يُعرف بالجُرُنْدي، نسبة إلى مدينة جُرُنْدة (Gerona)، وهي في أقصى الشمال الشرقي من شبه الجزيرة الآيبيرية. ولعل أسلافه من قبيلة تُجيب العربية، كانوا من سكنة هذه المدينة، لأن الثغر الأعلى الأندلسي في الشمال الشرقي، كان موطناً لهذه القبيلة بعد الفتح العربي الإسلامي (طه، **الفتح والاستقرار**: 224). واستمر استقرار المسلمين في هذه المناطق إلى القرن الخامس للهجرة/ الحادي عشر للميلاد، حيث تفرقوا جنوباً، وسكنوا المناطق التي ظلت خاضعة للسيطرة الإسلامية، ولاسيما مدينة غَرناطة (Granada)، موطن عالِمنا هذا.

عاصر سعد التُّجيبي السنوات الأخيرة من حكم مؤسس الدولة النصرية، محمّد بن الأحمر الأول (629 ـ 672هـ/ 1232 ـ 1273م)، وأربعة من خلفائه، وهم: محمّد الفقيه، ومحمّد الثالث المخلوع، ونصر بن محمّد، وإسماعيل الأول، الذي انتهى حكمه سنة 725هـ/ 1325م. ومن المؤسف أننا لا نعرف شيئاً عن حياته في غَرناطة، سوى أنه قرأ على شيوخ بلده فيها، وكان أكثر تأدبه بخاله الأُستاذ أبي عبد اللّه بن مسمعون، الذي قرأ عليه كثيراً. وخاله هذا كان معروفاً في غَرناطة، درس عليه أيضاً أعلام من ساكني هذه المدينة، من أمثال المقرئ المفسر الفقيه أبي إسحاق إبراهيم بن محمّد بن عليّ التنّوخي المتوفى سنة 726هـ/ 1325 ـ 1326م، وهو من معاصري سعد التُّجيبي وأترابه. وربما درس التُّجيبي أيضاً على شيوخ آخرين كانوا معاصرين له، وأساتذة للتنوخي في الوقت نفسه، أمثال أبي جعفر بن الزُّبير المتوفى سنة 708هـ/ 1308م، وابن الحكيم محمّد بن عبد الرحمن بن إبراهيم اللّخميّ الكاتب في ديوان الإنشاء في مملكة غَرناطة، والمتوفى أيضاً سنة 708هـ/ 1308م.

وترجع قلة معلوماتنا عن التُّجيبي، لعدم وجود ترجمة وافية له في المصادر المتيسرة، باستثناء درّة الحجال. فعلى الرغم من أنه غرناطي كان له دور في الحركة العلمية لهذه المدينة، فقد أهمله لسان الدين بن الخطيب في **الإحاطة في أخبار غَرناطة**، ولم نعثر له على ترجمة فيها. ويشير ابن القاضي المكناسي، إلى أن شاعر المَريَّة المعروف أحمد بن عليّ بن خاتمة الأنصاري المتوفى سنة 770هـ/ 1368م،

قد ذكره، لكنه لم يُصرّح عن المكان الذي تمّت فيه هذه الإشارة. فالتُّجيبي، كما يبدو، لم يكن شاعراً، بل كان «له تفنن ومشاركة في العقليات»، لهذا لم يرد له ذِكر في ديوان ابن خاتمة، وأغلب الظن أن الإشارة تمّت إليه في كتاب ابن خاتمة الآخر الكبير الموسوم: **مزيّة المَريّة على غيرها من البلاد الأندلُسية**، الذي يتحدث فيه عن مدينته وتأريخها وحضارتها، ورجالها، والطارئين عليها. ويحتمل أن التُّجيبي قد زار هذه المدينة، فأشار إليه ابن خاتمة الأنصاري. ومن المؤسف أن هذا الكتاب مفقود، ولم يصل إلينا، لنتمكن من التأكد من ذلك. وقد توفي التُّجيبي بغرناطة في الرابع من شعبان سنة 722هـ/ 1322م.

المصادر والمراجع:

ابن القاضي المكناسي، **دُرّة الحجال في أسماء الرجال**، تحقيق، محمّد الأحمدي أبو النور، القاهرة، دار التراث، وتونس، المكتبة العتيقة، 1970: 3/ 295 ـ 296، الترجمة (1375)؛ **ديوان ابن خاتمة الأنصاري الأَوْسي**، تحقيق، محمّد رضوان الداية، دمشق، وزارة الثقافة والإرشاد القومي، 1972: (مُقدّمة التحقيق: 14م)؛ طه، **الفتح والاستقرار العربي الإسلامي في شمال أفريقيا والأندلُس**، بغداد، دار الرشيد، 1982: 224، [صدرت طبعة جديدة عن دار المدار الإسلامي، بيروت، 2004].

16 ـ إبراهيم بن محمّد بن عليّ التنّوخي (677 ـ 726هـ / 1278 ـ 1325م):

أبو إسحاق إبراهيم بن محمّد بن عليّ بن محمّد بن أبي العاص التنّوخي، مقرئ، مفسر، فقيه. ينتمي إلى أسرة كانت من أعيان مدينة طَريف (Tarifa) بالأندلُس، الواقعة في الطرف الجنوبي لشبه الجزيرة الآيبيرية على مضيق جبل طارق. وقد رحل عن هذه المدينة عند استيلاء القشتاليين عليها عام 691هـ/ 1291م. وكان عمره آنذاك نحو أربعة عشر عاماً، لأنه ولد، حسبما يذكر السُّيوطيّ، في حدود سنة 677هـ/ 1278م (بغية الوعاة: 1/ 425). لهذا يجب الانتباه إلى التاريخ الذي ورد في نسخة الإحاطة المطبوعة، لابن الخطيب، والذي يشير إلى أن مغادرته لطريف كانت سنة 671هـ/ 1272م، وهو ولا شك، تصحيف للتاريخ الحقيقي لسقوط طَريف بيد القشتاليين سنة 691هـ/ 1291م. ويتوافر لدينا بعض التواريخ الدقيقة لبقية حركات وجولات التنّوخي في المَغرِب والأندلُس. فقد غادر

سَبتة إلى غَرناطة (Granada) في سنة 706هـ/ 1306م، وظلّ في هذه المدينة نحو عشرين عاماً، زار خلالها مدينة المَريَّة (Almeria) سنة 721هـ/ 1321م.

عُرف إبراهيم التنَّوخي منذ صغره بطلب العلم، ولاسيما قراءة القرآن الكريم. فقد قرأ ببلده طَريف على الخطيب القاضي المقرئ أبي الحسن عُبَيْد اللّه بن عبد العزيز القرشي، المعروف بابن القارئ، وهو إشبيلي الأصل. وحين وصل مدينة سَبتة، عمل على الاتصال بمشيختها، وكبار العلماء فيها، فقرأ القرآن على الأُستاذ إمام المقرئين لكتاب اللّه، أبي القاسم محمّد بن عبد الرحمن بن الطَّيِّب بن زَرْقون القيسي الضرير، نزيل سَبتة، والأُستاذ أبي إسحاق إبراهيم بن أحمد بن عيسى المديوني الغافقي، والشيخ الوزير أبي الحَكَم يحيى بن القاضي منظور القيسي الإشبيلي. وأخذ في سَبتة أيضاً عن الأُستاذ أبي عبد اللّه بن الدرّاج، والتاريخي الحاج أبي عبد اللّه محمّد الكتامي التِلِمْساني ابن الخَضّار، وعلى الراوية المسند أبي الحسن عليّ الشريف بن طاهر.

وبعد خمسة عشر عاماً قضاها التنَّوخي في سَبتة، نهل فيها عن هؤلاء الأساتذة الذين أجازوه إجازة عامة، باستثناء أبي عبد اللّه بن الدرّاج، رجع إلى الأندلُس، واستقرّ في مدينة غَرناطة التي أصبحت عاصمة للدولة النصرية. وقد عاصر ثلاثة من سلاطينها، وهم: محمّد الثالث المخلوع (701 ـ 708هـ/ 1302 ـ 1309م)، ونصر بن محمّد (708 ـ 713هـ/ 1309 ـ 1314م)، وإسماعيل الأول (713 ـ 725هـ/ 1314 ـ 1325م). وعمل التنَّوخي مدة في ديوان المكاتبات، أو الرسائل، وكتب عن بعض هؤلاء السلاطين، وترقى في معارج الرُّتَب، بسبب فضله، واستحقاقه. لكنه تخلّى عن ذلك، «وعكف على طلب العلم، ومال إلى العبادة، وتحلّى بحُلية التقوى، إلى أن قُدِّم للخطبة والإمامة في جامع غَرناطة سنة 716هـ/ 1316م». (ابن القاضي المكناسي، **دُرَّة الحجال**: 1/ 180). ولا يُعرف السبب الحقيقي لعزوف التنَّوخي عن الاستمرار بالانتظام في «لمّة كُتّاب الدولة النصرية»، وذلك لأن الأسباب الظاهرة المُقَدَّمة في هذا المجال، وهي طلب العلم والعبادة، لاتمنع استمراره في وظائف الدولة. يضاف إلى ذلك أن مجرى حياته يشير إلى أنه لم ينقطع عن سماع الشيوخ، وطلب العلم والمعرفة، سواءٌ في غَرناطة، أم في غيرها. ففي طريق سفره إلى غَرناطة، أخذ في مالقة (Málaga) عن الأُستاذ المقرئ الخطيب في جامعها، أبي محمّد بن عبد الواحد بن محمّد بن عليّ بن أبي

السدّاد، المتوفى سنة 705هـ/ 1350م، وكذلك عن الخطيب أبي جعفر الكلاعي، ابن الزيات، وأبي عبد اللّه بن الكماد اللّخميّ البكي.

أما في غَرناطة، فكان على رأس شيوخه، أبو جعفر أحمد بن إبراهيم بن الزُّبير، أُستاذ العربية، وتجويد القرآن، ورواية الحديث، والمشارك في الفقه والتفسير. وكانت وفاة ابن الزُّبير سنة 708هـ/ 1308م، أي بعد سنتين فقط من وصول التنّوخي إلى غَرناطة. وما يدلّ على أخذه المكثّف عن هذا الشيخ، وإجازته من قِبله، أنه حلّ محلّه في الإقراء، بعد وفاته بتخصصات متعددة من العلم، وذلك بحسب وصية ابن الزُّبير نفسه. ومن شيوخه الآخرين في غَرناطة، ابن الحكيم محمّد بن عبد الرحمن بن إبراهيم اللّخميّ، الكاتب في ديوان الإنشاء في مملكة غَرناطة، والمتوفى أيضاً سنة 708هـ/ 1308م. كذلك أخذ التنّوخي العلم عن الخطيب أبي عبد اللّه محمّد بن عُمَر بن رشيد الفِهْري الأندلُسي، المتوفى سنة 721هـ / 1321 م، والذي اشتغل بالتدريس لبعض الوقت في غَرناطة، وهو صاحب الرحلة الحجازية إلى المشرق المعروفة بـ **ملء العيبة في ما جمع بطول الغيبة في الوجهة إلى الحرمين مكة وطيبة**. وأخذ التنّوخي عن شيوخ آخرين في غَرناطة، أمثال الوزير الحافظ أبي محمّد عبد المنعم بن سماك، وابن مسمعون، وغيرهم.

جمع التنّوخي بين القراءة والتدريس، فكان مقرئاً للقرآن، مُبرِّزاً في تجويده، مُدرِّساً للعربية والفقه، ولعل من أشهر تلاميذه، الذين تبوأ بعضهم لاحقاً مناصب الإفتاء والخطبة بالمسجد الجامع بغَرناطة، الشيخ فرج بن قاسم بن أحمد بن لب، خطيب غَرناطة المعروف بأبي سعيد الثعلَبي الغَرناطي، الذي طغت شهرته في الإفتاء في كل من المَغرِب والأندلُس. كذلك محمّد بن يُوسُف بن عبد اللّه اللوشي المتوفى سنة 773هـ/ 1371م، الذي أصبح أيضاً خطيباً لغَرناطة، ومن أعلى القرّاء إسناداً في عصره. ومن تلامذته أيضاً، أحمد بن غصن، الذي لازمه كثيراً، وكذلك أحمد بن مالك الرُّعَيْني، وهو شيخ شمس الدين بن الجزري، صاحب كتاب **غاية النهاية**. وأخذ عنه في مدينة المَريَّة سعد بن أحمد بن إبراهيم التُّجِيبي، المعروف بابن ليون المتوفى سنة 750هـ/ 1349م. ومن تلامذته المشهورين أيضاً، شاعر المَريَّة المعروف، أحمد بن عليّ بن خاتمة الأنصاري المتوفى سنة 770هـ/ 1368م. وقد سمع ابن خاتمة شعراً من أُستاذه التنّوخي، الذي كان يقرض الشِعر. ويبدو أن شعره لم يكن بالمستوى المطلوب، على الأقل في نظر لسان الدين بن الخطيب،

الذي اعتبره «شِعراً وسطاً، قريباً من الانحطاط». (**الإحاطة في أخبار غرناطة** : 1/ 375). وقد أورد له بعض القصائد، منها بيتين في معرض الوصيَّة للطلبة للعمل بالعِلم، وقد تمّ تصحيح البيت الأول عن السُّيوطيّ (**بغية الوعاة** : 1/ 425) : **[الكامل]**

إعْمل بِعْلمكَ تؤْتَ حكماً إنما جدوى علوم المرء نهج الأقوم

وإذا الفتى قد نال علماً ثم لم يعمل به فكأنما لم يعْلم

وعلى العكس من رأي ابن الخطيب في شعر التنّوخي، نجده يشيد بمعرفته لعلوم العربية، والفقه، وقراءة القرآن، فضلاً عن علمه بالتفسير، وتحققه لِما ينقله عن غيره. أما على صعيد سلوكه الشخصي، فيرى أنه : «كان نسيج وحده حياءً، وصدقةً، وتخلقاً، ومشاركةً، وإيثاراً». يضاف إلى ذلك، فقد كان ليّن الجانب، دمث الأخلاق، نال محبة وتعظيم من يحيط به من الناس، ولاسيما المساكين منهم، الذين كانوا يتزاحمون عليه في طريقه، ويتمسحون به، ويسعون بين يديه ومن خلفه، لأنه قد عوّدهم على طلاقة وجهه، وبرُه لهم، وتصدقه عليهم، حتى بقوت يومه. ومما يذكر في هذا الشأن، أنه، وبالنظر إلى استعجالهم، كان يفرّق عليهم خبزه عجيناً قبل استوائه. وكان صادعاً بالحق، غيوراً على الدين، مخالفاً لأهل البدع، ملازماً للسُّنة، كثير الخشوع، له كرامات. وكان الناس يحبون أن يُصلّوا خلفه، ويتحمّلون من أجله مضضاً في تأخير الصلوات ومضايقة أوقاتها، لأنه كان مبتلى بوسواس في وضوئه. ومن تواضعه أنه كان إذا أُثني عليه بمحضره يقول : «اللّهم اجعلني خيراً مما يظنون، واغفر لي ما لا يعلمون، ولا تؤاخذني بما يقولون». (التنبكتي، **نَيل الابتهاج** : 38). توفي التنّوخي في غرناطة يوم السبت السابع للمحرم سنة 726هـ/ 1325م، ودفن بباب إلبيرة، وأصبح قبره فيها مكاناً يتبرك به الناس، ويقصدونه عند طلب الاستسقاء.

المصادر والمراجع:

ابن الخطيب، **الإحاطة في أخبار غرناطة**، تحقيق، محمّد عبد اللّه عنان، ط2، القاهرة، مكتبة الخانجي، 1973: 1/ 240، 374 ـ 377؛ ابن الخطيب، **الكتيبة الكامنة في من لقيناه بالأندلس من شعراء المائة الثامنة**، تحقيق، إحسان عبّاس، بيروت، دار الثقافة، 1963: 32؛ ابن الجزري، **غاية النهاية في طبقات**

القراء، عني بنشره، ج. برجستراسر، ط2، بيروت، دار الكتب العلمية، 1980: 1/ 24؛ ابن القاضي المكناسي، **دُرَّة الحجال في أسماء الرجال**، تحقيق، محمّد الأحمدي أبو النور، القاهرة، دار التراث، وتونس، المكتبة العتيقة، 1970: 1/ 179 ـ 181، الترجمة (235)؛ أحمد بابا التنبكتي، **نيل الابتهاج بتطريز الديباج**، بهامش **الديباج المذهب** لابن فرحون، طبعة عَبّاس بن عبد السلام بن شقرون، مصر، الفحامين، 1351هـ: 37 ـ 38؛ المَقَّري، **أزهار الرياض في أخبار القاضي عياض**، تحقيق، عبد السلام الهراس وسعيد أحمد أعراب، المغرب، المحمّدية، مطبعة فضالة، 1980: 2/ 342، 345.

17 ـ محمّد بن عبد اللّه بن أرقم النُمَيّري الوادي آشي (ت 740هـ/1339م):

أبو عامر محمّد بن عبد اللّه بن عبد العظيم بن أرقم النُميَّري الوادي آشي، فقيه، أديب، لغوي. ينتمي إلى قبيلة بني نُمير القيسية، التي استقرّ أحد أفخاذها، بقيادة جَدّه الأعلى، ثوابة بن حمزة النُمَيّري، في مدينة وادي آش (Gaudix) في الأندلُس، أيام الفتح العربي الإسلامي. وتقع هذه المدينة التي ولد فيها عالمنا، إلى الشمال الشرقي من غَرناطة (Granada)، على السفح الجنوبي لجبال سيرانيفادا. وقد تلقّى تعليمه الأولي فيها، وقرأ على قريبه الأُستاذ القاضي أبي خالد بن الأرقم، وعلى الأُستاذ أبي العبّاس بن عبد النور. كما روى عن أبيه مديح رسول اللّه صلّى اللّه عليه وسلّم.

وأخذ ابن الأرقم في جولاته خارج مدينته، ولاسيما في غَرناطة، التي دخلها راوياً ومتعلّماً، عن الأُستاذ أبي جعفر أحمد بن الزُبير المتوفى سنة 708هـ/ 1308م، وكذلك روى عن الوزير العالم أبي عبد اللّه بن أبي عامر بن ربيع، والقاضي أبي جعفر بن مسعدة، وولي اللّه الحسن بن فضيلة. ورحل إلى عُدْوَة المغرب، فأخذ بسَبتة عن الراوية أبي عبد اللّه بن محمّد الكتامي التِلِمْساني، المعروف بابن الخضّار، وعن الأُستاذ أبي بكر بن عُبيدة، والإمام الفقيه الزاهد أبي عبد اللّه بن حريث، وأبي القاسم بن الشّاط، وغيرهم.

وهكذا تكوّنت لدى ابن أرقم حصيلة جيدة في علوم مختلفة، أبرزها اللغة العربية، والفِقه، والأدب، فأصبح أحد شيوخ بلده، حيث تصدى فيها للفُتيا

والتدريس والإسماع. وكان بسيطاً في حياته اليومية، وصفه لسان الدين ابن الخطيب، الذي ترجم له بعد دخوله غَرناطة، بأنه : «مخشوشن الزي، قليل المبالاة بنفسه، مُختصراً في شؤونه كافة، مليح الدعابة، شديد الحمل، كثير التواضع، وبيته معمور بالعلماء أولي الأصالة والتعيين...». (**الإحاطة** : 3/ 88).

لم يترك ابن أرقم النُميري أي مؤلفات، وكان له شعر. لكن يبدو أنه لم يكن شاعراً مُجيداً، فقد وصف ابن حجر العسقلاني شِعره على أنه «وسط». وعدّه ابن الخطيب ضمن الجزء المُسمّى «بشِعر من لا شِعر له»، وأورد له بيتاً واحداً، يمدح فيه حاكم مدينة سَبتة المغربية، أبا زكريا يحيى بن أبي طالب العزفي، الذي استقل بحكم المدينة عن المرينيين من سنة 716 ـ 720هـ/ 1316 ـ 1320م، فقال يذكّر بذكر ظفره بالأسطول من قصيدة أولها : [**الكامل**]

أمـا الـوصـال فـأنـه كـالـعـيـد عُذر المتيَّم واضحٌ في الغيد

ومما يجدر ذكره، أن قيادة الأسطول، كانت من أهم الوظائف في سبتة التي عُرفت بأساطيلها القوية، وهذا هو مغزى مدح ابن الأرقم لأبي زكريا بظفره بالأسطول. ويتبيّن من ملابسات إلقاء هذه القصيدة أيضاً أن رحلة عالمنا إلى سبتة، كانت في حدود التاريخ أعلاه الذي تولّى فيه أبو زكريا أمر المدينة، وأنه، لم يكتف بطلب العلم في سَبتة، بل ساهم في حياتها الاجتماعية، وخالط كبار رجالها، وحضر مجالس حكامها. الأمر الذي لا نجد له مثالاً في حياته بالأندلس، التي قضاها بين غَرناطة، ومسقط رأسه وادي أش، التي توفي فيها سنة 740هـ/ 1339.

المصادر والمراجع:

ابن الخطيب، **الإحاطة في أخبار غَرناطة**، تحقيق، محمّد عبد الله عنان، القاهرة، مكتبة الخانجي، 1975 : 3/ 88 ـ 89؛ ابن حجر العسقلاني، **الدُرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة**، تحقيق، محمّد سيّد جاد الحق، ط2، القاهرة، دار الكتب الحديثة، 1966 : 4/ 94-95، الترجمة (3789) ؛ السُيوطيّ، **بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة**، تحقيق، محمّد أبو الفضل إبراهيم، بيروت، المكتبة العصرية، 1964 : 1/ 135، الترجمة (229).

18 ـ محمّد بن يحيى بن محمّد الأشعري المالقي (674 ـ 741هـ/1275 ـ 1340م):

أبو عبد اللّه محمّد بن يحيى بن محمّد بن أحمد بن محمّد بن أبي بكر بن سعد الأشعري المالقي، مُحدِّث، فقيه، مؤرخ. من ذرية الصحابي المعروف أبي مُوسى الأشعري، الذي دخل بعض أحفاده إلى الأندلُس، وسكنوا في منطقة رية (Raiyo)، ولاسيما مدينة مالقة (Málaga)، التي ولد فيها عالمنا هذا في أواخر شهر ذي الحجة من عام 674هـ/ 1275م. وقد دَرَسَ في طفولته على أحد أقاربه، وهو الشيخ الفقيه القاضي أبي القاسم بن أحمد بن حسن السَّكوت، فقرأ عليه القرآن بمنزله، ولازمه، وتأدب معه. كما اختص بالأُستاذ الخطيب أبي محمّد بن أبي السدّاد الباهلي الأُموي، وقرأ عليه القرآن العظيم جمعاً وإفراداً، وأخذ عنه العربية والفقه والحديث. وقرأ أيضاً على الشيخ الراوية أبي عبد اللّه محمّد بن عيّاش الخَزرَجي القُرطُبي، ودَرَسَ عليه الكثير من كتب الحديث، منها كتاب **صحيح مسلم**، الذي سمعه عليه جميعاً، باستثناء جزء بسيط منه. ومن أشياخه أيضاً الفقيه المشاوَر الصدر الكبير أبو عبد اللّه بن أبي عامر بن ربيع، والخطيب المُحدِّث أبو عبد اللّه بن رُشيد الفِهْري المتوفى سنة 721هـ/ 1321م، والأُستاذ أبو جعفر بن الزُّبير المتوفى سنة 708هـ/ 1308م، والأُستاذ أبو عبد اللّه محمّد بن أحمد بن داود اللَّخميّ المعروف بابن الكماد.

ولم يكتفِ محمّد الأشعري بعلماء أهل بلده في الأندلُس، بل كانت له رحلة إلى المشرق، ابتدأها بالعبور إلى مدينة سَبتة، حيث أخذ العلم فيها عن عميد الشرفاء أبي عليّ بن أبي التُّقى طاهر بن ربيع، والعدل الراوية أبي فارس عبد العزيز بن إبراهيم الهواري، وأبي إسحاق إبراهيم بن أبي بكر بن عبد اللّه التِلِمْساني الأنصاري المتوفى سنة 690هـ/ 1291م، والحاج الراوية أبي عبد اللّه محمّد بن محمّد بن الخضّار، والمقرئ أبي القاسم بن عبد الرحيم القيسي، وغيره. أما في تونس، فقد التقى بالأديب المعمر أبي عبد اللّه محمّد بن هارون، وأخذ عنه، وكذلك دَرَسَ على أبي العبّاس أحمد بن محمّد الأشعري المالقي نزيل تونس. ومن أشياخه في مصر النسابة شرف الدين عبد المُؤمِن بن خلف الدمياطي، وأبي المعالي أحمد بن إسحاق الأبرقوهي، وغيرهما من الشيوخ الذين التقى بهم

في رحلته إلى الديار المقدسة لأداء فريضة الحج، وزيارة بلاد الشام.

عاد الأشعري إلى بلده مالقة، بعد أن ازداد علماً نتيجة رحلته المشرقية، التي لابد من أنها استغرقت فترة طويلة من الزمن، فصار كما يصفه تلميذه أبو الحسن النباهي المتوفى بعد سنة 793هـ/ 1390م : «سَبّاقُ الحَلَباتِ معرفةً بالأصول، والفروع، والعربية، واللغة، والتفسير، والقراءات، مُبرِّزاً في علم الحديث تاريخاً، وإسناداً، ونسخاً، وتصحيحاً، وضبطاً، حافظاً للألقاب والأسماء والكنى؛ فتصدّر في فنون العلم، وكان كثير النصيحة، حريصاً على الإفادة؛ فنفع وأدّب، وخرّج وهذّب...». (**المرقبة العليا** : 142). وقد ابتدأ أول أمره بالتدريس في المسجد القريب من سكناه احتساباً، ثم تقدم في مجال الخدمة العامة على نطاق مدينته، فأصبح من مشيختها، ناظراً في أمور العقد والحل، ومصالح الكافة، ثم وُلّي القضاء بها، فأظهر الصرامة والشدة، وترك الهوادة، وأنفذ الحق، الأمر الذي ألّب عليه الكثير من الحساد والواجدين، فنسبوا إليه أموراً حملَت على إخراجه من مالقة.

ولم يكن أمام الأشعري المالقي سوى التوجه إلى مدينة غرناطة (Granada)، التي أصبحت قِبلة علماء الأندلس، بعد أن استقرّت فيها أوضاع دولة بني نصر. فبقي فيها فترة يسيرة، ما لبث بعدها أن اشتهر نتيجة علمه واجتهاده، فقُدّم للخطبة بالمسجد الجامع الأعظم، ثم وُلّي قضاء الجماعة، وهو أكبر منصب قضائي في الأندلس. وهنا أيضاً قام الأشعري بدوره على أحسن وأشد ما يكون، فصدع بالحق، وجرّح الشهود، وزيّف عدداً كبيراً منهم. فاستُهدِف بذلك إلى عداء الكثيرين، وناله ذلك مشقة وتعباً وكيداً عظيماً، حتى إنه كان يمشي إلى الصلاة في الليل، وهو غير آمن على نفسه. لكنه مع ذلك استمر على نهجه القويم، ونال تأييد سلطان البلاد أبي الحَجّاج يُوسُف الأول ابن إسماعيل (733 ـ 755هـ/ 1333 ـ 1354م)، الذي وجد فيه رجلاً صلباً لا تلين قناته، ولا ينثني عوده.

وعلى الرغم من مشاغل القضاء، فإن الأشعري استمر في التدريس والإقراء، وتصدّر لبثّ العِلم في حضرة غرناطة. فكان يُدَرّس العربية، والأصول، والفقه، وإقراء القرآن، وعلم الفرائض والحساب، وعَقَدَ مجالس الحديث، شرحاً وسماعاً. وكان من أشهر تلاميذه، العالم الأندلسي المعروف لسان الدين محمّد ابن الخطيب المتوفى سنة 776هـ/ 1374م، وأبو الحسن بن الحسن النباهي، والأستاذ أبو سعيد بن

قاسم بن لب، وأبو محمّد بن عبد المهيمن بن محمّد الحضرمي السَبتي، الذي وصف أُستاذه في مشيخته، بالإمام العدل النزيه العالم الخاشع الشهيد الفاضل (التنبكتي، **نيل الابتهاج** :238). وقد اقتدى معظم تلاميذه بسجايا أُستاذهم، الذي كان عديم المبالاة بالملبس، عزيز النفس، فصاروا على هيئة متميّزة من لباس واقتصاد، وجَهْد واجتهاد. وكان ينصحهم، بعد تقوى اللّه العظيم بخصال منها، عدم الكتابة بخط دقيق الحروف، لأنه يضر بالأبصار، ويقلل انتفاع الناس به، وأن يتمعّنوا فيما يقرؤوه من كتب الشيوخ، ويكونوا من الديانة والدراية بمثابة من يُقبَل قوله فيما يدعيه، ولا يكذب فيه. وكان يقول لهم أيضاً بأن القاضي الجيد، هو الذي يعرف بشكل تفصيلي كيفية التوثيق، وعقد الشروط، ومن لم يتمرن في هذا، ولا أخذ نفسه بالتفقُّد في كتب التوثيق، لا ينبغي أن يكون قاضياً، وإن كان قوياً فائقاً في سائر العلوم.

لم يترك الأشعري من المؤلفات سوى كتاب واحد هو : **التمهيد والبيان في فضل الشهيد عُثمان بن عفان رضي اللّه عنه**، الذي جمعه من عدة كتب، وابتدأه بالقول: «أما بعد فهذا كتاب أذكر فيه مصرع الإمام الشهيد ذي النورين عُثمان بن عفان... إلخ». والكتاب مرتّب على اثني عشر باباً، في ذكر نسبه، وأولاده، وأزواجه، وإسلامه، وهجرته، وبيعته، وقصة الشورى، والخوض في حقه ومن حاصره وقتله، وموضع قبره، وخلافته، وصفته ولباسه، وما قيل في رثائه، والأخذ بثأره. ويوجد نسخة من الكتاب في دار الكتب المصرية، وهي مخطوطة بقلم معتاد، وبخط قديم، نُقلت عن نسخة المؤلف، وبها ترقيع وتقطيع، وأثر عرق، وبهامشها تقييدات عليها. ويبدو من تاريخ الفراغ من تأليفه، في شهر ذي القعدة سنة 699هـ/ 1299م، أنه كتبه وهو في مقتبل حياته العلمية، عندما كان في الخامسة والعشرين من عمره. وقد أشار ابن الخطيب إلى بيتين يتيمين له من الشِعر، لم يُسمَع له سواهما، في وصف قوس عربي النسب، عدَّهما في شِعر من لا شِعر له، وهما : [**البسيط**]

هام الفؤاد ببنت النَّبع والنَّشم ... زوراً تُزْري بعطف البان والصَّنم

قوام قامتها تمام معطفها ... من يلق مقتلها تُصميه أو تُصم

خُتمت حياة الأشعري المالقي بالموت شهيداً في معركة طريف التي وقعت

بين الجيوش الإسبانية المتحدة بقيادة الفونسو الحادي عشر (Alfonso XI) ملك قشتالة، والجيوش المغربية بقيادة السلطان أبي الحسن المريني، ومعها قوات الأندلس بقيادة السلطان يُوسُف أبي الحَجّاج ملك غَرناطة، على مقربة من ميناء طريف على مضيق جبل طارق، وذلك ضحى يوم الاثنين السابع من جُمَادى الأولى سنة 741هـ/ 1340م. ولم يُخلِّف المالقي ذُرِيَّة من الذكور، ويُذكر أنه كان راكباً بغلته في المعركة، يُحرّض على القتال، ويستحثّ الهمم، ويُشجّع الأبطال على الثبات، ويُشير على الأمير أن يُكثر من قول «حسبنا اللّه ونِعم الوكيل»، إلى أن كَبَتْ به بغلته، فأبى الانسحاب، وظل يُقاتل راجلاً رابط الجأش، مجتمع القِوى، حتى استشهد وهو يردد قول اللّه تعالى في الشهداء: ﴿فَرِحِينَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ﴾ [آل عمران: 170].

المصادر والمراجع:

ابن الخطيب، **الإحاطة في أخبار غَرناطة**، تحقيق، محمّد عبد اللّه عنان، القاهرة، مكتبة الخانجي، 1974: 2/ 176 ـ 180؛ أبو الحسن النباهي، **المرقبة العليا فيمن يستحق القضاء والفتيا**، نشره، ليفي بروفنسال بعنوان: **تاريخ قضاة الأندلس**، بيروت، المكتب التجاري: 141 ـ 147؛ ابن حَجَر، **الدُّرَر الكامنة في أعيان المائة الثامنة**، تحقيق، محمّد سيّد جاد الحق، ط2، القاهرة، دار الكتب الحديثة، 1966: 5/ 55، الترجمة (4662)؛ السُّيوطيّ، **بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة**، تحقيق، محمّد أبو الفضل إبراهيم، بيروت، المكتبة العصرية، 1964: 1/ 265 ـ 266، الترجمة (495)؛ أحمد بابا التنبكتي، **نيل الابتهاج بتطريز الديباج**، **بهامش الديباج المذهب** لابن فرحون، طبعة عَبّاس بن عبد السلام بن شقرون، مصر، الفحامين، 1351هـ: 237 ـ 238؛ المَقّري، **نَفح الطِّيب من غصن الأندلس الرطيب**، تحقيق، إحسان عَبّاس، بيروت، دار صادر، 1968: 5/ 75، 385 ـ 387، 540، 604؛ ابن العماد الحنبلي، **شذرات الذهب في أخبار من ذهب**، بيروت، دار المسيرة: 6/ 132 ـ 133؛ ابن مخلوف، **شجرة النور الزكية في طبقات المالكية**، بيروت، دار الكتاب اللبناني، عن طبعة المطبعة السلفية الأولى 1349هـ: 213 ـ 214، الترجمة (747)؛ البغدادي، **إيضاح المكنون في الذيل على كشف الظنون**، إستانبول، 1947، أعادت مكتبة المُثَنّى في بغداد طبعه بالأوفست:

1/ 322؛ البغدادي، **هدية العارفين**، إستانبول، 1955، أعادت مكتبة المُثَنَّى طبعه في بغداد : 2/ 150؛ **فهرس الكتب العربية الموجودة في دار الكتب المصرية**، القاهرة، 1926 : 5/ 145؛ الزركلي، **الأعلام**، ط2، القاهرة، مطبعة كونستانوماس، 1955 : 8/ 9؛ كحالة، **مُعجَم المؤلفين**، دمشق، مطبعة الترقي، 1957 : 12/ 110؛ C.Brockelmann, *Geschichte der Arabischen Litteratur*, Leiden, E.J. Brill, S,II : 371.

19 ـ أحمد بن سعد بن محمّد العسكري الأنْدَرَشي (ت750هـ/1349م):

أبو العبّاس أحمد بن سعد بن محمّد القرشي العسكري الأنْدَرَشي العَكَّري الصوفي، نحوي، مفسر، وعالم بالقراءات. أصله من مدينة أنْدَرَش (Andarax) من أعمال المَريَّة (Almeria) في الأندلُس، مولده بعد سنة 690هـ/ 1291م، وقد تلقّى تعليمه الأولي في هذه المدينة، ثم قرأ القراءات والعربية على الإمام أبي عبد اللّه محمّد بن عُثمان القرشي الأنْدَرَشي، وأخذ العربية أيضاً عن الأُستاذ القاسم بن عبد الكريم بن جابر الغَرناطي. كما قرأ بأنْدَرَش أيضاً على القاضي القاسم بن أحمد بن جابر، وتفقّه به، وتولّى نيابة القضاء عنه في هذه المدينة. وقرأ في المَريَّة على الأُستاذ أبي الحسن بن أبي العيش، ودرس في مالقة (Málaga) القراءات على أبي عبد اللّه محمّد بن محمّد بن عُمَر الطنجي الهاشمي. ويبدو أن الأنْدَرَشي كان يحفظ قصيدة «حرز الأماني ووجه التهاني في القراءات السبع للسبع المثاني»، المعروفة بـ«الشاطبيّة»، لمؤلفها أبي القاسم بن محمّد بن فيرة الشّاطبيّ الضرير المتوفى سنة 590هـ/ 1194م، والمؤلفة من 1173 بيتاً، فقد عرضها على شيخه أبي عبد اللّه الطنجي في جامع مالقة. كما قرأ أيضاً بعض القراءآت على أبي جعفر أحمد بن الحسن الكلاعي. وقد أراد الأنْدَرَشي أن يستزيد من طلب العلم، فقرر الرحلة إلى المشرق في سن مبكرة، فغادر الأندلُس في سنة 717هـ/ 1317م، واستقرّ لفترة في مصر، قبل أداء فريضة الحج، التي كانت ولاشك، أحد أهداف رحلته المشرقية التي انتهت باستقراره في بلاد الشام، وعدم العودة نهائياً إلى الأندلُس.

وفي مصر دَرس أحمد الأنْدَرَشي النحو على شيخ النحاة، أبي حَيّان محمّد بن يُوسُف بن عليّ الأندلُسي الجَيّاني، الذي جاء من الأندلُس واستقرّ في مصر، وتوفي فيها سنة 745هـ/ 1344. وقد عرض الأنْدَرَشي على أبي حَيّان كتاب

تسهيل الفوائد وتكميل المقاصد، في النحو للشيخ جمال الدين أبي عبد الله محمّد ابن عبد الله المعروف بابن مالك الطائي الجَيّاني النحوي المتوفى سنة 672هـ/ 1273م. وبما أن أبا حَيّان النحوي كان أيضاً شيخاً من شيوخ التفسير، فقد أخذ عنه هذا العلم أيضاً، الأمر الذي سيكون له إيجابياته في حياته العملية، ويؤهله للتأليف في هذا الموضوع. ولسنا نعرف مدة إقامته في مصر، لكنها على الأغلب لم تكن قصيرة، لأنها مكّنته أيضاً من تلاوة القرآن الكريم بالسبع على تقي الدين محمّد بن أحمد المشهور بابن الصائغ، شيخ قراء مصر، ومسندهم المتوفى سنة 725هـ/ 1324م (الصفدي، **أعيان العصر**: 4/ 251).

إن شهرة الأَنْدَرَشي العلمية، تعود بالدرجة الأولى، بعد وصوله إلى مدينة دمشق، التي اتخذها موطناً ومُستَقراً دائماً لمدة تقرب من ثلاثين سنة، حتى وفاته. وقد قصدها في بداية الأمر للاستزادة في طلب العلم، حيث توجه إلى كبار علمائها للأخذ عنهم، ومنهم الشيخ علاء الدين عليّ بن محمود القُوْنوي الصوفي المتوفى سنة 749هـ/ 1348م، الذي كان على رأس مشيخة شيوخ دمشق. وسمع الأَنْدَرَشي الحديث من القاسم بن عساكر، وغيره. لذلك فقد أصبح مؤهّلاً لأن يأخذ عنه طلبة العلم، فتصدر للإقراء في الجامع الأُموي، وشغل الناس، وكتب كثيراً بخطه. (ابن رافع، **الوفيات**: 2/ 129). وأصبح مجلسه يجذب كبار علماء العصر، أمثال، شمس الدين محمّد بن أحمد بن عُثمان الذهبي المتوفى سنة 748هـ/ 1347م، الذي جالسه وقال عنه في المُعجَم المختص بمُحدّثي العصر، بأنه شيخ العربية في دمشق، وتخرّج على يديه علماء، وكان دَيّناً منقبضاً عن الناس، شارك في الفضائل، وبرع في العلوم. (**تاريخ قاضي ابن شهبة**: 2/ 677).

كذلك أشار معاصره صلاح الدين خليل بن أيبك الصفدي المتوفى سنة 764هـ/ 1262، إلى براعته في علم النحو، وورعه وانعزاله عن الناس، دون أن يعير أي اهتمام أو ملاحظة لِما يجري حوله من أحداث سياسية في بلاد الشام آنذاك. وهو يورد ملاحظة تدلّ على اعتزاله، وتكريس وقته للعلم والدراسة والتأليف، في بيته الواقع في الجامع تحت المئذنة الشرقية. فيشير إلى لقاء جمع بينه وبين الأَنْدَرَشي في مجلس قاضي القضاة تقي الدين محمّد بن عبد اللطيف بن يحيى السُبكيّ المتوفى سنة 744هـ/ 1343م، فجرى الحديث عن عزل الأمير تنكز بن

عبد اللّه سيف الدين أبي سعيد نائب دمشق (712 ـ 739هـ/ 1312 ـ 1338م)، الذي تمّ قبل نحو خمس سنوات، فاستغرب الأَنْدَرَشي، وقال مستفهماً: وهل أُمسك تنكز؟ «فقيل له نعم، وجاء بعده أربعة نواب. فقال الأَنْدَرَشي: «ما علمت بشيء من هذا، وما في ذهني أن تنكز أُمسك». (**أعيان العصر**: 1/ 216 ـ 217).

ويشير عماد الدين إسماعيل بن عُمَر المعروف بابن كَثير المتوفى سنة 774هـ/ 1372م، كما ينقل عنه ابن قاضي شهبة، إلى أن الأَنْدَرَشي أَلّف مصنفات في النحو وفي التفسير، وغير ذلك، وأنه كان نقالاً في النحو، يحفظ كثيراً من الشواهد والمُثُل، حتى إنه سمع من يفضله على شيخه أبي حَيّان في الحفظ وكثرة النقل. وفي أي حال فقد اتفق معظم من ترجم له، على براعته في النحو، ويدلّ على هذا قيامه بشرح كتاب **تسهيل الفوائد وتكميل المقاصد**، للشيخ جمال الدين بن مالك الطائي الجَيّاني النحوي، في أربع مجلدات شرحاً حسناً. كما قام أيضاً بنسخ واختصار كتاب **تهذيب الكمال في أسماء الرجال**، للحافظ جمال الدين يُوسُف بن الزكي المزي المتوفى سنة 742هـ/ 1341م. وقد أشار حاجي خليفة إلى هذا المختصر باسم **العمدة في مختصر تهذيب الكمال والأطراف**، (**كشف الظنون**: 2/ 1170). كذلك شرع الأَنْدَرَشي في كتابة مؤَلّف كبير خاص بتفسير القرآن الكريم، كرّس له معظم وقته، فكتب منه مجلداً واحداً، حسبما يذكر ابن رافع. (**الوفيات**: 2/ 129)، لكنه لم ينجزه.

وباستثناء هذه الكتب، لم تصلنا أسماء مؤلفات أخرى للأَنْدَرَشي، على الرغم من إشارة بعض المؤرخين إلى أنه كتب مؤلفات كثيرة، وكان بارعاً في علوم متعددة، ويستظهر مختصر ابن الحاجب الأصلي والفرعي، في الفقه المالكي. لكن لا توجد إشارات عن مؤلفاته في هذا المجال. وقد تحوَّل في أواخر عمره إلى المذهب الشافعي. وتوفي في شهر ذي القعدة من سنة 750هـ/ 1349م، بعد إصابته بعلّة الإسهال، ودفن بسفح جبل قاسيون، بتربة القاضي السُّبكيّ. وقد ظلّ الأَنْدَرَشي مخلصاً وفياً للعلم والعلماء، حتى بعد وفاته، حيث أوقف كتبه على أهل العلم، وجعل أمرها لقاضي القضاة.

المصادر والمراجع:

الصفدي، **أعيان العصر وأعوان النصر**، تحقيق، عليّ أبو زيد ورفاقه،

دمشق، دار الفكـر، 1998: 1/ 216 ـ 217، 4/ 251؛ الكتبي، **عيون التواريخ**، نسخة خطية مصورة في المجمع العلمي العراقي برقم 592 و 593: الورقة 116؛ ابن رافع، **وفيات ابن رافع**، تحقيق، صالح مهدي عَبّاس، بيروت، مؤسسة الرسالة، 1982: 2/ 127 ـ 129؛ ابن الجزري، **غاية النهاية في طبقات القراء**، عني بنشره، ج. برجستراسر، ط 2، بيروت، دار الكتب العلمية، 1980: 1/ 55 ـ 56؛ ابن قاضي شهبة، **تاريخ ابن قاضي شهبة**، تحقيق، عدنان درويش، دمشق، المعهد العلمي الفرنسي للدراسات العربية، 1994: 2/ 676؛ ابن قاضي شهبة، **طبقات النحاة واللغويين**، مخطوط مكتبة الأوقاف في بغداد رقم 110، عن نسخة المكتبة الظاهرية في دمشق: الورقة 85 أ؛ ابن حجر العسقلاني، **الدُّرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة**، ط2، تحقيق، محمّد سعيد جاد الحق، القاهرة، دار الكتب الحديثة، 1966: 1/ 145، الترجمة (379)؛ السُّيوطيّ، **بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة**، تحقيق، محمّد أبو الفضل إبراهيم، بيروت، المكتبة العصرية، 1964: 1/ 309، الترجمة (575)؛ الداودي، **طبقات المفسرين**، تحقيق، عليّ محمّد عُمَر، القاهرة، مكتبة وهبة، 1972: 1/ 41 ـ 42، الترجمة (38)؛ ابن القاضي المكناسي، **دُرّة الحِجال في أسماء الرجال**، تحقيق، محمّد الأحمدي أبو النور، القاهرة، دار التراث، وتونس، المكتبة العتيقة، 1970: 1/ 75، الترجمة (100)، و133، الترجمة (163)؛ ابن العماد الحنبلي، **شذرات الذهب**، بيروت، دار المسيرة: 6/ 166؛ حاجي خليفة، **كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون**، بيروت، دار الكتب العلمية، 1992، عن طبعة إستانبول 1941: 1/ 406، 2/ 1162، 1170، 1511؛ كحالة، **مُعجَم المؤلفين**، دمشق، مطبعة الترقي، 1957: 1/ 231.

20 ـ سعد بن أحمد بن لِيُون التُّجِيبي (681 ـ 750هـ / 1282 ـ 1349م):

أبو عُثمان سعد بن أحمد بن إبراهيم بن لِيُون التُّجِيبي الأندلُسي المالكي، أديب، وعالم بالحديث والفرائض والطب والمساحة. ولد في مدينة المَريَّة Almeria الأندلُسية ونشأ فيها، وأخذ العلم عن كبار رجال الأندلُس المشهورين في زمنه، أمثال ابن رُشيد محمّد بن عُمَر الفِهْري (ت 721هـ/ 1321م)، وأبي جعفر أحمد بن إبراهيم بن الزُّبير، صاحب كتاب **صلة الصِّلة** (ت 708هـ/ 1308م)، وعدد كبير آخر ممن ساهموا في تكوينه الفكري، كابن برطال، وابن الزيات، والولي أبي عبد اللّه الطنجالي، وأبي

القاسم بن الشاط، وغيرهم. وكان هؤلاء في الوقت نفسه شيوخاً للسان الدين ابن الخطيب (ت 776هـ/ 1374م)، الذي كان من تلامذة ابن لِيُون، وذَكَرُه في **الإحاطة**، بشيخنا أبي عُثمان بن لِيُون (1/ 205). وقد خصص له محمّد بن أحمد المَقَّري التِلِمْساني (ت 1041هـ/ 11631م) نحو ستين صفحة، عند حديثه عنه باعتباره أحد شيوخ ابن الخطيب، ووصفه بأنه «من أكابر الأئمة الذين أفرغوا جَهْدهم في الزُهد والعلم والنصح». (**نَفح الطِّيب**: 5/ 543).

ومن تلامذة ابن لِيُون الذين نبغوا بعده، إضافة إلى ابن الخطيب، أبو محمّد عبد المهيمن بن محمّد الحضرمي السَبتي المتوفى سنة 712هـ/ 1312م، الذي أصبح إماماً في علم الحديث والنحو واللغة العربية، وكان كاتباً مشهوراً في عهد الدولة المرينية، وأُستاذاً للعلاّمة المشهور عبد الرحمن بن خَلدون. وقد وصف الحضرمي شيخه أبا عُثمان بن لِيُون في برنامج شيوخه، الذي نقله عنه أحمد بابا التنبكتي بـ «الفقيه الجليل الأستاذ المصنّف الطَّيِّب الأعرف الماهر العالم المتفنن الصالح الزاهد الفاضل، من أَجلّ علماء الأندلُس وأبدعهم تأليفاً». (**نيل الابتهاج**: 123). كذلك أشار إلى قدرته على نظم العلوم، والاعتناء بالكتب وتأليفها، ومقابلتها، وضبطها، وإجادة تصحيحها، مع زُهد شديد، وورَع، وانقباض عن الناس. وقضى عمره لم يتزوج، مكرّساً وقته لنشر علمه بين من يطلبه من فضلاء معاصريه وخيارهم، الذين انتفعوا به في الطب، وقرأوا عليه الأحاديث. وقد عمل ابن لِيُون في القضاء، حيث استنابه قضاة بلده في الأحكام الشرعية، والنوازل الحكمية، فكان عادلاً محمود السيرة، مشتهراً بالنزاهة. ويبدو أن ابن عبد المهيمن الحضرمي كان من ألصق تلامذته به، لأنه لازمه ثلاثين سنة تباعاً، فحفظ عنه بعض منظوماته في الحديث، والفرائض، والطب، والعروض، والمساحة، كما سمع عنه، وتفقه عليه في علم الحديث والفرائض، وانتفع بخزانته العامرة بالكتب. وقد توفي أبو عُثمان بن لِيُون عن عمر قارب السبعين عاماً بمرض الطاعون سنة 750هـ/ 1349م.

ويشير معظم من ترجم لابن لِيُون إلى غزارة إنتاجه في التأليف، وقد رفع بعضهم عدد كتبه إلى ما يزيد على مائة مصنَّف. لكن غالبية هذه المصنَّفات هي مختصرات لكتب غيره من المؤلفين، فقد كان مولعاً بهذا النوع من التصنيف. ومن طريف ما يُحكى عنه في هذا الصدد، أن أحد كبار رجال المغرب، رأى رجلاً

طويلاً، فقال لمن حضره: لو رآه ابن لِيُون لاختصره، إشارة إلى كثرة اختصاره للكتب. ويقول المَقَّري التِلِمْساني، إنه وقف على أكثر من عشرين كتاباً من مؤلفاته، وهذه الكتب الآن في عداد المفقودات، وسنشير فيما يأتي إلى أهم كتبه المؤلفة والمختصرة:

1 - **السلسل الفائض في علم الفرائض.**

2 - **كمال الحافظ وجمال اللافظ في الحِكَم والوصايا والمواعظ.**

3 - **العماد في علوم الإسناد.**

4 - **كتاب في الهندسة.**

5 - **كتاب في الفلاحة.**

6 - **اختصار بهجة المجالس** لابن عبد البر النمري.

7 - **اختصار المرتبة العليا** لابن رشد.

8 - **نفح السِحْر في اختصار روح الشِعْر وروح الشِعْر** لابن الجلاب الفِهْري.

9 - **أنواء الدِّيم في المواعظ والوصايا والحِكَم**، أنجزه في شعبان سنة 736هـ.

10 - **الأبيات المهذبة في المعاني المقربة.**

11 - كتاب **نصائح الأحباب وصحائح الآداب**، أورد فيه مائتي قطعة من شِعره تتضمن نصائح متنوعة، منها نُبذة تحضّ على العلم. (المَقَّري، **نَفح الطِّيب**: 5/ 544 - 577) : **[المجتث]**

زاحِمْ أُولي العِلم حتى تُعْتَدَّ منهم حقيقهْ
ولا يَرُدَّكَ عجزٌ عن أخذ أعلى طريقهْ
فإنَّ مَن جَدَّ يُعطى فيما يُحِبُّ حقوقهْ

وقد أورد المَقَّري نماذج أخرى من شِعره من كتبه المختلفة، كما أشار إلى كثير من الأشعار التي كان ينشدها أهل مجلسه في قصبة مدينة المَرِيَّة، وينشدها هو لغيره من الأدباء (**نَفح الطِّيب**: 5/ 596 - 603).

المصادر والمراجع:

لسان الدين ابن الخطيب، **الإحاطة في أخبار غَرناطة**، تحقيق، محمّد عبد اللّه عنان، القاهرة، مكتبة الخانجي، 1978: 4/ 205؛ المَقَّري، **نَفح الطِّيب من غصن الأندلُس الرطيب**، تحقيق، إحسان عَبّاس، بيروت، دار صادر، 1968: 5/ 543 ـ 603 الترجمة رقم (28)؛ أحمد بابا التنبكتي، **نيل الابتهاج بتطريز الديباج**، بهامش **الديباج المذهب** لابن فرحون، طبعة عَبّاس بن عبد السلام بن شقرون، مصر، الفحامين، 1351هـ: 123 ـ 124؛ ابن مخلوف، **شجرة النور الزكية في طبقات المالكية**، بيروت، دار الكتاب اللبناني، عن طبعة المطبعة السلفية الأولى سنة 1349هـ: 214 الترجمة رقم (753)؛ البغدادي، **إيضاح المكنون في الذيل على كشف الظنون**، إستانبول، 1947، أعادت مكتبة المُثَنّى في بغداد طبعه بالأوفست: 1/ 13، 132، 2/ 21، 667؛ الزركلي، **الأعلام**، ط2، القاهرة، مطبعة كونستانوماس، 1955: 3/ 132؛ كحالة، **مُعجَم المؤلفين**، دمشق، مطبعة الترقي، 1957: 4/ 210.

21 ـ أحمد بن قاسم بن عبد اللّه بن البغيل (ت 750هـ/1349م):

أبو جعفر أحمد بن قاسم بن عبد اللّه بن إبراهيم الخولاني أو (الجذامي)، المعروف بابن البغيل، فقيه، لغوي، مؤرخ. من أهل المَريَّة (Almeria) في الأندلُس، وأصله من مدينة مُرسِيه (Murcia)، انتقل منها أبوه إلى المَريَّة، واستقرّ فيها. وكانت هذه المدينة، تُعد في الحقبة التي عاش فيها ابن البغيل من أهم ثغور مملكة غَرناطة، بعد مدينة مالقة (Málaga). لكنها كانت في الوقت نفسه تتعرض إلى مخاطر خارجية من قِبل الإسبان، وكذلك إلى أحداث داخلية خطيرة تتعلّق بالصراع بين أفراد الأسرة النصرية الحاكمة، والنزاع مع شيخ الغزاة المريني. ولا تشير المصادر المتيسرة إلى دور ابن البغيل في أحداث عصره، باستثناء أنه كان يتصرف في الأعمال الاستقبالية بدار الأشراف في المَريَّة، لحقبة طويلة من حياته. (ابن القاضي، درة الحجال: 1/ 135). ويبدو أن عمله هذا كان أشبه ما يكون بوظيفة الحاجب، أو مسؤول العلاقات العامة، بحسب تعبيرنا في الحالي، في دار الأشراف، الذي ربما كان مكاناً لاجتماع عِلْيَة القوم في المَريَّة. ومن الواضح أن هذا العمل لم يكن يلائم طبيعة ابن البغيل، الذي كان «ينتحل طريقة الفقراء،

ويظهر من مظاهر التصوف»، لهذا فقد انقطع عنه لفترة قصيرة «تنسكاً»، لكنه رجع إليه لأنه، وكما يبدو، كان مصدر رزقه الوحيد.

كان ابن البغيل بالإضافة إلى تصوفه ونسكه، من كبار أدباء مدينة المَريَّة وشعرائها، وكُتّابها النبلاء. وقد دَرَسَ اللغة على أبي القاسم محمّد المَقَّري اللغوي، كما روى عن الأُستاذ أبي جعفر بن عبد النور المالقي. ومن تلامذته، خالد بن عيسى البَلَوي، مصنف الرحلة المعروفة باسم : **تاج المفرق في تحلية علماء المشرق**. وقد عاصر بعض أعلام مدينة المَريَّة، من أمثال أحمد بن عليّ بن خاتمة الأنصاري المتوفى سنة 770هـ/ 1368م، الذي كان يتناشد معه الشِعر، ومما أنشده ابن البغيل لابن خاتمة : [**الطويل**]

أما والهوى العُذْريُّ والعِفّةُ التي تكفُّ عن الأوهام حتى عن الطَّيْفِ

لقد ذَهَبَتَ منها النفوسُ بفتنةٍ مُضلّلةٍ تهدي النفوس إلى الحَتفِ

فما نَهتْني إذ نهتْني قُوى النُهى ولم تكن التقْوى لِتقْوى على الكَفِ

ويتفق الذين ترجموا لابن البغيل، على أنه كان كاتباً نبيلاً، وشاعراً مطبوعاً، حسن المجالسة، ذكي النفس، لطيف الشمائل، حسن الخط، يضاف إلى ذلك أنه كان مؤرخاً يكتب عن أهل بلاده. وينقل ابن حجر العسقلاني عن لسان الدين ابن الخطيب، في كتابه : **التاج المحلى في مساجلة القِدح المعلّى** (الذي يحتوي على تاريخ مختصر لمملكة غَرناطة، وتراجم لأعيانها، ويوجد جزء منه بالمخطوط رقم 554 / غزيري، بمكتبة الإسكوريال)، قوله عن ابن البغيل إنه : «أرّخ وقيّد، وأحكم بناء العبارة، وشيّد ورقّم الرسائل، والوقائع، ورسم الأخبار، وكتب الوقائع بنفسه». كما أورد له نماذج من شِعره، بألفاظ ومعان جميلة. (**الدُرر الكامنة** : 1/ 151).

ويبدو أن كلام ابن الخطيب عن أسلوبه، وتدوينه للوقائع ينسحب على أحد مؤلفات ابن البغيل في مجال التاريخ. لكننا لم نعثر سوى على إشارة واحدة إلى هذا المؤَلف، حيث يشير ابن القاضي إلى قيامه بتصنيف **تاريخ حسن في حصار البرجوني لمدينة المَريَّة** (**دُرَّة الحِجال** : 1/ 134)، الذي لم يصلنا مع الأسف. والملك البرجوني المقصود هو خايمي الثاني (Jaime II) ملك أراغون، الذي شنّ

هجوماً على المَريَّة سنة 709هـ/ 1309م. وقد بذل المهاجمون النَصَارَى جهوداً كبيرة للاستيلاء على المَريَّة، ونصبوا عليها المجانيق، فلقيهم المسلمون، وكبَّدوهم خسائر فادحة، ودام الحصار للمدينة ستة أشهر. لكن المعركة انتهت بهزيمة النَصَارَى على أيدي جيوش الأندلُس، بقيادة شيخ الغزاة عُثمان بن أبي العلاء المريني، وتمّ رفع الحصار عن المدينة. وقد تطرّق إلى هذا الحصار الكثير من المؤرخين الأندلُسيين والمغاربة، مثل ابن الخطيب في **اللمحة البدرية**، وابن القاضي المكناسي في **دُرَّة الحِجال**، والونشريسي في **المعيار المعرب**. ومن المرجح جداً أنهم نقلوا معلوماتهم عن كتاب ابن البغيل عن حصار المَريَّة الذي أشرنا إليه أعلاه. ولاشك في أن هذا الكتاب احتوى على تفصيلات أوفى وأدق، لأنه مخصص بأجمعه لهذا الحدث، ولأن كاتبه كان من أهل المَريَّة، الذي عاصر الحصار، وكان شاهد عيان عليه. وقد عاش ابن البغيل نحو أربعين سنة أخرى بعد هذا الحصار، وشهد العديد من الأحداث المهمة فيها، وربما دوَّن بعضاً منها، لكن لم تصل إلينا معلومات عنها. وقد توفي ابن البغيل في وباء الطاعون، الذي أصيبت به المَريَّة في منتصف القرن الثامن للهجرة/ الرابع عشر للميلاد. وهو الوباء المعروف بالفناء الكبير الذي استمر مدة أحد عشر شهراً، وقضى على عدد كبير من سكانها، كان من ضمنهم ابن البغيل، الذي توفي في العاشر من المحرم سنة 750هـ/ 1349م.

المصادر والمراجع:

ابن حجر، **الدُرَر الكامنة في أعيان المائة الثامنة**، ط2، تحقيق، محمّد سيّد جاد الحق، القاهرة، دار الكتب الحديثة، 1966: 1/ 151، الترجمة (603)؛ ابن القاضي المكناسي، **دُرَّة الحِجال في أسماء الرجال**، تحقيق، محمّد الأحمدي أبو النور، القاهرة، دار التراث وتونس، المكتبة العتيقة، 1970: 1/ 133 ـ 135، الترجمة (164)؛ البَلَوي، **تاج المفرق في تحلية علماء المشرق**، تحقيق، حسن السائح، المحمّدية، المغرب، مطبعة فضالة: («مُقَدِّمة» المحقق: 1/ 31)؛ السيد عبد العزيز سالم، **تاريخ مدينة المَريَّة الإسلامية**، بيروت، دار النهضة العربية، 1969: 102 ـ 103.

22 ـ عبد الرحمن بن دحمان الأنصاري المالقي (550 ـ 627هـ/1155 ـ 1229م):

أبو بكر عبد الرحمن بن دحمان بن عبد الرحمن بن القاسم الأنصاري المالقي، نحوي، مُقرئ، أديب. أصل أسرته من وادي الحِجارة (Guadalajara) في الأندلُس، انتقل جَدّه عبد الرحمن، نتيجة لزحف النَصارَى إلى بَلَنْسِية (Valencia). وعندما سقطت بَلَنْسِية غادروها واستقرّوا نهائياً في مدينة مالقة (Málaga). درس ابن دحمان القراءات على أبيه، وعمه الأُستاذ أبي محمّد القاسم، الذي يُعدّ من جِلّة الرواة الثقات، والعلماء المقرئين في مالقة، المتوفى سنة 575هـ/ 1179م. كما روى أيضاً عن خاله أبي الحُسين شاكر بن محمّد بن الحسن المعروف بالفخّار المتوفى سنة 586هـ/ 1190. وكان هذا الخال ذكياً، لوذعياً، عالي الهمة، أديباً شاعراً، أنشد له ابن دحمان شِعراً كثيراً. (أعلام مالقة : 354 ـ 355). ومن شيوخه أيضاً، أبو زيد عبد الرحمن بن عبد اللّه بن أحمد السهيلي المتوفى سنة 581هـ/ 1185م، الذي سمع منه، وأخذ عنه الكثير من علم العربية، والأدب والشِعر. وأجاز له أيضاً عبد اللّه بن عبد الرحمن بن قُزْمان.

عُرف ابن دحمان منذ صغره بطلب العلم، والاشتغال به، وأنه كان على عفاف، وصون، وخُلق رفيع. وقد لفت هذا الأمر انتباه أحد كبار علماء مالقة، وهو محمّد بن سعيد بن مدرك الغَسّانيّ، الذي كان مُحدّثاً، راوية، ورّاقاً بارع الخط، حسن التقييد، مؤرخاً بصيراً، عارفاً، شديد العناية بالكتب واقتنائها، حتى يُقال إنه كان لا يوجد كتاب نبيه، إلا وخطّه عليه. أُعجب هذا العالم بابن دحمان، فاستدعاه، وقال له : «أُريد أن أُزوجك ابنتي وعندي ما تحتاج إليه...». فوافق ابن دحمان على ذلك، وظلت عنده ابنة صهره ابن مدرك الغَسّانيّ حتى وفاته. ولا شك في أن الذي قصده ابن مدرك بما يحتاج إليه ابن دحمان، هو علمه وكتبه النفيسة الكثيرة، التي استفاد منها ابن دحمان كثيراً.

برز ابن دحمان في مالقة، وأصبح يُعدّ من شيوخ القراء فيها، يقصده التلاميذ من مختلف أنحاء الأندلُس والمَغرِب. ومن جملة هؤلاء إبراهيم بن أبي بكر بن عبد اللّه بن مُوسى الأنصاري التِلِمْساني الوشقي، نزيل سَبتة المتوفى بعد سنة 690هـ/ 1291م، الذي انتقل إلى الأندلُس، فسكن مدة في مالقة، وأخذ فيها

القراءات من ابن دحمان، قبل أن يرجع إلى سَبتة. وقد نبغ هذا الأخير في الأدب والشِعر، وعلم العدد والفرائض، وعقد الشروط، الأمر الذي ربما يدلّ على اهتمامات أُستاذه أيضاً، وأخذه لبعض هذه العلوم عنه.(ابن مريم، **البستان**: 55 ـ 56). ومن تلاميذ ابن دحمان أيضاً قاسم بن أحمد بن السكوت الأنصاري، المعروف بأبي القاسم الحجري، وكذلك أبي بكر بن مسدي، الذي قرأ عليه بالثمان. كما روى عنه أيضاً تلاميذ آخرون منهم، ابن أبي الأحوص، وأبو بكر بن حُميد، وغيرهما.

وعلى الرغم من إشادة مترجميه بعلمه، ومعرفته الواسعة في النحو، وقراءة القرآن، والشِعر، والأدب، إلا أنهم لايشيرون إلى أيّ مؤلفات لابن دحمان. ويعترف مؤلف كتاب **أعلام مالقة**، بأنه لم يقف على شِعره، لكنه يُطريه كثيراً، ويصفه بأنه من جِلّة علماء مالقة، وعِلْيتهم، وأنه كان فاضلاً، ورعاً، منبسط النفس، كثير الدعابة، ويحضر مجالس السادات، فيستظرفون أخباره ونوادره، وكان محبّباً عندهم، مكرّماً لديهم، حتى وفاته في شهر شعبان سنة 627هـ/ 1229.

المصادر والمراجع:

أبو عبد اللّه بن عسكر وأبو بكر بن خميس، **أعلام مالقة**، تحقيق، عبد اللّه المرابط الترغي، بيروت، دار الغرب الإسلامي، والرباط، دار الأمان، 1999: 125، 258، 353، 354؛ ابن عبد الملك المَرّاكُشيّ، **الذيل والتكملة لكتابَي الموصول والصّلة**، تحقيق، إحسان عبّاس، بيروت، دار الثقافة، 1964: 4/ 126؛ ابن الجزري، **غاية النهاية في طبقات القراء**، ط2، عني بنشره، ج. برجستراسر، بيروت، دار الكتب العلمية، 1980: 1/ 369، الترجمة (1566)؛ السُيوطيّ، **بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة**، تحقيق، محمّد أبو الفضل إبراهيم، بيروت، المكتبة العصرية، 1964: 2/ 79، الترجمة (1486)؛ ابن مريم، **البستان في ذِكر الأولياء والعلماء بتِلِمْسان**، وقف على طبعه، محمّد بن أبي شنب، الجزائر، 1908: 55 ـ 56.

23 ـ إبراهيم بن يحيى الأنصاري المرسي (677 ـ 751هـ/1278 ـ 1350م):

أبو إسحاق إبراهيم بن يحيى بن محمّد بن أحمد بن زكريا الأنصاري

المرسي، ثم الغَرناطي، نحوي، مقرئ، طبيب. أصله من مدينة مُرسِيه (Murcia) في جنوب شرق الأندلُس، ثم تحوّل إلى غَرناطة (Granada)، وعاش فيها زمن الدولة النصرية. والواقع أن المعلومات عن إبراهيم الغَرناطي شحيحة جداً، وهي تأتي بالدرجة الأولى من ترجمة مقتضبة، كتبها له لسان الدين ابن الخطيب في **الإحاطة في أخبار غَرناطة**، ونقلها عنه ابن حجر العسقلاني في **الدُّرَر الكامنة**. وهذه الترجمة لا تتوافر في النسخة المطبوعة بين أيدينا. ومن المحتمل أنه كان بتصرف ابن حَجَر نسخة أخرى أكثر تفصيلاً. وفي أي حال، فقد ولد هذا الرجل في شعبان من سنة 677هـ/ 1278م، وأخذ العلم عن أبيه، وشارك في القراءات، والفقه والأصلَيْن، وله نظم للشِعر، وكان حسن الخط كثيراً، وله مشاركة في العلوم.

ولا توجد إشارة إلى شيوخه، وتلاميذه، أو مؤلفاته، ولا نماذج من شِعره، باستثناء قول كحالة، أنه كان له وثائق. (**مُعجَم المؤلفين**: 1/ 127). وهذا يدلّ على أنه كان متمكّناً من تحرير الشروط والوثائق العامة، بصيراً بعقدها. ولم تكن هذه المهمة ذات علاقة بالدولة، لأن النظام القضائي في الأندلُس، كان يترك الناس أحراراً في اختيار من يقوم بتحرير ما يتعاقدون عليه من شروط، لذلك عُني الكثيرون بوضع كتب تُهوّن على الناس أمر العقود وصيغها، ومنها تلك التي تدعى بالوثائق. ومما يؤسف له أن وثائق الغَرناطي هذه لم تصل إلينا، كذلك لا نعرف بالضبط العلوم الأخرى التي شارك فيها، حسبما ورد في ترجمته. ومن الواضح أنه كان لإبراهيم الغَرناطي رحلة إلى خارج الأندلُس، ولاسيما في بلاد المغرب، حيث برز هناك، وتولّى القضاء في بعض مدنه، لكن لا توجد أي إشارة إلى تلك الأماكن. ومن المحتمل أنه رجع في أواخر عمره إلى غَرناطة، فقد توفي فيها، بحسب قول ابن الخطيب في جُمَادى الآخرة من سنة 751هـ/ 1350م.

المصادر والمراجع:

ابن حجر العسقلاني، **الدُّرَر الكامنة في أعيان المائة الثامنة**، ط2، تحقيق، محمّد عبد المعيد خان، الهند، حيدر آباد الدكن، 1972: 1/ 87؛ كحالة، **مُعجَم المؤلفين**، دمشق، مطبعة الترقي، 1957: 1/ 127؛ C. Brockelman, *Geschichte der Arabischen Litteratur*, Leiden, Brill, 1938, S. II: 374.

24 ـ محمّد بن عليّ الأَوْسي الغَرناطي (724 ـ 782هـ/1324 ـ 1380م):

أبو عبد اللّه محمّد بن عليّ بن أحمد بن محمّد الأَوْسي البَلَنْسي الغَرناطي، مفسر، لغوي. أصل أسرته من مدينة بَلَنْسِية (Valencia) في شرق الأندلُس. ولد في مدينة غَرناطة (Granada) في 15 ذي الحجة سنة 724هـ/ الثالث من كانون الأول/ يناير 1324م. وقد نشأ عفيفاً، مُكبًّا على العلم، حريصاً على استفادته. وكان أكثر ملازمته للشيخ أبي عبد اللّه محمّد بن عليّ بن أحمد الخولاني، المعروف بابن الفخّار المتوفى سنة 754هـ/ 1353م، والذي كان أحد علماء الأندلُس البارزين في اللغة العربية، والفقه، والقراءات، والتفسير، ودرَّسَ بالمدرسة النصرية في غَرناطة. وقد انتفع به الأَوْسي كثيراً، وأخذ عنه معظم دروسه، كما قرأ على غيره من علماء غَرناطة، لكن المصادر المتيسرة لا تشير إلى أسمائهم.

أدّى محمّد بن عليّ الأَوْسي دوراً في أحداث بلده غَرناطة، ولاسيما حين تغلب السلطان إسماعيل الثاني ابن يُوسُف على الحُكم، وانتزعه من أخيه محمّد الخامس سنة 760هـ/ 1359 ـ 1360م. ويشير لسان الدين ابن الخطيب، المعاصر له، إلى أنه تولّى بعض الولايات في تلك الفترة، منها القيام بأعمال خطة السوق، التي كانت تختلط أحياناً مع صفة صاحب الشرطة في الأندلُس، فأفاد منها جاهاً. كما قام ببعض المهام الأخرى، ولاسيما السفارة إلى ملك المغرب السلطان أبي عنان فارس بن أبي الحسن بن عُثمان المريني. الأمر الذي جرَّ عليه نقمة السلطان المخلوع محمّد الخامس، الذي كان متحصناً في مدينة رُنْدَة (Ronda) الجبلية. فأرسل إليه فريقاً من رجاله، استطاعوا أن يأسروه، ويَقْدِموا به إليه، وهو في حالة مزرية، موقناً بالعقاب والقتل. وقد أُودِعَ السجن، فكان يقرأ القرآن الكريم في الليل بصوت جَهْوَري حسن، الأمر الذي نال استحسان السلطان، فعفا عنه، وأطلق سراحه، بعد نكبته المؤلمة. وعندما استعاد السلطان محمّد الخامس عرشه سنة 762هـ/ 1361م، أعاده للإقراء في غَرناطة.

تميّز الأَوْسي باهتمامه بتفسير القرآن الكريم، وبالعربية، والبيان، ومعرفته لكثير من المسائل، فضلاً عن حفظه المتقن، وإلقائه الحسن، وجَهْوَريّة صوته، الأمر الذي أكسبه محبة تلاميذه، وإقبالهم عليه. وتجدر الإشارة إلى ثلاثة من هؤلاء الذين درسوا عليه، ونبغوا فيما بعد بالأندلُس، وأصبحوا من كبار العلماء الذين يُشار إليهم بالبنان، ما يدلّ على تمكّن أُستاذهم، ومقدرته في توصيل علمه إليهم.

وهم كل من أبي عبد اللّه محمّد بن عبد الملك المنتوري، وأبي إسحاق إبراهيم بن مُوسى اللّخميّ الشاطبي المتوفى سنة 790هـ/ 1388م، والقاضي أبي بكر عُمَر بن عاصم، المتوفى سنة 829هـ/ 1426م، صاحب الرجز المعروف **بمنظومة ابن عاصم** المسمّاة : **تحفة الحكام في نكت العقود والأحكام.**

ألّف الأَوْسي كتاباً في **تفسير القرآن**، يتألف من عدة أسفار، كما صنّف استدراكاً على كتاب **الإعلام بما وقع في القرآن من الأسماء والأعلام**، لمؤلفه أبي زيد عبد الرحمن بن عبد اللّه السهيلي المتوفى سنة 581هـ/ 1185م. وكان هذا الاستدراك، كما يرى ابن الخطيب، كتاباً نبيلاً، رفعه هدية للسلطان النصري. ومن المؤسف أن هذين الكتابين لم يصلا إلينا. وقد توفي الأَوْسي في غَرناطة يوم السبت الخامس من ربيع الأول سنة 782هـ/ التاسع من حزيران/ يونيه 1380م.

المصادر والمراجع:

ابن الخطيب، **الإحاطة في أخبار غرناطة**، تحقيق، محمّد عبد اللّه عنان، القاهرة، مكتبة الخانجي، 1975 : 3/ 38 ـ 39؛ ابن حجر العسقلاني، **الدُّرَر الكامنة في أعيان المائة الثامنة**، ط2، تحقيق، محمّد سيّد جاد الحق، القاهرة، دار الكتب الحديثة، 1966 : 4/ 207 ـ 208، الترجمة (4109) ؛ السُّيوطيّ، **بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة**، تحقيق، محمّد أبو الفضل إبراهيم، بيروت، المكتبة العصرية، 1964 : 1/ 191، الترجمة، (323) ؛ الداودي، **طبقات المفسرين**، تحقيق، عليّ محمّد عُمَر، القاهرة، مكتبة وهبة، 1972 : 2/ 211، الترجمة (544) ؛ البَلَوي، **ثبت أبي جعفر أحمد بن عليّ البَلَوي الوادي آشي**، دراسة وتحقيق، عبد اللّه العمراني، بيروت، دار الغرب الإسلامي، 1983 : 144؛ بدر الدين القرافي، **توشيح الديباج وحلية الابتهاج**، تحقيق، أحمد الشتيوي، بيروت، دار الغرب الإسلامي، 1983 : 126؛ ابن القاضي المكناسي، **دُرّة الحِجال في أسماء الرجال**، تحقيق، محمّد الأحمدي أبو النور، تونس، المكتبة العتيقة، القاهرة، دار التراث، 1971 : 2/ 276، الترجمة (784) ؛ أحمد بابا التنبكتي، **ذيل الابتهاج بتطريز الديباج**، بهامش **الديباج المذهب** لابن فرحون، طبعة عَبّاس بن عبد السلام بن شقرون، مصر، الفحامين، 1351هـ : 270؛ كحالة، **مُعجَم المؤلفين**، دمشق، مطبعة الترقي، 1957 : 10/ 305.

٥١٥١٨٥

25 ـ محمّد القُسْطُرْلي البسطي (ت 844هـ/1440م):

أبو عبد اللّه محمّد القُسْطُرْلي، أو القَسطُرْلي، مُحدّث، فقيه، لغوي، وعالم بالحساب. أصله من قسطُرَّة، بضم الطاء وتشديد الراء، كما ضبطها ياقوت الحموي. وهي مدينة بالأندلس من عمل جَيّان (Jaen)، وتقع بينها وبين بيّاسة (Baeza). وقد سكن بعد ذلك في مدينة بسطة (Baza) التي تقع إلى الجنوب الشرقي منها. وهذه المدينة الأخيرة أيضاً من عمل جَيّان التي لا تفصلها عنها إلا ثلاث مراحل، وتقع شرقي غَرناطة (Granada) بالقرب من وادي آش.

عاش أبو عبد اللّه محمّد القُسْطُرْلي في أيام مملكة غَرناطة. ولا نعرف تاريخ ولادته، لكنه على الأغلَب عاصر العديد من ملوك غَرناطة، اعتباراً من عهد محمّد الخامس الغني باللّه في ولاية حكمه الثانية المبتدئة بسنة 762 ـ 794هـ/ 1361 ـ 1392م، وحتى وفاته زمن محمّد السابع المعروف بالأيسر، الذي حكم من سنة 820 ـ 858هـ/ 1417 ـ 1454م. ولقد تميّزت هذه الحقبة بكثرة الصراعات الداخلية بين أسرة بني نصر الحاكمة، وكثرة أطماع القشتاليين، الذين كانوا يتربصون الفرص لغزو مملكة غَرناطة. وقد تعرضت هذه المملكة فعلاً في هذا العهد إلى الكثير من الغزوات التي شملت مدينة بسطة ووادي آش، ولاسيما في السنوات الأخيرة من حياة محمّد القُسْطُرْلي، ومع ذلك عاش هذا العالم حياته مشاركاً في كثير من العلوم السائدة في عصره، شأنه شأن الكثير من العلماء الذين نبغوا في هذا العصر.

والحقيقة إن معلوماتنا عن أبي عبد اللّه القُسْطُرْلي شحيحة جداً، وهي تأتي بالدرجة الأولى من الترجمة المختصرة التي كتبها له أبو الحسن عليّ بن محمّد بن عليّ القُرشي البسطي الشهير بالقَلَصادي المتوفى بمدينة باجَه التونسية سنة 891هـ/ 1486م. فقد عَرَّف به ضمن شيوخه الذين أخذ عنهم العلم بمدينة بسطة، ووصفه بـ: «الفقيه الإمام الصدر الورع الخيّر سيدي أبي عبد اللّه محمّد القُسْطُرْلي، رحمة اللّه عليه» (**رحلة القَلَصادي** : 84).وقد أشار إلى مشاركة أُستاذه في أكثر العلوم، من القراءة، والحديث، واللغة العربية، وغير ذلك. وذكر بشكل خاص أنه جوّد عليه بعض أجزاء القرآن العزيز، كما قرأ عليه بعض المقالات في الحساب، لأبي العبّاس أحمد الأَزْدي المَرّاكُشيّ المعروف بابن البناء المتوفى سنة 721هـ/ 1331م.

إن إشارة القَلَصادي إلى أخذه لمقالات ابن البناء عن أبي عبد اللّه

القُسْطُرْلي، تشير بوضوح إلى اهتمام ومعرفة الأخير بعلم الحساب، الذي اشتهر به ابن البناء، وله فيه مؤلفات كثيرة، وصل بعضها إلى الأندلُس عن طريق العلماء الذين رحلوا إلى ابن البناء في المغرب للدراسة عليه، وعادوا ببعض مؤلفاته، التي أطلع عليها القُسْطُرْلي ودرسها، وأحكم تعلُّمها، بحيث أصبح مؤهلاً فيما بعد لتدريسها لتلامذته، ومنهم القَلَصادي، الذي نبغ في هذا العلم مستقبلاً، حتى إنه ألَّف فيه نحو سبعة عشر مصنفاً. ولاشك في أن الفضل الكبير في هذا يرجع إلى شيخه الذي درس عليه هذا العلم. (السَّخاويّ، **الضوء اللامع**: 6/ 14). وبعد حياة حافلة بالعلم والعطاء، توفي أبو عبد اللّه محمّد القُسْطُرْلي، إثر وباء انتشر في البلاد عام 844هـ/ 1440م.

المصادر والمراجع:

ياقوت الحموي، **مُعجَم البلدان**، بيروت، دار صادر، 1977: 4/ 347؛ القَلَصادي، **رحلة القَلَصادي**، تحقيق، محمّد أبو الأجفان، تونس، الشركة التونسية للتوزيع، 1985: 84؛ السَّخاويّ، **الضوء اللامع لأهل القرن التاسع**، بيروت، دار مكتبة الحياة، (د.ت): 6/ 14؛ البقاعي، **عنوان الزمان**، مخطوط دار الكتب القومية في مصر، رقم (4911): 2/ 406 (لضبط كلمة القُسْطُرْلي، نقلاً عن: **رحلة القَلَصادي** - لم أطّلع عليه).

26 - إبراهيم بن محمّد بن كامل البُرشاني (806 - 888هـ/ 1403 - 1483م):

أبو إسحاق إبراهيم بن محمّد بن مسعود بن حسين بن عبد العزيز بن كامل، الأنصاري البُرشاني، الوادي آشي، فقيه، نحوي، لغوي، عالم بالفرائض والحساب. أصله من مدينة بُرشانة (Purchena)، الأندلُسية الواقعة في وسط إقليم المَريَّة (Almeria) تقريباً، على نهر المَنصورة (Almansora). ثم تحوّل للإقامة في وادي آش (Guadix)، شمال شرقي غَرناطة (Granada). وقد أخذ العلم عن كبار علماء عصره في الأندلُس، مثل الشيخ الرحال أبي عبد اللّه محمّد بن محمّد بن عليّ بن عبد الواحد المجاري المتوفى سنة 862هـ/ 1457م، الذي تميّز بتمكّنه في علم القراءات، وعلوم اللغة العربية، والفقه، وبعض العلوم العقلية. ويبدو أن البُرشاني قد رافق أُستاذه المجاري هذا لفترة طويلة، وذلك حسبما يبيّنه هو في

كتاب احتفظ به أحد تلامذته، المعروف **بابن زكري**، والذي سنشير إليه لاحقاً، فقد قال: «وكنت ممن لازمه للقراءة عليه زمناً طويلاً، وانتفعت بفوائده النورية انتفاعاً جليلاً، وأجازني على طريق الخصوص والعموم. وأذِن لي في حمل جميع محمولاته من منقول ومفهوم، ومنثور ومنظوم...». وقد شملت هذه الإجازة أيضاً **برنامج الحاج أبي عبد الله المجاري** المذكور، والذي أشار إليها إليه البُرشاني بـ(الدفتر).

ومن شيوخه أيضاً، الأُستاذ أبو عبد الله محمّد بن عبد الملك المنتوري، والإمام أبو عبد اللّه محمّد بن محمّد السَرَقُسطي الأنصاري الغَرناطي، عالم غَرناطة، ومفتيها المتوفى سنة 865هـ/ 1461م، والأُستاذ المصنف أبو القاسم القمارشي، والأُستاذ الخطيب أبو عبد اللّه محمّد اللَّخميّ القرباقي، والأُستاذ أبو عبد اللّه بن هارون البُرشاني، وقد تفقه بهذين الشيخين، كما لقي الأُستاذ أبا الحسن العامري. (**ثَبَت أبي جعفر البَلَوي**: 183 ـ 184).

أقام البُرشاني مدة في مدينة وادي آش، ودَرَّس فيها، وكان من جملة من دَرَسَ عليه، وأخذ عنه، أحمد بن أبي يحيى، الذي كانت له رحلة إلى المشرق، وهو الذي أخبر السَّخاويّ بترجمة البُرشاني التي دوَّنها له في (**الضوء اللامع**: 1/ 118). ومن أشهر تلاميذه في وادي آش، عليّ بن أحمد بن داود البَلَوي المتوفى سنة 898هـ/ 1493م، فقد قرأ عليه بلفظه **ألفية ابن مالك**، وسمع في مجلسه كتباً عديدة في النحو والفقه، مثل **تهذيب البراذعي**، **وجواهر ابن شاس**، **وكتاب سيبويه**، **وجُمل أبي القاسم الزَّجّاجيّ**، **وقوانين ابن الربيع**. يضاف إلى ذلك أنه أخذ عنه **مقالات أبي العبّاس أحمد الأزْدي المَرَّاكُشيّ** المعروف بابن البناء المتوفى سنة 721هـ/ 1321م، في علم العدد والحساب، الأمر الذي يشير إلى اهتمامات البُرشاني بالعلوم العقلية، ودراسته لكتب ابن البناء المَرَّاكُشيّ، التي وصلت إلى الأندلُس، وشاعت فيها.

ومن تلامذته أيضاً أبو القاسم محمّد بن محمّد بن أحمد الفِهْري المعروف بالقَرعة (ولد سنة 825هـ/ 1422م)، الذي دَرَسَ عليه علم اللغة العربية، وقرأ عليه أجزاء من **ألفية ابن مالك**، قراءة تفقُّه وتفهُّم، وقد وصفه: «بالإمام الخطيب البليغ النحوي البقية الصالحة، البركة، المنُعَم... وكان فصيحاً، حسن

الإلقاء، فاضل الذات، حسن الخلق...». وكان من أكثر تلامذته التصاقاً به وقرباً منه، هو أبو العبّاس أحمد بن زكْري المغراوي التِلِمْساني المتوفى سنة 899هـ/ 1493م، الذي وصفه أُستاذه البُرشاني بالأديب الماهر، ولم يكتف بالدراسة عليه حسب، بل طلب منه أن يجيز له ما رواه عن الحاج الأُستاذ أبي عبد اللّه المجاري الذي كان، كما أسلفنا، أُستاذاً للبُرشاني. وقد أشار إلى هذه المعلومة، أبو جعفر أحمد البَلَوي (**ثَبَت البَلَوي**: 425 ـ 426)، الذي أطلعه ابن زكْري على رقعة بخط البُرشاني، يقول فيها إن تلميذه ابن زكْري طلب «...أن آذن له على نحو ما أذن لي شيخنا المذكور رضي اللّه عنه، في حمل جميع أسانيده ورواياته، مما احتوى عليه هذا الدفتر وغيره، إن ثبت أنه من أسانيد شيخنا المُسمّى. وقد أذنتُ له، حفظ اللّه مقامه في العلم ومرتبته، في ذلك إسعافاً لقصده السني، وإرضاءً لغرضه العلمي». وكان تاريخ هذه الإجازة في رجب من عام 866هـ/ 1461م.

استمر البُرشاني في عطائه العلمي، على الرغم من كبر سنّه، الذي قارب الثمانين عاماً. وكان يمارس حياته الاعتيادية إلى آخر يوم من عمره، الذي صلّى فيه الجمعة والعصر والمغرب والعشاء جماعة. وقد سمعه جيرانه، قبيل وفاته في الليل، وهو في مضجعه يقول: «اللّهُمّ هوِّن عليّ الموت»، ولم تكن زوجته حاضرة، وذلك في ليلة السبت، التاسع عشر لذي القعدة عام 888هـ/ 19/ 12/ 1483م.

المصادر والمراجع:

البَلَوي، **ثَبَتُ أبي جعفر أحمد بن عليّ البَلَوي الوادي آشي**، دراسة وتحقيق، عبد اللّه العمراني، بيروت، دار الغرب الإسلامي، 1983: 156، 183 ـ 184، 425 ـ 426؛ أبو عبد اللّه المجاري، **برنامج المجاري**، تحقيق، محمّد أبو الأجفان، بيروت، دار الغرب الإسلامي، 1982: «مُقَدّمة» التحقيق، 33، 39، 40، 71؛ السَّخاوي، **الضوء اللامع لأهل القرن التاسع**، بيروت، دار مكتبة الحياة: 1/ 118.

27 ـ عليّ بن أحمد بن داود البَلَوي (836 ـ 898هـ/ 1432 ـ 1493م):

أبو الحسن عليّ بن أحمد بن عليّ بن أحمد بن عبد الرحمن بن داود البَلَوي الوادي آشي، فقيه، لغوي، عالم بالقراءات، ومهتم بالعلوم العقلية. ينتسب إلى

قبيلة بَلِيّ اليمنية، التي دخلت الأندلُس أيام الفتح العربي الإسلامي. ولد في مدينة وادي آش (Guadix)، في حدود عام 836هـ/ 1432م. وتقع هذه المدينة إلى الشمال الشرقي من غَرناطة (Granada)، على السفح الجنوبي لجبال سيرانيفادا. وتلقّى فيها تعليمه الأولي، وكان أول شيوخه فيها الإمام الخطيب المقرئ، أبو عبد اللّه المليري، الذي قرأ عليه القرآن العزيز بحرفَي نافع وابن كَثير، وكذلك قرأ عليه كتاب **الكافي في اللغة**، لأبي عُمَر يُوسُف بن عبد البر النمري، و**ألفية ابن مالك**، كما سمع عليه بلفظ غيره كتباً أخرى كثيرة في اختصاصات متعددة. ومن شيوخه ببلده أيضاً: الشيخ الخطيب، أبو إسحاق إبراهيم بن محمّد بن مسعود بن كامل الأنصاري البُرشاني المتوفى سنة 888هـ/ 1483م. وقد درس عليه **ألفية ابن مالك**، وكتباً عديدة في الفقه والنحو، مثل **تهذيب البراذعي**، و**جواهر ابن شاس**، و**كتاب سيبويه**، و**جُمل الزَّجّاجيّ**، و**قوانين ابن الربيع**. يضاف إلى ذلك أنه أخذ عنه **مقالات أبي العبّاس أحمد الأَزْدي المَرّاكُشيّ المعروف بابن البناء** المتوفى سنة 721هـ/ 1321م، في علم العدد والحساب، الأمر الذي يشير إلى اهتماماته المبكرة بالعلوم العقلية.

ونتيجة لدراساته المكثفة، وتعليمه العالي في هذه المدينة، فقد أصبح مؤهلاً للتدريس والإقراء في مسجدها الأعظم، حيث اتخذ له حلقة في مؤخرة المسجد لهذا الغرض. يضاف إلى ذلك، أنه وُلّيَ الإمامة والخطابة فيه أيضاً. وقد دَرَسَ عليه الكثير من طالبي العلم في هذه المدينة، ومنهم ابنه أحمد البَلَوي، وكان يُدرِّس مختلف العلوم الشرعية على مدار السنة، لكنه كان يركّز في شهر رمضان المبارك على إقراء القرآن الكريم، وكتب الحديث، مثل **صحيح مسلم**، و**شمائل أبي عيسى التِّرمِذيّ**.

ويبدو أن طموح أبي الحسن البَلَوي العلمي كان أكبر من الاقتصار على بقائه في مدينة وادي آش الصغيرة الهادئة، لهذا فقد انتقل في صفر عام 857هـ/ شباط/ فبراير ـ آذار/ مارس 1453م، هو وأسرته إلى العاصمة غَرناطة، مركز الدولة النصرية. وقد أثبت هناك جدارة علمية، أهّلته لأن يتولّى فيها وظائف دينية وقضائية مهمة، منها تولي الإمامة بمسجد غَرناطة الأعظم، ثم أُسند إليه منصب قضاء الجماعة في العاصمة، وهو أعلى وظيفة قضائية في المملكة. لكنه استقال من هذا المنصب بعد نحو شهر من تولّيه. (السَّخاويّ، **الضوء اللامع**: 5/ 167). ومن

المرجح أن إحجامه عن الاستمرار في القضاء يعود بالدرجة الأولى إلى خشيته من مسؤولية هذا المنصب، التي قد تُوقِع صاحبها في المحذور، رغم تحفظه الشديد. وقد اكتفى أبو الحسن بالقيام بأعمال أخرى توفر له راحة الضمير، والخير الوفير على الآخرين، مثل الإقراء والتدريس والإمامة والخطابة. (عبد اللّه العمراني، «مُقَدِّمة» **ثَبَت البَلَوي**: 27).

استقرّ أبو الحسن نحواً من اثني عشر عاماً في غَرناطة، لم يكتفِ خلالها بالإقراء والتدريس، بل دأب على طلب العلم، والأخذ عن شيوخ هذه المدينة البارزين. فكان من جملة الشيوخ الذين درس عليهم في غَرناطة، العالِم أبو عبد اللّه محمّد بن محمّد الأنصاري السَرَقُسطي الغَرناطي المتوفى سنة 865هـ/ 1461م، والعالِم الأصولي المنطقي المتخصص في العلوم العقلية والنقلية، أبو إسحاق إبراهيم بن فتوح العقيلي، المدرّس بالمدرسة النصرية، التي بناها السلطان أبو الحَجّاج يُوسُف بن إسماعيل بن فرج بن نصر سنة 750هـ/ 1349م. وقد درس عليه بشكل خاص العلوم العقلية. ومن شيوخه في هذه المدينة أيضاً، قاضي الجماعة الإمام أبي يحيى بن محمّد بن أحمد الحسني التِلِمْساني. وقد قرأ أبو الحسن على هؤلاء العلماء الكثير من الكتب الخاصة بالفقه، والتفسير، والحديث، والنحو، والمنطق، وتفقّه بهم. وكان اعتماده بشكل خاص على أبي إسحاق إبراهيم العقيلي، وعلى أبي عبد اللّه السَرَقُسطي، الذي تخرّج على يديه، وكتب بإذنه على بعض الأسئلة الواردة عليه.

وبالإضافة إلى هؤلاء الشيوخ، فقد أشار أبو الحسن البَلَوي إلى عشرات آخرين في مختلف أنحاء العالم الإسلامي، كما نقل عنه ذلك ابنه أحمد بن عليّ البَلَوي (**ثَبَت البَلَوي**: 183 ـ 193). وقد كتب له جماعة من علماء المشرق بالإجازة لرواية ما يحملونه عنهم وعن شيوخهم من مؤلفات. ومن هؤلاء الذين أجازوه على سبيل المثال لا الحصر: شيخ الإسلام أبو زرعة ولي الدين أحمد بن زين الدين عبد الرحيم بن الحُسين العراقي الشافعي، والحافظ أبو العبّاس شهاب الدين أحمد بن عليّ بن محمّد بن حجر العسقلاني، وقاضي قضاة شيراز شمس الدين محمّد بن محمّد بن الجزري الدمشقي، والشيخ أبو عبد اللّه محمّد المطري، من شيوخ الحرم الشريف، وقاضي مكة المُشرّفة عبد القادر بن أبي القاسم بن أحمد المالكي المكي الأنصاري السعدي.

http://al-maktabeh.com

لقد كانت ظروف العصر الذي عاش فيه أبو الحسن البَلَوي صعبة جداً، لأن تلك الفترة تمثّل الحقبة الأخيرة من حياة مملكة غَرناطة الإسلامية. وكانت المدن المحيطة بالعاصمة تسقط الواحدة تلو الأخرى بأيدي الإسبان. لذلك نجد أن أسرة البَلَوي لم تستقر في مكان واحد لمدة طويلة. وقد أشار أبو جعفر أحمد البَلَوي في ثَبَته، إلى أن مجالس والده للإقراء والتدريس، شملت كلاً من وادي آش وحضرة غَرناطة والمَريَّة (Almeria)، الأمر الذي يشير إلى استقراره أيضاً في مدينة المَريَّة لمدة لابأس بها من الزمن. وربما كانت هذه هي المحطة الأخيرة التي استقرّ فيها قبل التوجه إلى مدينة المُنَكَّب (Almunécar) برسم الجواز إلى عُدْوَة المغرب. لكننا لا نعرف شيئاً عن تلك الإقامة، وفي أي حال، وبالاستناد إلى **ثَبَت البَلَوي**، فإن هناك نحواً من 36 ـ 37 سنة، منذ مغادرة أبي الحسن البَلَوي لوادي آش إلى غَرناطة (صفر 857هـ ـ شباط/ فبراير ـ آذار/ مارس 1453م)، وبين هجرته الأخيرة إلى عُدْوَة المغرب في حدود سنة 894هـ/ 1489م. ونحن نعلم أنه بقي نحو اثنتي عشرة سنة في العاصمة، لذلك من المحتمل، أنه انتقل في الفترة المتبقية، بين مسقط رأسه في وادي آش، وبين المَريَّة، وغَرناطة، ويعود هذا التنقل المستمر وعدم الاستقرار إلى القلق النفسي على مصير البلاد، والخوف من سيطرة العدو النَّصْرَاني على غَرناطة، الأمر الذي أدى إلى اتخاذ أبي الحسن البَلَوي لقرار الهجرة من الأندلُس. ويؤيد كلام شهاب الدين أحمد بن محمّد المَقَّري هذا التوجه بقوله: «وكان جماعة من علماء الأندلُس خرجوا إلى تِلِمْسان... ومنهم بنو داود المذكورون في فهرسة الشيخ ابن غازي، وهؤلاء خرجوا من الأندلُس قبل أخذ غَرناطة، ولكن لما رأوا استطالة العدو عليها، وأنه آخذها لا محالة قوضوا رحالهم عنها، فنزلوا بتِلِمْسان المحروسة، وأُخذت الحضرة الغَرناطية بعد ارتحالهم بقريب...». (**أزهار الرياض** : 1/ 71).

وهناك من يرى أن مغادرة أبي الحسن وأسرته للأندلُس لم تكن نهائية للفرار بدينهم، لأنهم كانوا علماء متشبّثون بأهداب الدِين، وأن رحلتهم صوب المشرق كانت لأداء فريضة الحج أولاً، وإلى الاتصال بالعلماء ثانياً، قصد التواصل في الأخذ والعطاء، والسعي وراء السند العالي. (عبد اللّه العمراني، «مُقَدّمة» **ثَبَت البَلَوي**: 42 ـ 43). وقد يكون هذا صحيحاً ويؤيده طبيعة تنقُّل هذه الأسرة في الأندلُس ذاتها قبل الهجرة النهائية. لكن تسارع الأحداث فيما بعد ذلك، وسقوط غَرناطة بيد الملكين الكاثوليكيين فرديناند وإيزابيلا في 2 ربيع الأول 897هـ ـ 2 كانون الثاني/ يناير 1492م،

أي بعد نحو ثلاث سنوات من مغادرة أبي الحسن وأسرته، جعلهم يضربون صفحاً عن العودة إلى الأندلُس، والاتجاه إلى آفاق أخرى في المشرق. فلقد استقرّوا في البداية في مدينة تِلِمْسان، التي كانت عاصمة بني زَيّان، وكانت مركزاً من مراكز العلم والثقافة، ولاسيما أن بعض سلاطينها اهتموا بهذا الأمر، من ذلك مثلاً، السلطان أبو الحسن المريني، الذي شيّد القصور والمدارس والمساجد والزوايا والرباطات، مما بهر العقول، وخلّد له الذكر الحسن. وربما كان هذا هو السبب في اختيار أبي الحسن البَلَوي لهذه المدينة مقصداً لهجرته.

وقد اتصل البَلَوي فور وصوله إلى تِلِمْسان بعلمائها، ولاسيما محمّد بن مرزوق الكفيف المتوفى سنة 901هـ/ 1405م، الذي دَرَس عليه ابن أبي الحسن، أحمد البَلَوي، بعض كتب الحديث. واستمر بقاء أسرة البَلَوي في تِلِمْسان نحو سنتين وثلاثة أشهر (من رجب 894هـ - حزيران/ يونيو 1489م حتى شهر ذي القعدة 896هـ - أيلول/ سبتمبر 1491م)، ثم غادروا بعد ذلك إلى مدينة وهران، التي بقوا فيها نحو شهر واحد فقط. ومن ثم توجهوا إلى مدينة تونس، التي بقوا فيها لعدة أشهر، ارتحلوا بعدها قاصدين مدينة القُسطنطينيّة بطريق البحر في أواخر شهر جَمَادى الآخرة سنة 898هـ - نيسان/ أبريل 1493م. وفي أي حال، فإن المدة التي قضاها أبو الحسن وأسرته في الشمال الأفريقي، كانت كافية لأن يتعرف عليهم علماء المنطقة، ويتبادلوا معهم المعارف والعلوم، وطلب الإجازات. وقد أشار أحد علماء المغاربة، وهو الشيخ محمّد بن غازي العثماني المكناسي المتوفى سنة 919هـ/ 1513م، إلى وصول كتاب أبي الحسن البَلَوي، الذي يستجيز فيه أعلام مدينة فاس لنفسه وبنيه، ووصف البَلَوي بقوله: «الشيخ الفقيه العالم العلاّمة الأكمل... الأندلُسي نزيل تِلِمْسان»، ووافق على منحهم الإجازة. (**التعلل برسوم الإسناد** : 458 - 459).

ومن المرجح أن توجه أبا الحسن البَلَوي وأسرته إلى القُسطنطينيّة كان بسبب جاذبيتها في ذلك الوقت، لأنها تمثّل عاصمة دولة إسلامية فتيّة، كان نجمها في صعود مستمر، وكان يحكمها آنذاك السلطان بايزيد الثاني ابن محمّد الثاني فاتح القُسطنطينيّة. وربما أراد البَلَوي الاستعاضة بها عن الإقامة في الأندلُس، التي سقطت بأيدي الإسبان بعد أن غادرها إلى شمال أفريقيا. ولكن يبدو أن القدر لم يسمح لأبي الحسن برؤية القُسطنطينيّة، أو الوصول إليها، فقد فاجأته المنية في

طريق رحلته إليها من تونس، في الخامس من شهر رجب سنة 898 هـ/ 22 ـ نيسان/ أبريل 1493م. وقد اضطرت أسرته للنزول في ميناء ششمة التركي، الذي يقع على الشاطئ الغربي لشبه جزيرة آسيا الصغرى، المواجه لجزيرة كيوس (Kios) في بحر إيجه. وتمّت مراسيم دفنه بتلك البلدة يوم 10 رجب ـ 27 نيسان/ أبريل، ويدلّ تاريخ الدفن المتأخر، على أن الوفاة حدثت في عرض البحر، فرست السفينة في أقرب ميناء للقيام بعملية الدفن، وبعدها واصلت أسرته الرحلة إلى القُسطنطينيّة.

المصادر والمراجع:

البَلَوي، **ثَبت أبي جعفر أحمد بن عليّ البَلَوي الوادي آشي**، دراسة وتحقيق، عبد اللّه العمراني، بيروت، دار الغرب الإسلامي، 1983: 176 ـ 195 (مع «مُقَدّمة» التحقيق)؛ السَّخاويّ، **الضوء اللامع لأهل القرن التاسع**، بيروت، دار مكتبة الحياة: 5/ 167 الترجمة (572)؛ أبو عبد اللّه المجاري، **برنامج المجاري**، تحقيق، محمّد أبو الأجفان، بيروت، دار الغرب الإسلامي، 1982: «مُقَدّمة» التحقيق 32؛ بدر الدين القرافي، **توشيح الديباج وحلية الابتهاج**، تحقيق، أحمد الشتيوي، بيروت، دار الغرب الإسلامي، 1983: 130 الترجمة (126)؛ ابن غازي، **التعلل برسوم الإسناد بعد انتقال أهل المنزل والمناد**، نشر عبد اللّه العمراني ملحقات منه مع **ثَبت أبي جعفر البَلَوي**، المذكور أعلاه(من ص 454 ـ 473): 458 ـ 459؛ أحمد بابا التنبكتي، **نيل الابتهاج بتطريز الديباج، بهامش الديباج المذهب** لابن فرحون، طبعة عَبّاس بن عبد السلام بن شقرون، مصر، الفحامين، 1351 هـ: 210؛ المَقّري، **أزهار الرياض في أخبار القاضي عِياض**، تحقيق، عبد السلام الهراس وأحمد أعراب، المغرب ـ المحمّدية، مطبعة فضالة، 1980: 1/ 71.

28 ـ أحمد بن عليّ بن أحمد بن داود البَلَوي (866 ـ 938هـ/1462 ـ 1532م):

أبو جعفر أحمد بن عليّ بن أحمد بن داود البَلَوي الوادي آشي، فقيه، لغوي، أديب، شاعر. ينتسب إلى قبيلة بَليّ اليمنية، التي دخلت الأندلُس أيام الفتح العربي الإسلامي. موطنه الأصلي، مدينة وادي آش (Guadix)، التي تقع إلى الشمال الشرقي من غَرناطة (Granada) في الأندلُس. وقد تربى في هذه المدينة، وتلقّى تعليمه الأولي فيها. وكان مؤدبه في المكتب، ومعلمه للقرآن الكريم هو

الشيخ الفقيه أبو عبد اللّه محمّد بن يُوسُف بن سلمة. ثم دَرَس على والده أبي الحسن عليّ بن أحمد البَلَوي في المسجد الأعظم بوادي آش، وختم عليه القرآن بأكثر من قراءة. كما حفظ عليه أيضاً بعض المصنفات، ولاسيما كتاب **التيسير**، لأبي عمرو عُثمان بن سعيد الداني، وكتاب **الجُمل في النحو**، للإمام أبي القاسم الزَّجّاجيّ، وغيرهما. وداوم على حضور مجالس والده العلمية في الفقه والنحو واللغة، في وادي آش، وفي غيرها من المدن الأندلُسية التي تنقّلا فيها، مثل غَرناطة، والمَريَّة (Almeria)، لذلك فقد أجازه والده، وأذن له في رواية جميع مروياته، قراءة، أو سماعاً، أو إجازة، أو مناولة، أو غير ذلك، إذناً تاماً مطلقاً، على شروط التحديث عند أئمة الحديث. (**ثَبَت أبي جعفر البَلَوي** : 182).

انتقل أبو جعفر أحمد البَلَوي مع والده وأسرته إلى غَرناطة حاضرة المملكة النصرية، وتابع فيها طلبه للعلم، بجِدّ واقتدار، وأكبّ على التعلم، ولاسيما أن عصره كان يزخر بالمعارف والعلوم، وبالأدباء والشعراء والعلماء والأطباء، وذلك على الرغم من أن الحقبة الأخيرة من حياة هذه المملكة كانت صعبة جداً، سواءٌ على صعيد الفتن الداخلية، أم على صعيد الخطر الإسباني الخارجي، الذي كان يتهدد البلاد، ويُنذر بسقوط المدن المحيطة بالعاصمة، الواحدة تلو الأخرى. وقد ساعد مركز والده العلمي والوظيفي على سرعة اندماجه، واتصاله بالعلماء، وكبار الفقهاء في المدينة، حيث تولّى الإمامة والخطابة في المسجد الأعظم بغَرناطة. كما أُنيط به قضاء الجماعة، وهو أعلى منصب قضائي في المملكة. ويبدو من متابعة دراسته على شيوخه في غَرناطة، وغيرها من المدن الأندلُسية، أنه استقرّ مع والده وأسرته في هذه المدينة، لكنه مع ذلك، كان يتنقل في الوقت نفسه بين وادي آش، والمَريَّة، قبل الهجرة النهائية من الأندلُس إلى شمال أفريقيا، ومن ثم إلى المشرق.

كانت مدينة غَرناطة مركزاً مهماً للنشاط العلمي، يفد إليها طلبة العلم من الأندلُس نفسها، ومن المغرب للأخذ عن علمائها، والاستفادة منهم. وكان أول شيوخ أحمد البَلَوي فيها، هو العالم المشهور أبو الحسن عليّ بن محمّد بن عليّ القُرشي البسطي الشهير بالقَلَصادي المتوفى في مدينة باجَه التونسية عام 891هـ / 1486م. وقد وصفه البَلَوي بأنه فَرَضي العصر وعدديه، ذو التصانيف العديدة الكثيرة، وأخذ عنه «علمي العدد والفرائض تفقهاً وعملاً». (**ثَبَت البَلَوي**: 104). ويمكن أن نستنتج من عبارة البَلَوي الأخيرة أن أسلوب الدراسة كان يعتمد على

العنصر النظري والعنصر التطبيقي. وذلك بتقديم النظريات وقواعد علمَي الحساب والفرائض، فضلاً عن حل مسائل هذين العِلمين، لتحصل المَلَكة العلمية، وليتمّ التهيّؤ لحل المشاكل الناجمة عن شؤون الحياة الاجتماعية.

ومن شيوخه في غَرناطة أيضاً أبو عبد اللّه محمّد بن يُوسُف الموّاق المتوفى سنة 897هـ / 1492م، صاحب كتاب **سُنن المهتدين في مقامات الدِين**، الذي استفاد منه أحمد البَلَوي بحكم إجازته في روايته عنه. وقد قرأ على شيخه أبي عبد اللّه محمّد بن أحمد السُلمي الجعْدالّة المتوفى سنة 897 هـ/ 1492م، بالمسجد الأعظم في غَرناطة وفي المدرسة النصرية كتباً في النحو، مثل **الجُمل** للأُستاذ أبي القاسم الزَّجّاجيّ، وكتاب **الإيضاح** لأبي عليّ الفارسي، كما قرأ عليه أيضاً بمجلسه في المسجد الأعظم للتدريس في المَريّة أكثر «مُقَدّمة» **جمع الجوامع في الأصول** لابن السبكي، وبعض كتاب **البيان والتحصيل لما في المستخرجة من التوجيه والتعليل** لابن رشد الجَدّ، وهو في الفقه المالكي، قراءة تفهُّم وتفقُّه ومباحثة، وقرأ عليه كتباً أُخرى في التفسير، وقد أجازه الشيخ المذكور بروايته لجميع ما قرأه عليه، وسائر ما تشمله روايته عن شيوخه الأعلام. ومن جملة شيوخه الآخرين في غَرناطة، أبو محمّد عبد اللّه الجابري الزَّيْعجي، المتوفى سنة 897هـ / 1492م، الذي قرأ عليه كتباً كثيرة، وأخذ عنه علم العروض، وانتفع به في النحو نفعاً عظيماً. كما درس علم القراءات، وجوَّد القرآن الكريم على أبي سعيد فرج بن عليّ بن فرج المتوفى سنة 890 هـ/ 1485م. وسمع الكثير من كتب الفقه على أبي عبد اللّه اللّخميّ المعروف بالفخّار المتوفى سنة 897 هـ/ 1492م.

وقبيل مغادرته الأندلُس، درس أبو جعفر البَلَوي في مدينة المُنَكَّب على محمّد بن محمّد بن أحمد الفِهْري المعروف بالقرعة، علوماً كثيرة، ولاسيما القراءات، وعلم الحديث، النبوي الشريف، فقرأ عليه بقصد الرواية عنه جميع الرباعيات (التي هي من شروط المُحدّث ولا يكمل إلا بها) من كلام الإمام أبي عبد اللّه البخاري، وجميع الثلاثيات المستخرجة من صحيحه كما قرأ عليه كتاب **خلاصة الباحثين في حصر حالات الوارثين** لمؤلفه القاضي عبد اللّه بن يحيى الأنصاري الأَوْسي، وهو كتاب في الفرائض. وقد أجاز الشيخ الفِهْري له أن يروي ويُحدّث عنه، وما يرويه عن شيوخه بقراءة أو سماع، أو مناولة، أو إجازة عامة. ويبدو أن هذا الشيخ قد غادر هو الآخر إلى تِلِمْسان، إما وحده وإما برفقة آل

البَلَوي، حيث اتصل به أحمد البَلَوي هناك، وأخذ عنه أيضاً.

كانت مغادرة أبي جعفر البَلَوي وأسرته الأندلُس من ميناء المُنَكَّب، في حدود شهر جمادى الآخرة عام 894هـ - أيار/ مايو 1490م، متوجهين إلى تِلِمْسان، عاصمة بني زَيّان، التي كانت مركزاً من مراكز العلم والثقافة في المغرب. وقد اتصلوا بعلمائها، ولاسيما أبي عبد اللّه محمّد بن محمّد بن مرزوق الكفيف المتوفى سنة 901هـ/ 1496م. فدرس عليه أحمد البَلَوي في مجالس علمه كتباً متعددة، منها **صحيح مسلم**، و**الترغيب والترهيب** للمنذري، و**مُقَدّمة ابن الصلاح**، و**صحيح البخاري**، و**الشمائل المحمّدية** للتّرمِذيّ، ودراسات أخرى في التفسير، وكتب الفقه، وعلوم الحديث. وقد أجازه ابن مرزوق برواية كل شيء عنه، وذلك في عام 895هـ/ 1490م. ودرس البَلَوي على علماء آخرين في تِلِمْسان، منهم أبو عبد اللّه محمّد بن يُوسُف السنوسي المتوفى سنة 895هـ/ 1489م، وعبد الجبار بن أحمد بن مُوسى الفجيجي، وأحمد بن محمّد بن زكري المغراوي التِلِمْساني المتوفى سنة 899هـ/ 1493م، الذي درس عليه في المسجد الأعظم بتِلِمْسان كتباً متعددة، في الفقه وأصوله، والحديث، والنحو، وعلم البيان والمعاني، وغير ذلك، وطلب منه الإجازة، فأجازه في أواخر عام 896هـ/ 1491م.

ولم تدم إقامة آل البَلَوي في تِلِمْسان إلا نحواً من سنتين وثلاثة أشهر، لكنها كانت كافية للتعرف على علمائها والأخذ عنهم. كذلك فقد أُتيح لهم الاتصال بعلماء آخرين من أقصى المغرب، مثل الشيخ محمّد بن أحمد بن غازي العثماني المكناسي نزيل فاس المتوفى عام 919هـ/ 1513م، حيث كتب إليه أحمد البَلَوي يطلب إجازة لنفسه ولأخويه، كما طلب أبوه أيضاً الإجازة لنفسه. وقد ردّ عليهم ابن غازي موافقاً على منحهم الإجازة بتأريخ 18 رجب سنة 898هـ - 28 أيار/ مايو 1491م. وبهذه المناسبة، فقد أطرى ابن غازي أحمد البَلَوي، وحلاّه قائلاً: أنه تلقى كتاباً من «الفقيه المتفنن المشارك الحجة الجامع المصنف الناثر الناظم البليغ الأمضى الأدرى الأكمل أبي جعفر أحمد بن عليّ بن داود البَلَوي...». (**التعلل برسوم الإسناد**: 455). ما يدلّ على وصول شهرته العلمية إلى المَغرِب الأقصى.

ويبدو أن أحداث الأندلُس، وسقوط غَرناطة بيد الإسبان في 2 ربيع الأول سنة 897هـ - 2 كانون الثاني/ يناير 1492م، قد جعلت آل البَلَوي، يضربون صفحاً عن

العودة إلى الأندلُس، أو حتى البقاء في الشمال الأفريقي. فابتدأوا بالبحث عن آفاق أخرى في المشرق. ولهذا فقد اتهمهم بعضهم بأنهم خرجوا أصلاً من الأندلُس خوفاً من استيلاء الإسبان على غَرناطة. (المَقَّري، **أزهار الرياض**: 1/ 71). في حين برَّر أحد الكُتَّاب المُحدثين هجرتهم هذه على أنها لم تكن للفرار بدينهم، لأنهم كانوا علماء متشبثين بأهداب الدين، وأن رحلتهم من الأندلُس باتجاه المشرق كانت تهدف لأداء فريضة الحج أولاً، وإلى الاتصال بالعلماء ثانياً، في طريق الرحلة سعياً وراء السند العالي. (عبد اللّه العمراني، «مُقَدِّمة» **ثَبَت البَلَوي**: 42 ـ 43). والواقع أن الشطر الثاني من تحليل الأُستاذ العمراني، هو الذي تحقق فعلاً، فكانوا طوال وقت الرحلة يتصلون بالعلماء، ويبحثون عن السند العالي والرواية. لكننا نجد أن أسرة البَلَوي لم تأخذ طريق الحج، بل غادرت إلى وهران، ومنها إلى مدينة تونس، التي نزلوها لبضعة أشهر فقط، ارتحلوا بعدها إلى القُسطنطينيَّة بطريق البحر، في شهر جُمَادى الآخرة عام 898هـ ـ نيسان/ أبريل 1493م.

ولعل اختيار القُسطنطينيَّة بالذات نهاية لرحلة آل البَلَوي، يرجع إلى جاذبية هذه المدينة، التي كانت في صعود مستمر، وقوة متزايدة، وكانت في تلك الحقبة تُحكم من قِبل السلطان بايزيد الثاني (886-918 هـ/ 1482-1512 م) ابن محمّد الفاتح، فأرادوا الاستعاضة بها عن بلدهم الأصلي، الأندلُس الذي تدهورت أوضاعه وسقط أخيراً بأيدي الأسبان. وقد استقرّ أحمد البَلَوي وأسرته في هذه المدينة، بعد وفاة والدهم في طريق الرحلة، الذي دفنوه في إحدى مدن آسيا الصغرى الواقعة على بحر إيجه. ويبدو أن إقامة أحمد البَلَوي في القُسطنطينيَّة كانت طويلة، لأنه حرّر أحد كتبه في إحدى ضوابطها غَلَطَة (Galata)، وهو شرحه للقصيدة المعروفة بـ«الرامزة» أو «الخَزرَجية»، سنة 908 هـ/ 1502 م. ولا تتوافر لدينا معلومات عن تحركات أحمد البَلَوي بعد ذلك، وهل أنه واصل رحلته إلى المشرق، وتوجَّه لأداء فريضة الحج، والاتصال ببقية علماء المشرق الإسلامي، ولاسيما في الحجاز، أم أنه قضى بقية عمره في القُسطنطينيَّة، متفرغاً للتأليف والبحث حتى وفاته سنة 938 هـ/ 1532 م.

كان أحمد البَلَوي شخصية علمية ذات باع طويل في فنون العلم والمعرفة، له وزنه على الصعيد العلمي في الأندلُس والمَغرِب والمشرق. وأهم مؤلفاته على الإطلاق هو ثَبَته، الذي يحتوي على معارف وعلوم جمّة، وموضوعات عديدة،

منها تراجم لشيوخه وأساتذته، وأسانيد هؤلاء الشيوخ في مختلف فنون المعرفة، كما يشير أيضاً إلى حياته العلمية وتطوره الثقافي وحجم معارفه، فضلاً عن أسماء الكتب التي كانت رائجة في عصره، وأنواع المعارف التي كانت تسود آنذاك، كالعلوم النقلية التي تتصل بالدين واللغة، والعلوم العقلية والطبيعية. وقد درس البَلَوي معظم هذه العلوم مع أساتذته، ولاسيما العلوم الإنسانية منها التي تختص بأهمية بالغة في هذا الكتاب. وبالإضافة إلى هذا، فإن **ثَبَت البَلَوي**، يُعدّ من آخر الكتب التي وصلتنا عن الأيام الأخيرة من حياة الإسلام في الأندلُس، حيث كُتبت بعض فصوله في العقد الأخير من القرن التاسع للهجرة/ أواخر العقد التاسع وأوائل العاشر من القرن الخامس عشر للميلاد، وهو العقد الذي سقطت فيه غَرناطة آخر معاقل المسلمين في الأندلُس. وقد مزج البَلَوي في هذا الكتاب بين طريقتين للكتابة تعتمد إحداهما على الترسل، أو النثر المرسل، الذي يناسب الكتابة العلمية، ثم طريقة السجع. وكان إنتاجه متنوعاً بين النثر والشِعر. وتبدو شاعريته في دراسته لبعض المقطوعات الشِعرية والقصائد التي قيلت في أغراض مختلفة، وفي قصيدته التي وجّهها إلى أحد أساتذته طالباً منه الإجازة. (**ثَبَت أبي جعفر البَلَوي**: 431، والمُقَدّمة: 58 ـ 59).

أما كتاب البَلَوي الثاني، فهو شرح لعروض «الخَزرَجية»، وهي قصيدة في العروض والقوافي، منظومة في البحر الطويل، وتُعرف أيضاً بـ«الرامزة»، للإمام ضياء الدين أبي محمّد عبد اللّه بن محمّد المالكي الأندلُسي. وقد أشار حاجي خليفة إلى شرح البَلَوي، ووصفه بأنه «شرح مبسوط صنفه الشارح بغَلَطَة، وأوله الحمد للّه الذي شرح منا لفكّ رموز أمته صدور... وفرغ منه في ربيع الأول سنة 908هـ». (**كشف الظنون**: 2/ 1136). وغَلَطَة، كما أسلفنا، كانت إحدى ضواحي القُسطنطينيّة. وهذا الشرح مازال مخطوطاً في مكتبة الإسكوريال في إسبانيا، تحت رقم (الغزيري 332)، وهو مخطوط تنقصه البداية، بعنوان: «كتاب بحر البسيط في العروض». وقد أشار ميخائيل الغزيري إلى أنه يمتاز من حيث سعة العلم وكبر الحجم على سائر الشروح التي ظهرت من قبل.

ويشير القرافي (**توشيح الديباج**: 132)، إلى كتاب آخر لأحمد البَلَوي بعنوان: **إيضاح المكنون**، عرّف فيه بشيخه القَلَصادي. ويُفهم من هذا أنه كتاب في تراجم الشيوخ، ولعله هو ذاته كتاب **الثَبَت** الذي سلف الحديث عنه أعلاه، والذي ابتدأه

بترجمة القَلَصادي. كذلك يذكر حاجي خليفة كتاباً آخر للبلوي باسم: **فرائد الفوائد في فنون غير واحد، (كشف الظنون : 2/ 1243)**. ولا تتوافر لدينا معلومات عن ماهية هذا الكتاب، أو مكان وجوده، وإن كان عنوانه يدلّ على أنه أيضاً في معارف وفنون بعض العلماء والشيوخ الذين عاصروا البَلَوي.

المصادر والمراجع:

البَلَوي، **ثَبَت أبي جعفر أحمد بن عليّ البَلَوي الوادي آشي**، دراسة وتحقيق، عبد اللّه العمراني، بيروت، دار الغرب الإسلامي، 1983 : («مُقَدِّمة» التحقيق، ومواضع مختلفة من الكتاب) ؛ أبو عبد اللّه المجاري، برنامج المجاري، تحقيق، محمّد أبو الأجفان، بيروت، دار الغرب الإسلامي، 1982، («مُقَدِّمة» التحقيق: 32، 40، 41، 55 ـ 56، 69، 71، 72) ؛ أبو الحسن القَلَصادي، **رحلة القَلَصادي**، تحقيق، محمّد أبو الأجفان، تونس، الشركة التونسية للتوزيع، 1985 : 98، (مع «مُقَدِّمة» التحقيق : 25، 28، 37، 38، 49، 67) ؛ بدر الدين القرافي، **توشيح الديباج وحلية الابتهاج**، تحقيق، أحمد الشتيوي، بيروت، دار الغرب الإسلامي، 1983 : 54 ـ 55 الترجمة (19) ؛ ابن غازي، **التعلل برسوم الإسناد بعد انتقال أهل المنزل والمناد**، نشر عبد اللّه العمراني ملحقات منه مع **ثَبَت أبي جعفر البَلَوي** المذكور أعلاه (من ص 454 ـ 473) : 455؛ أحمد بابا التنبكتي، **نيل الابتهاج بتطريز الديباج، بهامش الديباج المذهب** لابن فرحون، طبعة عَبّاس بن عبد السلام شقرون، مصر، الفجامين، 1351هـ : 90؛ ابن مريم، **البستان في ذكر الأولياء والعلماء بتِلِمْسان**، باعتناء، محمّد بن أبي شنب، الجزائر، المطبعة الثَعلَبية، 1908 : 141، 143؛ ابن مخلوف، **شجرة النور الزكية في طبقات المالكية**، بيروت، دار الكتاب اللبناني، طبعة بالأوفست عن المطبعة السلفية 1349هـ : 273 الترجمة (1016) ؛ المَقَّري، **أزهار الرياض في أخبار القاضي عِياض**، تحقيق، عبد السلام الهراس، وسعيد أحمد أعراب، المغرب، المحمّدية، مطبعة فضالة، 1980 : 1/ 71، 103، 3/ 37 ـ 38؛ حاجي خليفة، **كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون**، بيروت، دار الكتب العلمية، 1992 : 2/ 1136، 1243؛ كحالة، **مُعجَم المؤلفين**، دمشق، مطبعة الترقي، 1957 : 1/ 316؛ Pons Boigues, *Los Historiadores Y Geografos Arabigo-Espanoles*, Amsterdam, 1972, reprint of

Madrid edition, 1898: 334; Derenbourg, Hartwig, *Les Manuscrits Arabes de L'Escurial,* Paris, 1884: 1/212, no. 334: Gasiri, Miguel, *Bibliotheca Arabico-Hispana Escurialensis,* Madrid, 1960-1970: 1/82, no. 332.

www.al-maktabeh.com
مكتبة المهتدين

فهرس المحتويات

الإهداء 5
المقدمة 7

المبحث الأول

العلوم العقلية الصرفة

أ ـ الطب 13
1 ـ محمد بن تمليخ التميمي 13
2 ـ يحيى بن إسحاق 15
3 ـ عمر بن بريق 16
4 ـ أحمد بن يونس الحراني 17
ب ـ الكيمياء 19
محمد بن بَشْرون 19
ج ـ الفلك 21
إبراهيم بن يحيى الزرقالي النقاش 21

المبحث الثاني

الأدب والشعر والكتابة

1 ـ عثمان بن سعيد الصَّيْقَلْ 29
2 ـ صاعد بن الحسن البغدادي 31
3 ـ عبد المنعم بن منّ الله القروي 33
4 ـ أحمد بن الدودين البلنسي 35
5 ـ محمد بن عبد اللّه بن الجد الفِهْري 37
6 ـ محمد بن مسعود بن خالصة المعروف بابن أبي الخصّال 40
7 ـ أحمد بن جعفر بن عطيّة 47

8 ـ محمد بن أحمد بن عامر السالمي البَلَوي 52
9 ـ عبد الملك بن عياش الأَزْدي 57
10 ـ يوسف بن محمد البَلَوي 61
11 ـ الأَزْدي القُرطُبي، أبو بكر بن هشام 66

المبحث الثالث
التـاريـخ

1 ـ محمد بن موسى الرَّازي 69
2 ـ عبد اللّه بن عبيد اللّه الأَزْدي، ابن الحُكَيْم 72
3 ـ أحمد بن محمد الرَّازي 74
4 ـ محمد بن يوسف الوراق القروي 81
5 ـ عَريب بن سعد القُرطُبي 87
6 ـ الرَّازي، عيسى بن أحمد 92
7 ـ ابن الفَرَضي 96
8 ـ أحمد بن سعيد بن أبي الفَيّاض 101
9 ـ محمد بن عيسى بن مُزَيْن 106
10 ـ أحمد بن عمر العُذْري 109
11 ـ محمد بن خلف بن عَلْقَمة الصدفي 114
12 ـ يحيى بن محمد بن يوسف الأنصاري الغَرناطي، ابن الصيرفي 119
13 ـ اليسع بن عيسى بن حزم الغافقي 123
14 ـ عبد الملك بن محمد ابن صاحب الصلاة 127
15 ـ هشام بن عبد اللّه القُرطُبي 132
16 ـ الحسين بن عتيق المعروف بابن رشيق التَغلِبي 134

المبحث الرابع
علوم القرآن والحديث والفِقه واللغة العربية

1 ـ سليمان بن محمد بن بطّال 139
2 ـ عليّ بن خلف بن بطّال 141

3 ـ محمد بن عليّ بن عبد اللّه بن ياسر الجيّاني 143
4 ـ يحيى بن سعدون الأَزْدي القُرطُبي 145
5 ـ أحمد بن عبد الرحمن بن الصقر الخَزرَجي 148
6 ـ عليّ بن محمد بن عليّ بن جميل المعافري 153
7 ـ محمد بن أحمد بن سليمان الزهري الأندلسي 154
8 ـ محمد بن أحمد الأَنْدَرَاشي، ابن البَلَنْسي 157
9 ـ محمد بن يوسف بن أبي يداس البِرزاليّ الإشبيلي 160
10 ـ إبراهيم بن محمد بن إبراهيم البَطَلْيوسي 162
11 ـ عبد اللّه بن أحمد الأنصاري الداني 164
12 ـ محمد بن الحسن بن الزبير الثقفي الجَيّاني 166
13 ـ محمد بن أحمد بن سُجْمان الشريشي المالكي 168
14 ـ محمد بن عبد اللّه بن خميس الأنصاري 170
15 ـ سعد بن أحمد بن عليّ التُّجِيبي 172
16 ـ إبراهيم بن محمد بن عليّ التنّوخي 173
17 ـ محمد بن عبد اللّه بن أرقم النُمَيْري الوادي آشي 177
18 ـ محمد بن يحيى بن محمد الأشعري المالقي 179
19 ـ أحمد بن سعد بن محمد العسكري الأَنْدَرَشي 183
20 ـ سعد بن أحمد بن ليون التَّجِيبي 186
21 ـ أحمد بن قاسم بن عبد اللّه بن البغيل 189
22 ـ عبد الرحمن بن دحمان الأنصاري المالقي 192
23 ـ إبراهيم بن يحيى الأنصاري المرسي 193
24 ـ محمد بن عليّ الأَوْسي الغَرناطي 195
25 ـ محمد القُسْطُرْلي البسطي 197
26 ـ إبراهيم بن محمد بن كامل البُرشاني 198
27 ـ عليّ بن أحمد بن داود البَلَوي 200
28 ـ أحمد بن عليّ بن أحمد بن داود البَلَوي 205

www.al-maktabeh.com
مكتبة
المهتدين